في أحلام المرء، ينسى أنه ضيفًا على هذه الدنيا





رقصة الكاهنة

جين رن شون

ترجمة: منال حامد



قصص قصيرة مترجمة





رقصة الكاهنة

رقصة الكاهنة

تأليف: جين رن شون

ترجمة: منال حامد

تحرير: إيزيس عاشور

الطبعة الأولى: 2017

رقم الإيداع: 2017/1765

الترقيم الدولي: 9789773193225

الغلاف: محمد حافظ





60 شارع القصرالعيني – 11451 - القاهرة

ت 27921943 - 27954529 فاكس 27947566

www.alarabipublishing.com.eg

Monk Dance by Jin Ren Shun

僧金仁顺

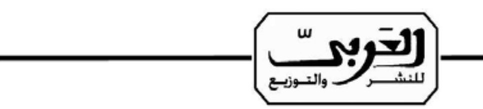


جين رن شون

رقصة الكاهنة

قصص قصيرة من الصين

ترجمة: منال حامد





بطاقة فهرسة

شون ، جين رن

رقصة الكاهنة: مجموعة قصصية من الأدب الصيني/ تأليف: جين رن شون، ترجمة: منال حامد.

- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2017،

ص؛ سم.

1- القصص الصينية

أ- حامد، منال (مترجم)

ب- العنوان 895.3

أسطورة "جاو لي"



اعتاد الملك "شيان زونج" أن ينصت إلى نغمات الموسيقى المنبعثة من آلة الـ"جيا يه" الشبيهة بآلة القانون ويحتسي الشاي وهو جالس في الركن الموسيقي في فترة العصر. تعلمت الملكة "شي لان" العزف على تلك الآلة حينما كانت صغيرة في السن، حينما تلقت تدريبًا موسيقيًا من أستاذ وعازف بارع يحيا حياة عزلة. وحينما اختيرت لكي تكون قرينة الإمبراطور حملت معها حقيبتها المطرزة ذات اللون الأزرق المائل للرمادي، وثبتتها بخيط حريري لونه أزرق حالك يتدلى منها ويرفرف في الهواء. بدا مثل نهير أزرق صغير. لم تكن "شي لان" على قدرٍ بالغ من الجمال ولكن إجادتها العزف أكسبتها سحرًا خاصًا.

توقف الملك أمامها وقال بمرح:

- هل حملكِ لحقيبة مطرزة يعني أنك تخططين لشيء ما؟

اختلجت شفتاها قليلًا واحمرت وجنتاها وحركت رأسها، فظهر عنقها الأبيض الناعم الذي بدا مثل قطعة من جذور زهرة اللوتس النضرة. اتجه الملك بدوره ناحيتها وأومأ إلى الحارس الواقف بجواره. وفي تلك الليلة وبعد أن تحممت "شي لان" وتعطرت، تم إرسالها إلى غرفة النوم الخاصة بالملك ومعها آلة "جيا يه". عزفت لحنًا شجيًا على الآلة الوترية للملك.

صاح الملك الذي كان يعرف جيدًا ألحان البلاط الملكي مثل موسيقي "الحياة الممتدة" و"المخلوق السماوي الذي اصطحب معه خمسة من الخراف":

- ما هذا؟!

شعر الملك بالصدمة، وربما الدهشة، من طرافة وحداثة ما تعزفه "شي لان" من ألحان وأضاف قائلًا:

- فقط نفحات النسيم في صباح ربيعي وضوء القمر في إحدى الليالي الخريفية يمكن مقارنتهما مع هذا اللحن.

فأجابت "شي لان" قائلة:

- إنها "آلي لانج"، وهي أغنية حب فلكورية.

بعد برهة، نظرت للملك، وبعد لحظة تردد شرعت في الغناء ببطء وبنعومة وأبقت يديها تتحرك على حافة آلتها الموسيقية.

"آلي لانج، آلي لانج، آلي يو، حبي عبر تل آلي لانج. هجرتني وتركتني يا حبي وسوف تشعر بألم في قدميك قبل أن تسافر بعيدًا لخمسة كيلومترات. آلي لانج أمامنا بتلال متموجة، لكم بعدت كثيرًا؟ الطريق المتعرج لا نهاية له وقلبي بائس ودموعي المنهمرة بردت".

ذاب الملك في اللحن وحملق في العازفة، التي شعرت بالرعب من نظرته ووجهه الذي تحول للون الأبيض وبدا شاحبًا مثل ورقة ذابلة. وبعد وقت طويل، تنفس الصعداء وابتسم قائلًا: "مثل تلك النغمات لا بد وأن تُعزف في صالة عزف". وبعدها ببضعة أشهر لاحقة صمم بيتًا موسيقيًا في القصر الداخلي.

شُيِّد البيت أو الركن الموسيقي المُسمى بـ"الصوت الطليق" الواقع على ضفاف بحيرة اللوتس قرب بستان البامبو الذي لا يبعد كثيرًا عن غرفة نوم "شي لان". صُمِمَ البيت على يد حرفيين وعازفين موسيقيين وبُني بأفضل أخشاب

الصندل كما غُلِّف السطح ببلاط أخضر لامع مزود بفتحات للتهوية وأجراس هوائية من السيراميك المخلوط باليشب والمتدلي على شكل طبول من حواف سداسية الشكل. ومما أضفى مزيدًا من الجمال على هذا المعمار هو النهر الصغير الذي عبر تلك المنطقة ليصب في بحيرة اللوتس وتتدفق مياهه فيها.

وضعت "شي لان" منصتها على ضفاف النهر الصغير كي تتناغم ألحانها المنبعثة من آلتها الموسيقية مع خرير المياه مما يثري الصوت المنبعث منهما. واستقر الملك على ضفاف النهر على بساطٍ مزين برسوم جميلة وانتظر قدوم الحارسين من بيت الشاي وهم يغلون الماء الذي جلبوه من ماء النهر لإعداد الشاي للملك الذي أطرق مفكرًا: "إنها امرأة في الأربعين من عمرها على أي حال"، متخيلًا هيئة عشيقته "شي لان" في المرأة الواقفة أمامه. إن كان هو نفسه قد بلغ الأربعين من عمره و"شي لان" - التي بدت صغيرة كلما تقدمت في العمر - كانت أول من تصدمه بواقع فناء كل البشر وأنه حتي برغم كونه واحدًا من ضمن خلفاء اللـه الخمسة والموكل إليهم إجراء المهام المقدسة للحكم، لا يسعه أن يفر من مصير الفناء. وفي كل ليلة كانت تُرسَل "شي لان" إلى غرفة نومه وترتدي الثياب الحريرية، وبمجرد أن يتعرى جسدها، تبدو بشرتها أكثر نعومة من الثياب الحريرية نفسها. كانت تمثِّل بالنسبة للملك رمزًا للشباب. اعتاد الملك أن يؤلف الأشعار تيمنًا بها، مستخدمًا فرشاة للكتابة وأحيانًا بإصبعه فقط، وأبياتها كالتالي: "اجلسي في صمت حينما يتصاعد العطر الرقيق من شاي لم يكتمل بعد، قدميه لي في الوقت المحدد بسرور يملؤنا وسط براعم الزهر قرب المياه المتدفقة". اعتاد أن يتغنى بأبياته العاطفية برقة لتصل إلى مسامع "شي لان" مع كتاباته، والتي كانت من فرط خجلها تدفن رأسها في خصلات شعرها الطويلة وبعدها اعتاد أن يديرها إليه، ويقرِّبها منه على سريره، ويقيم معها علاقة حميمة طوال الليل مرة تلو الأخرى. وتتناثر خصلات شعرها الطويل وتتطاير عبر ملاءات السرير بفعل قبضته القوية. لم

تعد تستطيع أن تخفي حمرة خجلها. وتحاول عبثًا بخصلة من خصلات شعرها بداخل فمها أن توقف الصوت الكامن بداخلها الذي تسبب في إخافتها.

وبعد أن تنتهي تلك المشاعر المشتعلة، اعتاد الملك أن يمسك بخصلات شعر "شي لان" الجميلة بيد ويداعب جسدها بلطف باليد الأخرى، ويتمتم قائلًا: "أنت آلة الـ"جيا يه" الخاصة بي، أنت أغنية حبي". كانت الدموع تغمر وجه "شي لان" وجسدها يرتعش من فرط تلك السعادة، وبعدها بعامين حينما ماتت الملكة "يو لين" راقدة على سريرها بالمرض، ترقت "شي لان" من سرية وعشيقة للملك إلى ملكة ونالت مكانة الملكة "يو لين" وارثة لقبها ومكانتها تمامًا مثلما يرث المرء رداءً حريريًا ينم عن الثروة والسلطة.

وبعد احتفال التتويج، بدت كل سمات الرقة والرفعة للملكة "يو لين" على الملكة "شي لان" والتي لم تزل في العشرين من عمرها. ومع ذلك وفي الوقت الذي بدا فيه كل شيء ناجحًا بالنسبة إليها فإن عاطفة الملك تجاه جسدها الصغير تكاد تنعدم ولم يعد لها أي أثر. لم يعد يستدعيها لغرفة نومه منذ ذلك الوقت. وبالطبع لم يفتقر الملك للحيل لإبداء أو التعبير عن عواطفه خاصة وهو محاط بخادمات صغيرات من ذوات البشرة الناعمة التي تشبه ملمس الزهور في رقتها وخاصة الورود التي تحيط بالقصر في الحديقة.

أبقي الملك على عادته في احتساء الشاي والإنصات إلى الملكة "شي لان"وهي تعزف على آلة الـ"جيا يه" في الركن المخصص للعزف "الصوت الطليق" وحاولت "شي لان" أيضًا جاهدة أن تستعيد حبه عبر ارتداء ملابس كاشفة ووضع مساحيق تجميل فاتنة تجعل الحراس مهووسين بها في القصر. ومع هذا برغم اهتمام الملك بجرأتها وترقبه لجهودها، فلم يبدو أن مكانتها كملكة راقت له أو أحدثت أي فارق لدرجة أنه فقد أي اهتمام بها. واعتقد في نفسه: "هناك خطأ ما" وهو يبعد يديه عنها بابتسامة مفتعلة كانت بالنسبة لها كالنهر الصغير الذي فرقهما عن بعضهما البعض.

أمَّا الملك وقد جلس قرب النهر الصغير فلم تعد تهمه الألحان التي تعزفها الملكة "شي لان" على آلة الـ"جيا يه"، وبالفعل بدا عدم اكتراثه يزيد من ألمها ويزيد من شهيتها للطعام حتي زاد وزنها وفقدت عيونها بريقها الآخاذ، وصار احتشامها مثل القناع الذي لا يمكن خلعه.

توقفت خطي الأقدام المسرعة للعديد من النساء اللاتي يرتدين التنانير المفصلة من أفضل أنواع الأقمشة الصيفية قرب بوابة بيت الموسيقي حيثما أعلن الحارس جاثيًا على ركبتيه بصوتٍ عال: "تهانينا للملك لقدوم أميرته".

بالكاد توقفت الملكة "شي لان" عن العزف حينما نهض الملك فجأة ونظر إليها بشكلٍ غريب وقال:

- هل وصلت بسلام؟

انبعثت أصوات خفية وضحكات من الخارج. قال الحارس بعد أن سمع ما قالته له خادمات القصر:

- وُلدت الأميرة بابتسامة على وجهها.

على إثر تلك العبارة، خرج الملك من البوابة ووقف بجسده الذي تقدم به السن في ضوء الشمس وقال متسائلًا بابتسامة واضحة على وجهه:

- فتاة وُلدت بابتسامة؟

تبعته " شي لان" وهي تمشي بتثاقل بسبب وزنها وقالت بخوف:

- فتاة مولودة حديثًا مبتسمة بدلًا من أن تبكي إنه لفأل سيء.

اغتاظ الملك من كلامها، وأجاب:

- كلامكِ صار غريبًا جدًا منذ أن استدعيت رجال الدين الطاويين الصينيين لإجراء مراسيم الصلاة.

- ولكن...

- لا تنسِ أصلكِ.

لوح الملك بيديه، وبدت نفحة الهواء الآتية من كمه مثل ضربة توقف الكلمات التي كانت على وشك التفوه بها.

ردت الملكة " شي لان" بصوت خفيض جدًا:

- عذرًا.

حنت رأسها وأنزلت كتفيها.

استأنف الملك السير ولم تتبعه الملكة "شي لان" إلا بعد أن سار ستة خطوات.

لم تكن الخادمات كاذبات فقد كانت الطفلة الرضيعة التي أمسكت بها الخادمة المسنة تبتسم ابتسامة جميلة جدًا وعلى وجهها الصغير غمَّازتين وعيونها الداكنة اللون التي ومضت بشكل لامع. سُرَّ الملك "شيان زونج" من رزقه بأميرة صغيرة من عشيقته "لي" أكثر من فرحه عندما أنجبت له "لي" صبيًا منذ عامين مضيا. كان لديه تسعة عشر أميرًا وأميرتين توأم فقط ولكنهما توفيتا بمرضٍ وراثي بعد شهر من ولادتهما.

قال الملك وهو يحملق في الطفلة لبعض الوقت:

- لأنها تحب الابتسامة فسوف أسميها الأميرة "تسانج له".

اقترب من سرير "لي" ومد يديه لوجهها شديد الشحوب الذي بدا كالورقة الذابلة وقال:

- فلترتاحي جيدًا.

وجهت "لي" وجهها لجانب الوسادة الآخر كي لا يمسها الملك وقالت:

- أنا ملوثة بالدماء ولا يجب أن ألوث جسد الملك المقدس.

وعلى إثر تلك الكلمات سحب الملك يديه ونظر للطفلة الرضيعة حينما كانت الملكة "شي لان" تطل على السرير بجسدها المكتنز.

عانت "لي" جاهدة كي تجلس وقالت:

- مرحبًا بالملكة...

بينما رمقتها الملكة ببرود ودون أن تتفوه بأي كلمة.

وما الذي عساه أن تقوم به "لي" عدا المزيد من المعاناة! ولكنها كانت دومًا هشة الجسد والآن زاد ألمها وتعبها بسبب الولادة وفشلت في النهوض.

قال الملك:

- فلترقدي في السرير.

ثم خرج وهو يلقي بنظرة ساخرة على "شي لان".

ابيض وجه "شي لان" وشعرت أنها على وشك الاختناق في تلك الغرفة والتي بدت مليئة برائحة الدماء. وعند رؤيتها لـ"لي" وهي مرتدية رداء حريري حتى وسطها قالت بهدوء وهي تتصنع الابتسامة:

- ابنة الراقصة لن تضيع الفرص لتغري الملك.

ردت "لي" بابتسامة عذبة:

- ما الذي تصلح له المحظية عدا أن تمتِّع الملك؟

نشأت ابنة الراقصة في الأكاديمية الإمبراطورية. وفي إحدى الأيام عندما بلغت السابعة عشرة من العمر، ربطت نفسها بحبال الأرجوحة لتتمرن على الرقص وشاهدها الملك "شيان زونج" والذي كان عائدًا للتو من بلاطه الملكي في عربته. واعتقد بالخطأ أنه طائر الأقروس العرعري يطير إلى الأعلى والأسفل

وسط الأشجار، وسأل الملك الحارس بجانبه ما إذا كان يستطيع أن يرى جيدًا ورد عليه الحارس بتردد:

- يبدو أنها إمرأة تطير هناك.

ازداد فضول الملك وأوصلته عربته إلى خلف الأكاديمية. وبدأت "ساداكو" – المخيل بأنها "طائر الأقروس العرعري" - في التدريب على الرقص بدافع حبها للرقص نفسه أكثر من رغبتها في الرقص للملك. وحينما أتي "شيان زونج" إلى ساحة البلاط كانت الفتاة قد تركت الأرجوحة وبدت واقفة على حبلٍ رفيع، عارية القدمين ويديها مرفوعتين إلى الأعلى فوق رأسها وهي تقوم بحركات مختلفة. بالنسبة للملك، بدت يديها مثل طائرين ذو لون أبيض وصغيرين يمكنهما أن يطيرا بعيدًا في أي وقت.

ولكي تكون الفتاة لائقة لرفقة الإمبراطور، أعطى الملك "شيان زونج" والدها الراقص لقبًا كي تتأهل كمحظية. وكانت هي المرأة الوحيدة التي رفع الملك "شيان زونج" من مكانتها وهو في سن الثالثة والستين. كانت بشرتها الرقيقة شيء مختلف تمامًا عن الجسد البشري، وجسدها بدا في ليونته أشبه بعنقود من الصفصاف ونبات القابوق، وقد صارت محل ثقة للملك "شيان زونج" تمامًا. لأنه حتى بعد أن أنجبت صبيًا كانت ما تزال تستطيع أن تؤدي رقصة كاملة في جلسة واحدة.

فيما بعد تم منحها لقب المحظية "لي".

اتضح ازدياد نفور الملكة "شي لان" من هذا اللقب التافه في القصر واعتُبِرَتْ غيرتها بأنها لا شيء سوى غيرة سيدة عجوز. وفزعت عندما فوجئت بأنها غير مسموح لها التدخل في أي شيء حيث أنها تحمل مجرد لقب ملكة شرفي.

قالت في إحدى المرات مخاطبة اثنين من محظيات الملك المقربين إليها وهي تترنح من السُكر في حفل القمر:

- إنه خداع واضح بأن تجعلها نموذجًا للمرأة يحتذى به في البلاد.

انتقل قولها إلى أسماع الملك في تلك الليلة. ومع هذا فقد بدا متسامحًا تمامًا، وكل ما قاله وهو يمسك بأيدي "لي":

- النساء يملن لكثرة الانتقاد كلما كبرن في العمر.

وعند سماع ذلك، سحبت "لي" يديها من أيدي الملك التي تتحفظ عليها كالقفص مثل السحر ومشطت شعرها الداكن بأصابعها البيضاء النحيلة وأجابت بابتسامة على وجهها وقالت:

- الملكة تريد أن تكون المفضَّلة.

ابتسم " شيان زونج" قائلًا:

- إنها كالدولاب، ضخمة كفاية لأجلس بداخلها.

أجابته " لي" وهي تبتسم بدورها:

- آه! حقًا؟

مد الملك ذراعيه وشمَّر أكمامه ليظهر ساعديه عليهما بقع بنية حالكة تبدو مثل زهرة الكركديه، ثم قال متنهدًا:

- أنا رجل مسن.

ردت عليه "لي" معترضة وقالت:

- لست مسنًا لتلك الدرجة! ما زلت تستطيع أن ترفعني بذراع واحدة، ولنجرب ذلك إن لم يكن الأمر يمثل مشكلة لك.

وبهذه الإجابة خلعت فردتي حذائها وأمسكت بواحدة منهما في كل يد.

رد عليها الملك قائلًا:

- أتعنين أنكِ تريد سماع صوت عظامي العجوزة وهي تتحطم؟

ومع هذا، لم يسحب الملك "شيان زونج" ذراعيه.

أخرجت المحظية "لي" زفرة عميقة وكتمتها. ووضعت إحدى قدميها على ذراع الملك والأخرى على ذراعه الثانية، ثم قامت بعدة حركات، وقفزت مرتين كذلك قبل أن تقفز على الأرض وتخرج نفسها الذي كانت قد كتمته بشكل غير ملحوظ تقريبًا.

ضحك الملك وقال لها:

- لا بد أنكِ كنتِ فراشة في حياتك السابقة.

في الصباح التالي أتت خادمات الملكة "شي لان" وهن ينتظرنها في حمامها وسردن عليها وصفًا مفصلًا جدًا لما حدث في غرفة نوم الملك. وحينما فرغن من الحكي، قالت الملكة "شي لان" بتأمل:

- ترى ما الذي تريده تلك المرأة الوضيعة بحق الجحيم؟

ماتت الأميرة "تسانج له" ميتة شنيعة حينما كان عمرها خمسة أشهر فقط. ذهب الملك للمشهد ورأي عنقها المكسور. كان رأسها مائلًا قليلًا، لكن غمّازتاها لا يزالا يعطيان الناظر لها بأنها ستبتسم في أي لحظة. ألقى الطبيب الإمبراطوري مجرد نظرة على الجسد الظاهر من خلف الملك وهمس إليه قائلًا:

- قُتلت الأميرة على يد سيدة.

ودون التفوة بكلمة أخري أحني الملك "شيان زونج" رأسه ليمسح الابتسامة من على وجه الطفلة، لكن حينما لمست أطراف أصابعه جلدها الناعم، ارتعد من فرط البرودة المنبعثة منه.

جرت "لي" وشعرها الطويل يطير خلفها والماء يتساقط من أطرافه تاركًا علامات مائية على الأرض. بدت معالم جسدها من وراء رداء الحمام الذي كانت

ترتديه واضحة للعيان، وهو مشهد أجبر الأطباء الملكيين والحـراس عـلى الإشـاحة بنظـرهم إلى الأسفل وأوقفها الملك قائلًا:

- لا يجدر بك النظر.

لأنه بالرغم من كبر سنه وبصره الضعيف، استطاع أن يري النـار مـشتعلة في عيـون هـذه المرأة المبتلة.

لم تدفع "لي" يديه جانبًا؛ لأنها شاهدت بوضوح ابنتها "تسانج له" الصغيرة خلفه. لم يُسمَع أي صوت في القصر الفسيح باستثناء صوت قطرات المياه التي تساقطت من أطـراف خـصلات شعرها على الأرضية.

قالت " لي" متسائلة وهي تنظر نحو الملك:

- كيف حدث ذلك؟

التعبير البادي على وجهها لم يكن أشـبه بالبكـاء ولا بالابتـسامة. أمـسكت يديـه بقـوة مـما أخافه. وفجأة تركت يديه وصار جسدها أقصر وأقصر في عيونه حتـى انحنـي جـسدها بالكامـل عند قدميه. أمال الملك "شيان زونج" رأسه على جسد "لي"، ورأى في ثنايا شعرها المبلـول نجمتـين خافتتين تلمعان على وجهها الأبيض.

أدرك الملك "شيان زونج" أن بصره صار ضعيفًا تمامًا.

كانت جنازة الأميرة "تسانج لـه" أكـثرا إبهـارًا مـن حفـل تتـويج الملكـة "شي لان". بقيـت السيدتان الأهم بالنـسبة للملـك صـامتتين ومحتـشمتين أثنـاء عـزف الموسـيقي الحزينـة. أمـا المحظية "لي"، التي كانت دومًا ضعيفة الجسد ونحيلة، فقد بدت وكأن أي نسمة ريـح يمكـن أن تطيح بها بعيدًا. أمَّا الملكة "شي لان" التي ارتدت الزي الملكي فقد بدا وزنهـا أثقـل مـن ذي قبـل. أدركت محظيات الملـك وخادمـات القـصر والحـرَّاس فجـأة أن كرامـة الملكـة "شي لان" لا يمكـن إهانتها، ومن الآن فـصاعدًا قـد يتـسلل الخـوف إلـيهم في ظـل وجودهـا، وقـد تـرتعش أيـديهم

حينما يمرون أمامها. شعرت "شي لان" ببرودة شخصيتها يومًا بعد يوم وأصبحت تلك البرودة القارسة في داخلها غير متوافقة مع فصل الصيف في ذلك الوقت. ظل الملك "شيان زونج" يذهب إلى بيت الموسيقي ليستمع إلى الآلات الموسيقية في وقت العصر، كما لو أن شيئًا لم يتغير. ومع هذا فإن الملكة "شي لان" التي اختلج قلبها واضطرب عقلها أصبحت تعزف على الأوتار دون أي تناغم، وبدت يديها مثل زوجين من العناكب البيضاء في نظر الملك الضعيف.

لم يتبادلا أي كلمات بينهما باستثناء الصوت المنبعث من آلة الـ"جيا يه".

شرعت "لي" في قطف كل زهور الحديقة في المقر المخصص لمحظيات الملك بعد موت الأميرة "تسانج له". وبدلًا من قطف الزهور تمامًا فقد تركتها تتدلى من سيقانها. وحينما تثني ساق إحدى الزهور، فإنها تتركها تتدلي وتلتفت إلى خادمتها متسائلة:

- هل ماتت مثل تلك الزهرة؟

في المرة الأولي التي طرحت فيها هذا السؤال على الخادمة لم تجرؤ الخادمة على الإجابة. ولكن ما سببته بالزهور من جرحٍ على وجه الخادمة علمها – ليس هي فقط بل كل خادمات القصر الأخريات – أن تجيب بـ"نعم" على أسئلتها. هذه هي المرة الوحيدة التي فقدت فيها أعصابها، لكنها كانت أغلب الوقت رزينة ورقيقة. بدت الطريقة التي ثنت بها الزهور لبقة وحافلة بذكرى براءة الطفلة الصغيرة. حينما وخزها شوك الزهور، تلطخت أيديها بالدم المسال وصارت أصابعها متورمة مثل الجزر، فدعت الحاجة فيما بعد بأن يطعمها أحد.

في المرة الأخيرة ذهبت إلى بحيرة اللوتس قرب بيت الموسيقي. وبينما كان أحد الحراس يجدف بالقارب في البحيرة، جلست وحيدة عند مقدمة القارب، وأخذت تثني كل سيقان زهر اللوتس على الرغم من أن يديها لم تعد تستطيع أن تتحكم تمامًا فيما تقوم به من ثني السيقان نظرًا لانتفاخهما.

في عصر ذاك اليوم، عزفت الملكة "شي لان" لحن الـ"آلي لانج" وأسر عزفها المجدد الملك تمامًا لفترة طويلة وصارت يديه معلقتين في الهواء، حيث ظل حاملًا كوب الشاي. ومع ذلك لم يعد يعتبر اللحن شيئًا تطرب له الأذن فقد تغير كل شيء مع الأداء. بقيت الملكة "شي لان" صامتة لبعض الوقت بعد أن أنهت العزف الموسيقي، وبعدها قالت بنبرة هادئة:

- لو عاد الزمن للوراء لكنت اخترت أن أكون زوجتك مرة أخري بدلًا من أن أكون ملكة.

أجاب عليها الملك والحزن قد ملأ نفسه:

- أنا كبرت جدًا على التفكير جيدًا في الأمر.

وقبل أن ينصرف الملك وضع يديه على ظهرها وقال:

- في البداية كنت أستطيع أن أكتب بيتين فقط من الشعر، لكن عندما أصبحت قادرًا على كتابة أكثر من بيتين، لم يعد هناك متسع من الوقت.

حينئذ ضحكت الملكة "شي لان"، أولًا بشكل رقيق، وبعدها بشكل لا يمكن السيطرة عليه، واهتز جسدها بفعل الضحكة وقالت:

- لكم كنت حمقاء لأنني استشرت الكاهن الطاوي المبجل بشأن حيلة للبقاء لشهر واحد فقط!

كان جسدها يرتعش، لكن ضحكتها توقفت فجأة. وأخذت تعزف على الأوتار بأطراف أصابعها وقالت للملك:

- هل تأذن لي؟ أريد أن أعزف لحنًا لنفسي. فأنا لم أعزف أي لحن لنفسي من قبل.

بعد دقيقة من التردد سار الملك مبتعدًا عنها.

في ذلك العصر خنقت الملكة "شي لان" نفسها بأحد أوتار آلة الـ"جيا يه".

صارت المحظية "لي" الملكة الثالثة للملك. وسرعان ما نجحت في إقناعه بعزل الأمير المتوج وجعل ابنها خليفة على العرش. ومع تحطم كل آماله أراد الأمير المتوج والمعزول أن يغتال الملكة "تشن" ولكنه نال فرصة غير متوقعة بإثبات حقيقة الاعتقاد الشعبي المنتشر في القصر بقدرة تلك الملكة على الطيران.

اختبأ الأمير المتوج والمعزول ليلة بأكملها في حديقة زهر الأقحوان وابتلت ثيابه بالكامل. وبعد ذلك لمح الملكة "تشن" البيضاء البشرة وسط الزهور ذي الألوان البراقة بدلًا من أن تحجب الزهور جمال الملكة بألوانها الزاهية فقد بدت الملكة فاتنة لدرجة تجعل الزهور تخجل من جمالها. ولأنها كانت تسير ببطء شديد فقد بدت الملكة "تشن" في وسط الضباب كأنها تبحر لأسفل النهر صوب الأمير المتوج والمعزول. ولم تكد تقطف الملكة زهرة أقحوان من ساقها حتى انقسمت الزهرة إلى اثنين بحافة السيف الذي كان يمسك به الأمير المتوج سابقًا.

حينما وقف وسط شجيرة الزهور ممسكًا بالسيف في يديه، لهثت الملكة "تشن" مثلما تخيل وقال:

- لقد أجبرتيني على فعل ذلك.

- إنه أنت من لم يدع الأمر يمر بسلام.

وحملقت الملكة في وجه الأمير المعزول بعيون ضيقة وهي تشير لنفسها وأكملت:

- أنت أحمق مثل تلك البراعم التي تتفتح وتذبل على السيقان نفسها.

صاح الأمير موجهًا سيفه نحوها:

- كيف تجرؤين على إهانتي؟

حبست الملكة "تشن" أنفاسها ودافعت عن نفسها بصدها ضربة السيف وإردادها بالسرعة نفسها التي وجه بها سيفه. حينما انزاح نصل السيف بعيدًا،

قفزت مسافة أبعد قليلًا عن الأرض قبل أن تسقط على زهـرتين كبيرتـين مـن زهـور الأقحـوان الصفراء وعلى الأرض من بعدها.

ثبت القاتل في مكانه. صارت عيناه بـاردتين مثـل الطقـس الثلجـي حيـثما يـشعر النـاس بالبرودة التي تخترق جلودهم من الداخل. وبعد فترة طويلة أرخي قبضته على السيف وتركه يسقط أرضًا وقال:

- أنتِ لستِ بشرًا.

نظرت الملكة "تشن" نحو الأمير المعزول عبر مجموعة من النباتات، وبدا تعبير وجهها غـير مفهوم تمامًا وسط الضباب. وفي أخر الأمر قالت مبتسمة:

- أنت محق. ولكن على أي حال من الآن فصاعدًا لا يسعك البقاء بالقصر.

وعادت مرة أخري لحجرة الموسيقي لتجد الملـك "شـيان زونـج" العـاجز وقـد بـدا شـعره أشبه بالشعيرية الطازجة. أصبح يمـضي وقتـه بـشكل متزايـد في لعبـة جديـدة اخترعهـا وهـي الضرب على طبلة تطفو على سطح المياه بمغرفة.

قالت له وهي واقفة على بوابة حجرة الموسيقي:

- حان وقت عقد جلسة البلاط الملكي.

وأجابها الملك دون أن ينظر إليها:

- لماذا لا تقومين بالأمر بدلًا مني؟

أخذ رشفة من الإبريق الموجود بالقرب منه وأكمل قائلًا:

- أنا أعلم أنكِ مهتمة جدًا بشؤون البلاط الملكي.

صمتت الملكة "تشن" لبرهة وبعدها قالت:

- أراد الأمير المتوج والمعزول أن يقتلني في حديقة زهور الأقحوان.

أجابها الملك وهو يضع الإبريق جانبًا:

- حقًا! يا له من صبي أحمق.

وأمسك الملك المغرفة بيديه ليعزف بها وأصدر أصواتًا مثل أغصان اليابسة وهي تضرب على سطح الأشياء المحيطة بها وقال لها:

- ألا تريدين تجربة العزف؟ دائمًا ما تتمتعين بحسكِ الإيقاعي الجيد.

بقيت الملكة "تشن" بلا حراك.

ابتسم الملك "شيان زونج" وقال:

- لقد نسيتُ يديكِ. فقد كانتا مليئتين بالحيوية سابقًا، ولكنهما تبعتا موت الأميرة "تسانج له".

بدأت أكتافها ترتعش.

واصل الملك كلامه قائلًا:

- من السيئ تمامًا أن يديك الميتتين لا تسعهما إحياء ذكريات معينة للملك. علينا أن نجد طريقة لحل هذا الأمر.

أدخل الملك "شيان زونج" يديه في ثنايا خصلات شعره البيضاء وهرش رأسه. وبعدها أدار وجهه المليء بالتجاعيد نحو "تشن" وابتسم قائلًا:

- أذكر أنكِ تجهلين القراءة والكتابة. فابنة الراقصة لا يمكنها قراءة كلمة واحدة.

عاودت الملكة "تشن" الابتسامة مرة أخري ونظرت صوب الملك بعد وقت طويل بما يكفي كي تزهر زهرة. وسألته قائلة:

- منذ متى لم تعد تحبني؟

- منذ أن صرتِ الملكة "تشن".

أصبح وجهه المليء بالتجاعيد مشدودًا وعاود العزف مرة أخري على طبلته وأضاف قائلًا:

- إن أفضل وسيلة للتخلص من المرأة التي أكرهها هو أن أنصبها ملكة كي تصير رمزًا للنساء اللاتي لم يعدن من المفضلات. هناك دومًا العديد من الملكات والمحظيات في القصر، لكنني لا أحب سوي إمرأة واحدة.

سمع الملك غمغمة آتية من المرأة الواقفة خلفه متبوعًا بكلمات قيلت بصوت منخفض. كانت كلماتها ذات إيقاع، فأخذ يفكر حتى عندما كانت تصدر هذا الكلام.

- يبدو أنهم محقون. لقد أصبحت فعلًا رجلًا مسنًا ومشوش العقل.

عند وفاة الملك "شيان زونج"، خلفه "جينج زونج" على العرش وهو ما يزال صغيرًا جدًا في السن حيث توج من خلال شاشة حريرية مطرزة برسومٍ لثلاث آلاف من أسر سلالة "جاو لي" الحاكمة بقرية "جيانج شان". وخلف تلك الشاشة الحريرية جلست الملكة "تشن" لتدير شؤون الدولة.

وفقًا للسجلات التاريخية فإن الملكة "تشن" ارتكبت أمرين عدوانيين. الأول هو قتل العديد من مئات الأطباء لفشلهم في علاج يديها، وهو ما نتج عنه ارتفاع حاد في تعداد الموتى في البلاد. وبدا الأطباء عاجزين حيال يديها المعتلتين ولم يستطيعوا أن يتتبعوا أسباب علتها تلك. الأمر الآخر الذي ارتكبته هو أنها عرضت "جينج زونج" لتدريبٍ قاسٍ في تعلم فن الخط منذ سن الثامنة عندما تُوج، كما أجبر على دراسة فن الكتابة على يد معلمين ملكيين أثناء النهار وعكف ليلًا على تدوين ما تمليه عليه أمه كي يعقب ويصحح العشرات من التذكارات الملكية. واستنتج انطباعه الوحيد عن أمه من تلك العشرات من العبارات التي كانت تستخدمها كي تصدر أوامرها. ومن بين ملوك أسرة "جاو لي" لا يعد "جينج زونج" بارزًا في حكم البلاد ولكنه كان جديرًا بالاحترام وكان يذكر بحسن خطه.

وحينما وصلت الملكة "تشن" إلى منتصف العمر، أصلحت من الأزياء الاحتفالية للمحظيات الملكية واستبدلت الأساور الضيقة التي تناسب المعصمين جيدًا بزوجين من الأكمام الفضفاضة والطويلة والتي تبدو أنها غيرت من طول الأذرع وكأن ذلك حدث بفعل السحر حينما تتمايل تلك الأكمام.

ترددت كلمات مثل: "على أي حال هي ابنة راقصة". كانت تلك الهمسات التي تتردد وسط أركان البلاط الملكي في تعليقاتهم على الزي الجديد الذي ينم على النبل بالغ الوصف.

توفيت الملكة "تشن" أثناء نومها حينما كان "جينج زونج" في الخامسة والعشرين من عمره. وشعر بالصدمة لمرأى أمه في غرفة نومها. كان وجهها ملتويًا كما لو كانت ماتت مخنوقة. وربما حاولت جاهدة أن تبعد اليدين اللتين حاولتا خنقها. لكن لم ترى أي آثار على الذراعين اللتين كشفتا عنهما من الأكمام الفضفاضة.

يبدو أن كفي الملكة "تشن" قد تم بترهما منذ وقتٍ طويلٍ جدًا بخفة، وقد طارا مثل زوجٍ من الطيور.



بان سلي[1]



سكوت من فضلكم. الآن سأسرد عليكم قصة.

اشترى والدي أمي من بيت غناء ورقص. كانت أمي جميلة جدًا. حينما بلغت الثامنة عشرة من عمرها، كانت جميلة لدرجة جعلت كل رجال المدينة يغرمون بها. وكان والدي وسيمًا بدوره ومهذبًا في سلوكه باعتبار أنه نشأ في أسرة نبيلة، وفي أحد الأيام التي اعتاد فيها أحيانًا أن يشرب الخمر، خرج من إحدى الحانات بعد أن أنهى زجاجة كاملة من خمر الأرز، لفت نظره عدة أسماء محفورة على لوحات خشبية معلقة على "بيت العبير المخفي"، فأخبر والدي صاحب محَلِّ أقمشة الحرير المجاور للبيت وهو يشير للوحة التي تحمل اسم أمي:

- سأتزوج هذه المرأة.

نظر صاحب المحَلِّ إلى والدي وقال:

- إذا أردت التقدم بطلب زواج، لا بد أن ترتدي ثيابًا ملائمة. لدينا أنواع كثيرة من الحرير الصيني عالي الجودة، وصل إلينا حديثًا.

---

(1)- هي مسرحية موسيقية سردية مكونة من عازف على طبلة ومغنية واحدة. تعبِّر عن القومية الكورية الصينية. أحيانًا ما تحمل تلك الأعمال الكثير من الأسي والحزن، كما تستخدم فيها المراوح للتعبير، مثلًا، عن العواطف وسقوط الثلج أي كل ما لا يمكن التعبير عنه لا بالغناء أو الرقص أو الألحان والصوت البشري.

بعد أربع ساعات من دخول والدي محل القماش، خرج منه وهو يبدو شخصًا آخـر تمامًـا واتجه مباشرة إلى "بيت العبير المخفي"، حيث قـضى فيـه يومًـا وليلـة، ثـم تـزوَّج مـن إحـدى مغنيات البيت.[2]

كان والدي يمتلك بيتًا كبيرًا ملحقًا به حديقتين وأكثر من عشر غرف. وحـسبما أتـذكر، تـم إخلاء هذه الغرف واحدة تلو الأخرى، ثـم تحوَّلـت تلـك الغـرف مخـزن تُـترك فيـه الحقائـب الفارغة. اعتدت اللعب والنوم في تلك الغرف. في أحد الأيام كنت نائمة هناك، واستيقظت مـن أحد أحلامي عندما شعرت بوجود أشخاص في الغرفة. كان هناك رجل غريب يرقد فـوق أمـي التي تناثرت خصلات شعرها الداكن مثل المياه على البـساط الأبـيض المنقـوش. بعـد أن غـادر الرجل، بكيت أمي وهي راقدة على هذا البساط لوقتٍ طويل، ثم فجأة صارت بلا حـراك كـما لو أن شيئًا ما ثبَّتها في مكانها، بعدها بلحظة سارت نحـو الحقيبـة التـي كنـت نائمـة بـداخلها ورفعت غطائها ثم مسحت دموعي بطرف أكمامها وابتسمت. قالت لي برقة:

- لا تختفِ وسط الحقائب مرة أخرى؛ فهذا لا يليق بابنة رجل نبيل.

حينما كان والدي يشرب الخمر، خرجت الكلمات من فمه كثـيرة وسريعـة. قـال بـصوت مرتجف:

- كان بوسعي أن أتزوج امرأة صغيرة السن تحمل لقبًا نبيلًا. ربمـا هـم ليـسوا مـن ذوات الجمال الباهر، ولكن ألا تتشابه كل النسوة في القبح؟ لكنني فشلت في فهم معنى ذلك عندما كنت صغيراً، وتزوجت من عاهرة أنجبت بدورها عاهرة أخرى هي أنتِ.

لكن قبل أن يضرب أنفي بإصبعه، كنت قد ابتعـدت عنـه بمـسافة كـبري. كانـت رائحتـه دومًا تفوح بالكحول، وذلك ما يجعل الابتعاد عنه أو العثور عليه أمرًا يسيرًا.

---

(2)- مرفهات أو مسليات أشبه ما يكون بفتيات الجيشا ولكن في قومية كوريا الصينية ويتعين عليهم أن يجدن الشعر والموسيقي والغناء وفنون الخط.

حينما أُخليت كل الغرف، حبس أبي أمي في إحدى الغرف وسمح بدخول من يجلب له الخمر فقط. في بادئ الأمر، كان يمكن سماع صوت أمي وهي تبكي خارج الغرفة، لكن بالتدريج بدا صوتها وهي تغني مسموعًا من داخل الغرفة طوال اليوم، كما لو كانت أسعد:

"بدا الفأس جيدًا كما هو، ولكن نصله رفيع. ما زلنا نحتاج المناجل لحصاد سنابل الأرز والشعير. لقد وقع الأخ في غرامي وهو عطوف ورقيق. ولكنه لا يملك الذهب ولا الفضة، ولن تدعني أمي أذهب لمقصورته وأكون زوجته".

وبعدها بوقتٍ لاحق، فتح والدي الباب، لكن أمي أغلقت باب الغرفة على نفسها. أخبر الناس، الذين اعتادوا الذهاب إليها، أبي بأن أمي كانت يصيبها الجنون بعدما يخرجون من عندها، على الرغم من أن أبي أنكر الأمر وزعم أنها لم تخرج من الغرفة لأن الحياة خارجها لم ترق لها.

في إحدى الليالي، سمعتُ أحدًا ينتحب وشعرت بشخصٍ ما يُمَلِّس عليَّ في حلمي. وفي اليوم التالي حينما استيقظت، رأيت سريرًا خشبيًا قد وضع في الحديقة، وأمي ترقد عليه، وقد لفها العديد من النساء بقماش أبيض.

جلس والدي وهو يمسك بإبريقٍ في يده، وقال:

- كان من الممكن أن أحصل على سعرٍ أفضل لهذا البيت. الآن كل شيء دُمر.

أشار إلى أمي وتساءل قائلًا:

- لماذا لا تدعيني وشأني أبدًا؟ ها هو حظي الجيد قد تحول لحظٍ سيء بسببكِ أنتِ أيتها العاهرة.

ثم ألقى بالإبريق صوب أمي، لكنه اصطدم بامرأة أخري صرخت وكأنها رأت الشيطان.

حينما بيع منزلنا، انتقلت أنا وأبي إلى كوخ مكوّن من غرفتين في طرف المدينة. وفي كل صباح وفي وقتٍ مبكر، اعتاد أبي الذهاب إلى إحدى الحانات والشرب حتى يترنح من السكر، ولا يعد إلى المنزل إلا في وقتٍ متأخرٍ من الليل. بدأت في تعلُّم فن التطريز في إحدى الورش. كانت والدة صاحبة المحَلِّ سيدة نحيفة جدًا وشاحبة،

كانت مغنية "بان سلي" مشهورة فيما مضي، على الرغم من أن حجمها صَغُرَ حتى صارت في مثل حجمي الآن. في كل عصر كانت تغني لنا بعض القصص بصوتٍ أجش. بدت تلك الأغنيات ساحرة جدًا لدرجة يصعب مقاومتها.

في يومي الأول هناك، لوَّحتْ إلى قائلة:

- تعالي إلى هنا أيتها الفتاة.

اتجهت إليها وسألتني:

- من أنتِ؟

- اسمي "تاي جيانج".

- هل أنتِ تلك الفتاة الصغيرة، ابنة الرجل المبذِّر الذي لا فائدة منه؟

- نعم.

- ما زلت أذكر أمكِ. كانت جميلة جدًا وصوتها أكثر سحرًا من صوت الكروان.

- لقد ماتت.

- نعم، أعلم أنها ماتت.

نظرت إلي والدفء يملأ عينيها، كما لو كانت تداعب وجهي بدفئها. قالت لي السيدة المسنة بعاطفة بادية على وجهها:

- لم ترثي جمالها على ما يبدو، لكنكِ ورثتي صوتها الجميل.

كنت سعيدة بالوقت الذي أقضيه في ورشة العمل. بدت الزهور التي طرزتها وكأنها ينبعث منها الأريج، والطيور التي طرزتها بدت وكأنها ستغرِّد. وحينما أجدتُ التطريز، أصبحت مهتمة بقصص "البان سلي"، والتي – بالنسبة لي - اعتقدت أنه من الممكن أن أسردها على الآخرين بشكل أفضل من الجميع.

قالت لي صاحبة المحَلّ أننى وُلِدتُ كي أقوم بالتطريز، لكن والدتها اعتقدت أنني أصلح لكي أكون مغنية "بان سلي". وأحيانًا ما تعاركتا حول هذا الأمر، وبما أن أيًّا منهما لم تستطع إقناع الأخرى برأيها، وسألاني:

- ما رأيكِ أنت يا "تاي جيانج"؟

دائمًا ما كنت أجيب:

- أريد أن أعمل بالتطريز.

حينئذ تضحك الابنة بسعادة وتقول لأمها:

- أترين يا أمي؟

وترد الأم وهي تضحك أيضًا بسعادة:

- دعونا ننتظر ونرى. لدي الكثير من خبرة الحياة ولم أخطئ أبدًا في حكمي على الأشخاص. إنها مغنية "بان سلي" بالفطرة.

حينما بلغت السادسة عشرة من عمري، دخل رجل غرفة نومي في إحدى الليالي وأهانني. وحينما طلع الفجر، أتى والدي إلي، وقال:

- ذلك ليس بمشكلة. اعتبريه مجرد حلم.

اعتاد أبي أن يأخذ مالًا من هذا الرجل ويشتري الكثير من الخمر. دائمًا ما كان يمسك بالإبريق في يده أثناء حديثه معي.

نهضت وقمت بإعداد الفطور، ثم اتجهت إلى الورشة كالمعتاد. سألتني كل السيدات العاملات السؤال نفسه:

- لماذا تبدين شديدة الشحوب هكذا كالورقة الذابلة يا "تاي جيانج"؟

كنت أجيب هكذا دون أن أفكر حتى:

- جاءتني أمي الليلة الماضية.

صاحت النسوة في فزع:

- واو! هل رأيتِ عفريتًا؟

أجبت باكية:

- نعم، تبدو جميلة، لكنها من دون أجنحة.

اندهشن مما قلت وتساءلن:

- هل تملك الشياطين أجنحة؟

- بالطبع.

دائمًا ما كانت تقول لي أمي، "الجميع يحاولون أن تنموا لهم أجنحة بعد الموت. وعندما يصبح لديهم جناحان كاملان، سيتمكنون من التحليق وستدخل أرواحهم جسد إنسان حديث الولادة وهكذا يُجسَّدون ثانية".

قلن لي وهن يتنفسن الصعداء:

- هذا كل ما في الأمر إذن.

رأيت من وراء كل زميلاتي في العمل مغنية "البان سلي" التي تغلبت ابتسامتها على التجاعيد في وجهها وانتشرت تلك البسمة في وجهها بأكمله.

حينما لم يتمكن والدي من الحصول على أي كحول ليشربه، اعتاد الرجال القدوم إلى غرفة نومي. حدث ذلك مرارًا وتكرارًا. لم أعلم من هؤلاء الرجال، ولا واحد منهم، ممن كشفوا مفاتني. كل ما علمته فقط أنهم كانوا يأتون ليلًا ويغادرون في الظلام، بدا ذلك بلا معالم مثل وجوههم تمامًا.

لاحقًا تزوجت.

لمع مهري في الشمس وبدا أكثر لمعانًا من العروس نفسها، بينما كان والدي يجلس على عتبة الباب ويلوِّح لي مبتسمًا. فالرجل الذي تزوجته كان ابن صاحب إحدى الحانات والذي أتى مطالبًا بالأجر نظير الكحول الذي يدين له به والدي، حينها رآني. اقترح على والدي بأن عليه أن يخطبني له، وبالتالي لن تلغى ديون والدي كلها فقط، بل سيسمح له بشرب ما يحلو له من الخمر في "حانتنا" مستقبلًا. وافق والدي على الفور.

لكنه لم يشرب. عندما اكتشف الرجل في ليلة زواجنا أن العروس لم تكن عذراء مطلقًا، صفعني على وجهي صفعتين وصاح:

- كان يجب على أن أعلم على ماذا يحيا والدكِ السكير!

حينما استدعى والدي للحانة في اليوم التالي، ضغط عليه كي يأخذني مرة أخرى.

قال الرجل الذي كان زوجي لمدة يوم واحد:

- لا يمكنني أن أهين نفسي وأتزوج من عاهرة مستعملة.

ألقوا بالمهر وبي في عربة متهالكة جرّها حصان كريه وأُرسلت للبيت.

تابعنا العديد من الناس في الطريق. أكثر من إصبع أشار إلى طوال الطريق وهم يتهامسون. التفت والدي إليَّ وقال لي:

- لما لا تختفين تحت مهرك؟ لقد جلبت لي العار والخزي البالغ.

لكني نظرت إليه وابتسمت.

فقال غاضبًا:

- هل ما زلتِ تجرؤين على الضحك؟

واتجه إلى الناظرين قائلًا:

- ألا ترون أنها ما زالت تبتسم، يا للسماء! إنها عاهرة بلا أدنى شعور بالخجل تمامًا مثل والدتها.

تركني في البيت وقاد العربة نحو المعرض وعاد مرة أخري ببرميلين من خمر الأرز مقابل مقايضته لمهري. كم عانيت من أجل ادخاره لعامين.

عدَّل ذلك من مزاجه. حينما عاد للبيت قال بسعادة وهو يقيّم مدى فائدتي:

- إن كنت أدركت أنه من الممكن أن أحصل على الخمر نظير تطريزك لم أكن لأرسلك بعيدًا.

قُمت على إثر كلماته بالإمساك بديك حي كنت احتفظت به لحفل زفافي من اليوم السابق وألقيت به في إحدى البراميل وتصارع الديك المسكين في الخمر وصاح والدي:

- يا للسماء!

حينما وصل للبرميل وحصل على الـديك، دفعتـه دون جهـد تقريبًـا إليـه. وبعـد أن ازدرد كميات من الخمر، ارتفع رأسه من سطح البرميـل ولكنـي ضـغطت عليهـا مـرة أخـري. حـاول جاهدًا رفع رأسه خارج المشروب الذي يملأ البرميل ولكنني جعلته يغوص مرة أخري. اسـتغرق ذلك أكثر مما ظننت، ولكن لحسن الحظ كانت النتيجة مـثلما توقعـت. جلـس والـدي وسـط الخمر وبدا آخر تعبير على وجهه في حياته يعبِّر عن الاضطراب.

تم القبض عليّ بتهمة قتل رجل من النـبلاء. لا أعلـم كيـف فتـشوا في تـاريخ أبي العـائلي، والذي لم يشر إليه أحد لسنوات.

في يوم محاكمتي المفتوحة، تجمهر كل سكَّان المدينة في الساحة حيث ستجري المحاكمـة. لمعت عيونهم من فرط المرح، كما لمعت أيضًا أنصال السكاكين في أيدي جند الحكومة.

سألني القاضي:

- هل تعترفين بتهمتكِ؟

- أي تهمة؟

كرر القاضي سؤاله:

- إذًا هل تنكرين تهمتكِ؟ لابد أن أذكِّرك أن قتل رجل من النبلاء جريمة عقوبتها الإعـدام وفقًا للقانون.

كان هناك هرج ومرج وسط العامة. رأيت والدة صاحبة المحَلّ والتي "كانت" مغنية "بـان سلي" مُرتدية أفضل ثيابها. اتجهت نحوي وسط الحشد على منـصة يحملهـا قلـة مـن الرجـال على أكتافهم. كانت تمسك بمروحة، وتقف قرب طبلة دائرية بجانبها.

سألها القاضي:

- من أنتِ؟

أجابت المرأة العجوز بصوت لم يبدو عاليًا تمامًا لكن الجميع سمعوه بوضوح:

- أنا مغنية "بان سلي" وأدعى "يو خوا".

سرعان ما تعالى صوت همسات الجمهور تعليقًا على ما يحدث.

قالت "يو خوا" وهي تخرج لوحة ذهبية من داخل ملابسها الخارجية:

- حينما كنت أؤدي عروض "البان سلي" للملك الراحل "زو شيان" في القصر الإمبراطوري، منحني هذا.

وقال القاضي بسخرية:

- لا يمكنكِ أن تخيفيني بالملك الراحل.

ولكن حينما سلمه أحد الجنود اللوحة الذهبية، أمسك بها في يده ونظر عن قرب فيها من جانب إلى آخر. وبعد برهة طويلة سأل "يو خوا":

- ماذا تريدين؟

ردت عليه:

- أود أن أغني أغنية "بان سلي" قبل أن تصدر حكمك على "تاي جيانج".

رد عليها القاضي:

- لا يمكن أن نعفو عن القتلة. ولا تهمني اللوحة الذهبية التي منحكِ إياها الملك الراحل.

ردت عليه "يو خوا":

- لا. أنا أود فقط أن أغني أغنية "بان سلي".

أجابها القاضي:

- حسنًا، فلتتفضلي.

وهكذا، بدأت "يو خوا" في ترديد إحدي أغنيات "البان سلي". لم أعرف مطلقًا عمَّن كانت تغني، لكنني أدركت أن دموعي تتساقط بلا توقف مثل ينابيع الربيع. وبالفعل ليس أنا فقط ولكن كل الحضور في الساحة بكوا من

فرط التأثر من أغنية "البان سلي" لـ"يو خوا"، حتى القاضي الصارم غَطَّى وجهه بكُمِّه. وحيـنما توقفت عن الغناء، تلا ذلك فترة طويلة من الصمت. ثم صاح أحدهم:

- أطلقوا سراح الفتاة المسكينة.

عقب ذلك هياج فجائي، فقد أحاطت بي طبقة تلو الأخرى من الأصوات حتى صدر صـوت أكثر حدة. لمعت عيون الناس وهي تنظر نحو القاضي واستمروا بالصياح:

- أطلقوا سراح "تاي جيانج"! أطلقوا سراح الفتاة!

بدت عيونهم مخيفة. لذا اعتقدت أن القاضي لم يدينني جزئيًا بسبب "يو خوا" ولكن أيضًا بسبب تلك الأصوات المهددة.

نعم، كما تعلم الآن عزيزي القارئ، صرت مغنية "بان سلي"، وأنـا مـن تـسرد القـصة وأنـا أيضًا محورها.



صاحبة بيت المتعة

الغانية



يناديني الناس في "نان يوان فو" بـ"الآنسة تشون شيانج من بيت مدام شيانج".

تعمل والدتي "مدام شيانج" بأقدم مهنة في التاريخ. حيث تاجرت بجسدها نظير المال. وهذا الطريق الذي اتخذته في الواقع بدا لافتًا للنظر جدًا، ورغم أنه ينطوي على عدة مخاطر، إلا أنه أحيانًا ما يضمن مكاسب مالية غير متوقعة.

خارج محل إقامتنا - متجر العطور - كانت هناك عربات فاخرة مزينة بالنحاس ومزخرفة بالشراشيب الذهبية من أعلى والتي حملت المعجبين بـ"مدام شيانج" عبر الوجهة المحددة وصولًا إلى هنا. لا يتعلق الأمر بي، لأنني كنت بعد في الثامنة عشرة من العمر، ولم تكن لدي أي رغبة في الرجال.

في مهرجان قوارب التنين العام الماضي، مثَّلتُ أمام الناس لأول مرة في "نان يوان فو"، كنت مرتدية ثوب بسيط جدًا في مظهره، ومعه قبعة مربوط بها قناع أبيض ليغطي وجهي بالكامل لأتجنب لفت الأنظار إلي. ومع هذا وبسبب سنوات من الاستحمام بندى الزهور، كانت رائحة عطرية قوية تنبعث مني تجذب النحل والفراشات من حولي بالرغم من قلة النسيم. كان ذلك احتياليًا نوعًا ما. في ذاك اليوم اصطحبتني خادمتي "شيانج دان" التي أسرت بشكلها

الجميل وأسلوبها المهذب أنظار المحيطين بها من الرجال. شعرتْ بالسرور بنفسها وأقنعتني باللهو على الأرجوحة.

وبينما كنت أتأرجح على مقعد الأرجوحة دفعتني "شيانج دان" أرضًا، ولكن الأرجوحة صعدت إلى الأعلى والأعلى، وكانت أسراب النحل والفراشات تحوم من حولي. أثناء التأرجح إلى الأعلى، رأيت "تشانج تشنج" في سفح الجبال شمالًا، ورأيت أيضًا زوجًا من تماثيل الطوطم، رمز القبيلة الخشبية اللامعة الطلاء، والتي تُصور رجلًا وامرأة، واللذان يعتبران حراسًا لمنطقتنا. يعتقد الشباب الصغار سنًا أن وضع قطعة من القماش تحمل أسماءهم على التماثيل سوف ينعم عليهم بالعثور على الحب الصادق. ومع المزيد من التأرجح إلى الأعلى والأعلى، رأيت مزيدًا من المباني والغابات التي تكشفت لي من الأسفل والتي كانت مخفية في مكانها المحدد، بدأت في الشعور بالدوار. ومع ذلك، لم تنوي "شيانج دان" أبدًا إيقاف الأرجوحة، حتى لمست قدماي الأجراس الذهبية في أعلى نقطة في الوقت الذي أطلق الحشد فيه أصوات تهليل عالية، والتي عندما وصلت إلى مسامعي وصلت كأنها مقتطفات أصوات متقطعة بفعل الرياح وتناثرت بعيدًا. لكن مشاعر الخوف استولت على من علو الأرجوحة، ومن نية "شيانج دان" بقتلي. رغم أنها بدت قبيحة جدًا في مظهرها حينما أتت إلى بيتنا منذ عشرة سنوات مضت، ربما أدركتْ في تلك اللحظة أنه من الممكن أن تكون أجمل سيدة في المدينة إذا أتيح لها أن تمحيني من الوجود. لكن تلك المغامرة بأكملها انتهت بفضل قبعة القش التي كنت أرتديها ذاك اليوم. فقد حملتها الرياح من على رأسي وبعد أن طارت ولفت عدة مرات في الجو قبل أن تسقط أمام "شيانج دان" التي توقفت فقط في تلك اللحظة عن دفع الأرجوحة.

ومع تباطيء ميل الأرجوحة عُدت مرة أخري إلى الأرض، لكنني كنت ما أزال أشعر بالخوف ولم أستطع الوقوف على قدمَي. جلستُ على المقعد، كنت محاطة بأناس يحدِّقون في. بدوا مهتمين بمظهري ولكن تحديقهم ضايقتني. استعادت

"شيانج دان" قبعتي مرة أخري، ولاحظتُ أن حافتها تلوثت بـالطين فتركتهـا. حيـنما اسـتعدت قدرتي على السير، شققت طريقي عبر الحشد واستمعت للناس من خلفي وهم يتحدثون عـن "الآنسة تشون شيانج من بيت مدام شيانج".

كانت أمي أجمل سيدة في "نـان يـوان فـو". حيـنما بلغـتْ الـسادسة عـشرة مـن عمرهـا، سلمت نفسها إلى الحاكم في ذاك الوقت وصارت حاملًا في. لو كنتُ صبيًّا لربما صـارت عـشيقة للحاكم. لكنني أصبحتُ سبب رفض الحاكم لها. لذا صارت أمي "مـدام شـيانج" والتـي فاقـت سمعتها شهرة الحاكم وجذبت اهتمام العديـد مـن مـوظفي القـصر وذوي المناصـب النبيلـة. سرعان ما نسيت "مدام شيانج" ما فعله الحاكم وأدركت أنها ليست سوى دليلًا على أن المـرأة وجب أن تدفع ثمن بلوغها.

منذ أن كبرت، كانت "مدام شيانج" قد قلبت نهارها ليلًا وليلها نهارًا. لم تستيقظ أبدًا قبـل أن تضاء كل المصابيح. كان جلدها ناعمًا جدًا مثل الحرير ووجهها مشرقًا وصـافيًا مثـل شـعاع القمر. في إحدى المرات ولمدة ليلتـين وقفـتُ في الحديقـة أخـتلس النظـر إليهـا عـبر نافـذة في الجدار. كانت ترتدي قميصًا قصيرًا خفيفًا وجيبة طويلة وربطت شعرها بتسريحة الكحكـة في آخر رأسها من الخلف بدون أي زينة للشعر باستثناء دبوس شعر فضي مصنوع من اللؤلـؤ. في تلك الليتين، لم يأتي أي رجال إليها باستثناء ممثلها المفضل الذي كان يعزف عـلى آلـة الــ"جيـا يه" بجوارها.

عندما نظرت إلى "مدام شيانج"، صارت عيناي مثل بئرٍ مملـوء بالميـاه. فقـد أهـدتني كـل أيامها المشمسة وتركت لنفسها الليالي المظلمة، ومع هذا فقد حافظت على هدوءها. وفي تلك اللحظة شعرت أنني محظوظة بأنني ابنتها أكثر من كونها أمي.

في ذلك الربيع، أتى فتى وسيم وخجول يعمل صانع أحذية ويُدعى "تسوي إن" إلى متجـر العطـور. قـد وقعـت في غرامـه مـن أول نظـرة، لكنـه لم يتبـادل معـي

ولو نظرة واحدة. حينما كان يقيس مقاس قدَمَي ويمسك بباطن قـدمي براحـة يديـه، شـعرت بنوع من الحميمية التي توجد عادة بين الجنسين وأدركت أن راحة يـده تلـك كانـت في مثـل طول باطن قدمي. ظللت أنظر إليه وآمل أن يتبادل معي النظرات ويقرأ مـا في ذهنـي. لكـن حدث غير ذلك، فقد وضع قَدَمَي مرة أخرى في حذائي.

تركته وأنا أشعر بالتعاسة بينما أسير تحت أشعة الـشمس اللامعـة. بعدئـذ جلـست "شـيانج دان" في ذاك الكرسي نفسه الذي قمت منه للتو ووضعتْ قـدميها تحـت نـصف جـسد "تـسوي إن" الأعلى. وبعدئذ دخلت غرفته في تلك الليلة.

لم أستطع النوم في تلك الليلة، كنت جائعة، لذا اتجهت إلى المطبخ لأجد شيئًا آكله. ظللت أتناول الطعام حتى الصباح وأنهيـت سـلطانية مـن الـشعرية البـاردة وطبـق مـن كعـك الأرز الشهي وطبق أرز ملفوف في أعشاب البحر، وطبق مـن "الـساشيمي"وبعـض مـن كعـك الأرز المحشو، ولحسن الحظ أنني كنت ما زلت حية حينما طلع الصبح.

بدت "شيانج دان" متألقة وحالتها المعنوية مرتفعة، وهي تحكي لي عن "تسوي إن" وهـي تنظف الغرفة. ومع ذلك فقد أنهت كلامها قائلة لي:

- ولكن على أي حال، إنه مجرد حرفي وضيع.

سقطت مني السلطانية الصينية التـي اعتـدت أن أقـدم فيهـا الـشاي وانكـسرت، تنـاثرت قطعة مكسورة التي التقطتها "شيانج دان" حينما كانت ترتب الفوضى.

في ذلك العام في مهرجـان قـوارب التنـين، التقيـت بــ"لي منجلـونج". كنـت أرتدي زوجًا من الأحذية الجديدة التي صنعها لي "تـسوي إن" الـذي لم يـبطن كعبي العالي خصيصًا فحسب أثناء تزيينه لنعلي الحذاء، لكنه نحت أيضًا نعلي الحذاء وطرزهما بتشكيلة رائعة من زهور الكركديـه الجميلـة والتـي صـنعت

بتطريز أبيض على يد أفضل مطِّرز في المدينـة أثنـاء تـزيين مقدمـة الحـذاء العلويـة بـالحرير الوردي الفاتح.

بدت "شيانج دان" مكتئبة في ذلك اليوم أثناء تمشيتنا سـويًا. بـدت غاضـبة مـن "تـسوي إن" لأنه صنع نعلي حذائها من الخشب اللين مما أفسد عليها حلمها بامتلاك زوج من الأحذية بنعـلٍ أفضل من نعلى. في اليوم السابق، غادر "تسوي إن" متجر العطور- لأنه أنهي عمله وأيضًا انتهـت علاقته بـ "شيانج دان".

اقتربنا من أحد المعابد القديمة، حينما سمعنا أصوات حوافر أحصنة تقترب خلفنا. جذبتها جانبًا لنختبئ في المعبد القديم ومن فرط تعجلي فقدت فردة حذاء وقعت مني على الطريق.

يبدو أن ما حدث لفت انتباه "لي منجلونج". توقف عـن الـسير، ودار حـول فـردة حـذائي وهو على ظهر الحصان مرتين قبل أن ينزل عـن ظهـره. أمـسك بفـردة الحـذاء في يـده، وأخـذ يقلب فيها من جنب إلى جنب، كان مولعًا بها جدًا لدرجـة أنـه لم يـرد أن يـضعها عـلى الأرض كما لو كان رجلًا متعبدًا لصنم. بعدئذ، نظر صوب المعبد القديم وتساءل: "مـن سـقطت منـه فردة الحذاء تلك؟". بدا وجهه متحيرًا لكن بريء.

أرسلتُ "شيانج دان" كي تحضر لي الحذاء. اتجهت بحياء نحو "لي منجلونج" وطلبـت منـه فردة الحذاء. وبالنظر في وجهها، انحني"لي منجلونج" لها ورفع جيبتها.

حينئذ صرخت "شيانج دان".

قال "لي منجلونج" شاعرًا بالنصر:

- هذا ليس حذاءكِ. أنـتِ ترتـدين فـردتي حـذائك. فلتـدعِ سـيدتكِ تـأتي وتأخـذ حـذاءها بنفسها.

لأنني تأثرت بالطريقة التي رفع بها "لي منجلونج" حذاء "شيانج دان"، خرجت خارج المعبد المتهالك. وفي اللحظة التي خرجت فيها، ثبت "لي منجلونج" عينيه عليَّ، وصارت يديه – بل في الواقع جسمه كله – بلا حركة، مما سهَّل على استرجاع فردة الحذاء من يده وارتداءها مرة أخرى في قدمي.

اتجهت إلى متجر العطور- فلا حاجة لي للتأرجح على الأرجوحة هذا العام؛ لأن هناك رجل قد وقع في حبي.

أتى "لي منجلونج" إلى متجر العطور تلك الليلة. في بادئ الأمر اتجه إلى الحديقة الخطأ مما أدى به إلى غرفة "مدام هيانج" التي كانت مُحاطة بالخدم قرب باب غرفتها ووجهته بسرعة إلى غرفتي.

تجاهلت أنا و"لي منجلونج" كل أعراف الزواج التقليدية من تقدم بخطبة والسؤال عن نسب الأسرة ومناقشة تاريخ الزفاف وحتى حفل الزفاف نفسه. بقي في غرفتي تلك الليلة.

تجوَّل "لي منجلونج" في غرفتي ودق على المزهرية الخزفية ذات "اللون السحري" التي تحوي بعض زهور الزنبق، تلمس الثياب الموجودة في دولابي، لمعت عيناه حينما رأى المفصلات الذهبية لخزانة اللحاف. وأخيرًا لاحظني ولكن بعد أن فقدت أي مشاعر رومانسية بعد ما فعله.

لمسني، حاول خلع ملابسي وجيبتي. حينما سحبت سيفًا ووجهته نحو صدره، ابتسم لي، ليس بشكلٍ متصنع على الأقل وقال:

- حاولت ثلاث أميرات وثمانية فتيات صنع تلك الحيل معي. ومن السخيف أن تستخدم النساء السكاكين لحماية أنفسهن من الرجال.

بشكلٍ ما، انتقل السيف من يدي ليده. سحب السكين ولمس النصل بإصبعه، وظهر عليه بعدها خيط أحمر، وسال الدم بغزارة. كان على أن أضمد القطع في يديه بمنديل حريري أبيض أعددته لنفسي لأول ليلة أقضيها مع الرجال.

حوَّلني "لي منجلونج" إلى سيدة حقيقية. في تلك اللحظة، امتلأ عقلي بمرأى "مدام شيانج". كنت مولعة بتقليد ذوق "مدام شيانج" في ملبسها كي أصير سيدة تجذب ليس رجلًا بعينه ولكن كي أصبح فتاة أحلام العديد من الرجال، في الوقت الذي كان فيه الحب الحقيقي غائبًا ليس له وجود. ومثل هذا الحظ، كان يفوق إمكانية أي شخص، وليس متاحًا لكل سيدة.

ومنذ ليلة مهرجان قوارب التنين، بقي "لي منجلونج" في متجر العطور لما يزيد عن الشهر حتى أرسل والده رسالة له من العاصمة. كان والده أميرًا وقد عاقبه على انغماسه في المتع الشهوانية ونسيانه التطلعات السامية قبل أن يُلح عليه بالبقاء لتفقد الأمور في العاصمة.

كتب والد "لي منجلونج" رسالة كي ينصح ابنه:

"على الرغم من أن المرء في فترة شبابه يستحق علاقة غرامية أو علاقتين، لا بد ألا يجعل هذا يؤثر على مسار حياته فيما بعد".

ربما لم يرد لذهنه أبدًا أن ابنه سيريني الرسالة، فقد أضاف الأمير:

"يُقال أن الآنسة "تشون شيانج" من بيت "مدام شيانج" لا نظير لها في جمالها. ولو صح ذلك، فأنت حقًا يابني تتمتع بحسن الحظ".

شعر "لي" وكأنه يطير في الهواء وقال لي:

- هل يمكنكِ تخيل أمر أفضل من هذا بأن يحسد الوالد ابنه لأنه يحب فتاة جميلة؟ هل يمكنكِ ذلك؟

نظرت إليه مدعية الخجل وأجبته برقة:

- لا! بالطبع لا يمكنني.

اليوم الذي غادر فيه "لي منجلونج" متجهًا إلى العاصمة كان يومًا مشمسًا لم تظهر فيه أية سحابة في السماء. ربطت شعري بتسريحة كحكة منمقة جدًا

كي أودع أول رجل دخل حياتي. كان "لي منجلونج" يمثل لي مدخل للحياة التي طالما حلمت بها، والتي تبدو أنها نابعة بالسعادة الأبدية.

شعر "لي منجلونج" بالقلق من وجودي في متجر العطور خشية أن يستبدله رجال آخرون وتوقف في كل خطوة لأنه أدرك ما كنت أخطط له وقال مكرِّرًا:

- "تشون شيانج" سأعود مرة أخرى إليكِ خلال أقصر وقت ممكن.

أدركت مدي إخلاصه، ولكني أدركت جيدًا أنه في اللحظة التي سيغادر فيها سينسى كل شيء عني.

أتت "مدام شيانج" مع خدمها لتودعني ففي المرة الأولي التي شاهدتها في ضوء الشمس منذ ثلاث سنوات مضت، بدا وجهها أبيض مثل ضوء النهار وملابسها سوداء مثل الليل. كان "لي منجلونج" منزعجًا بعض الشيء من سلوكها، ولم يتفوه بكلمة واحدة في وجودها.

بعد أن أخذت تنظر نحو "لي منجلونج" وتتفحصه من أعلى رأسه إلى إصبع قدميه، قالت بهدوء ولكن بحزم:

- "تشون شيانج" عليها أن تنتظر زواجك منها لحينما تنجح في اختبار الملكية.

كما لو أن تلك العبارة أدهشته فإن "لي منجلونج" حملق مندهشًا للحظة قبل أن ينحني أمام "مدام شيانج" ويخرج متجهًا للعربة.

بينما راقبناه، "مدام شيانج" وأنا، وهو يخرج، غمغمت لنفسي: "لن أتزوجه".

قالت لي "مدام شيانج" وهي تتجه نحو غرفتها:

- لا بد للنساء أن يتزوجن يومًا ما.

حاولت أن أوقفها وأقول لها معترضة:

- ولكن يا "مدام شيانج"...

توقفت أثناء سيرها، لكنها لم تلتفت نحوي. لا يسعني أن أطلق على سيدة لقب "أمي" بينما بدت من الخلف نحيلة وفي نفس حجم فتاة صغيرة.

- أنا ممتنة لكِ لأنكِ قمتِ بتربيتي. ومن اليوم فصاعدًا أريد أن تعتزلي. وسأعولكِ بالطريقة نفسها التي ربيتني بها.

التفتت "مدام شيانج" وقالت لي بنصف ابتسامة وبعيون لامعة:

- هل تريدين أن تستبدلي الأدوار وتحيي حياتي؟ لستِ بذلك المستوى.

- لكنني امرأة حقيقة الآن.

ردت على باحتقار:

- معرفتكِ بأمور الحياة سطحية جدًا. يجب أن تفهمي المعنى الجوهري للحياة.

اعتقدت أن المدخل إلى الحياة السعيدة سوف ينفتح أمامي في اللحظة التي أرسل فيها "لي منجلونج" بعيدًا، ولكن الآن "مدام شيانج" صدت ذلك ولعبت دور الحارس على المدخل.

- لكنني أود أن أجرب نوعًا جديدًا من الحياة.

ردت على وهي تنفض أكمامها وتبتعد فجأة وتتركني وحدي في أشعة الشمس الحارقة:

- لا أعترض على هذا.

كنت أتطلع إلى معرفة رجال آخرين بحياتي. ومع ذلك، لم يحدث هذا إلا بعد شهرين آخرين من استقبالي لزائر آخر.

لم يكن شخصًا سواه، هو بعينه الحاكم الجديد لمنطقتنا.

كان مرتديًا ثيابه الاحتفالية ومظهره شديد التواضع بالنسبة لزيارته الأولى. زعم أنه معجب للغاية بجمالي، ويبدو أنه رجل يملك ذوقًا راقيًا.

مع ذلك، حينما اقترب مني تهربت منه وابتعدت. بالرغم من أنني كنت متلهفة على وجود رجال آخرين في حياتي غير "لي منجلونج"، فلم أرد أن تكون لي أية علاقة مع رجال ذوي رائحة إبطين سيئة.

- أعتذر، لكني لا يمكنني أن أقبل توددك إليَّ.

اندهش الرجل من رفضي له وسألني:

- هل يمكنني أن أعلم السبب؟

لم يسعني إلا قول ذلك:

- أنا واقعة في حب السيد "لي منجلونج".

غادر الحاكم المكان، ولكنه أرسل اثنتي عشر من الجند الذين بقوا خارج البيت. كنت قيد الحبس في المنزل.

قال لي:

- لن أحرركِ إلا حينما تنسين "لي منجلونج" وتخرجيه من ذهنك نهائيًا.

عندما حل الظلام، تسللت "مدام شيانج" قربي وتعجبت من سبب رفضي للحاكم.

حينما أخبرتها بالحقيقة، ضحكت حتى اهتزت مثل كتلة من الجيلي. ثم شردت قليلًا وقالت:

- هكذا...

لم أتأثر البتة بحبس الحاكم القهري لي، لأني لم أعتد الخروج كثيراً أصلًا. أحاط بي اثنتي عشر من رجاله، وبالرغم من ذلك، شعرت أن الحياة غدت أكثر إثارة: فالاستماع إلى "شيانج دان" وهي تغازل الجنود كان شيقًا ومثيراً للاهتمام.

اعتاد الحاكم على أن يرسل إلى هـدايا كثـيرة في عـدة مناسـبات مـع شـخص يعمـل لديـه وينتظر ردي إذا كنت قبلت طلبه بعد أم لا. دائمًا ما كنت أقبل الهدايا ولكن أجبه بلا.

رشت "مدام شيانج" أفضل منشدي القصص الشعرية بـ"نان يوان فو" كي ينشدوا أغنيـة لم أسمع بها قط وسموا القصيدة باسمي:

"ياله من مشهد جميل بقي في فصل الربيع دون تبدل،

والحشيش الأخضر في نعومة الساتان تنبعث منه رائحة مثل ندى الربيع

ولكن حبيبي قد ذهب ولم يرسل أية رسالة.

بدا ولاء الآنسة "تشون شيانج من منزل مـدام شـيانج" بحـب "لي منجلـونج" مـؤثرًا جـدًا ومثيرًا للعاطفة لدرجة تهز السماء والأرض.

سرعان ما انتشرت تلك القصة ووصلت للعاصمة.

لأن "لي منجلونج" فاز بالمرتبة الأولى في اختبارات الولاية، فقد صار المفـتش الملـكي الـسري وخطب ابنة أمير آخر. وبالسماع عن المشاعر الرومانسية المتبادلة بـين "لي منجلـونج" وبينـي، فسخت الفتاة الصغيرة خطبتها دون أي تردد.

- لا يبدو الأمر نفسه يستحق الضجة. ولكن كرامة بيت الأمير على المحك، ولا يمكننا قبول ذلك.

حاول المفتش "لي منجلونج" توضيح بعض الأمور.

كان لابنة الحـاكم وجهًـا كبـيرًا مثـل حـوض فـضي اللـون وافتقـرت إلى اللياقـة واشـتهرت بفظاظتها ونقص تحضرها بهذا الوسـط مـن الجيـل الأصـغر مـن رتـب النـبلاء. ولـذا كـان "لي منجلونج" يصارع بفكره وبقلبه محاولًا الفرار من هذه الزيجة.

سمع والده بقصتي أيضًا واستدعاه لمكتبه. ونظر إليه من فوق إلى تحت لوقت طويل ثـم قال:

- أنت لم تقتدِ بي على الإطلاق. ما الذي لفت انتباه "تشون شـيانج" فيـك لدرجـة جعلتهـا ترفض الحاكم؟ إنه حقًا لأمر محير.

أجابه "لي منجلونج":

- في الواقع أنا نفسي متحير.

تنهد الأمير بعمق ثم قال:

-لكن بما أن الملك قد سمع بقصتكما فلم يعد لك خيار سوى أن تتزوجها.

وهكذا أخذ "لي منجلونج" يتصنع إنكـاره للأمـر وعـاد إلى متجـر العطـور مـرة أخـرى. زار "مدام شيانج" أولًا والتي قادته إلى مكان يستطيع منه أن يفلـت مـن الجنـد مـن خـلال بـاب داخلي يوصل إلى حجرتي.

بدا "لي منجلونج" عفويًا كالشحاذ، وهو يحكي لنا كم كـان مهينًـا فـشله في اختبـارات الملكية وكيف تفككت عائلته من بعد ذلك. كان كلانا أنا و"مدام شيانج" يعلـم جيـدًا مـا يخطط له بما أن وجهه كان ما يزال حسنًا لا تبدو عليه التعاسة، وأظافره نظيفة وليـست متسخة، وكانت حتى هناك رائحـة عطـر خفيفـة تنبعـث مـن زي المتـسولين الـذي كـان يرتديه. وبيـنما هـو يـسرد علينـا قصـصه أخفيـت النـصف الأسـفل مـن وجهـي وكتمـت ضحكتي حتى دمعت.

أوقف "لي منجلونج" مناجاته ثم قال:

- "تشون شيانج" أرى أنكِ تشعرين حقًا بالحزن بشأن...

ردت عليه "مدام شيانج" وهي تسدد إلى نظرة غاضبة من وراء ظهر "لي منجلونج":

- العالم مليء بالأمور غير المتوقعة.

جلستُ معتدلة مرة أخرى وقلت له برقة:

- "تشون تشيانج" لا يعنيها منصب ولا ثروة. أريد فقط أن أكون زوجتك حية أو ميتة.

تجمد وجهه مثل تلك اللحظة التي رآني فيها على الطريق. غادر متجر العطور من خلال البوابة الرئيسة وقبض عليه الجند وأرسلوه إلى بيت الحاكم.

كان الحاكم يفرغ حزنه في كوب الخمر في ذاك الوقت. وبرؤيته لـ"لي منجلونج" سأله من يكون.

أجابه "لي":

- أدعى "لي منجلونج" وأنا حبيب الآنسة "تشون شيانج".

ثبت الحاكم نظراته على "لي منجلونج" لوقت طويل مثلما فعل أبوه الأمير قبل أن يقول في النهاية:

-ما الذي لفت انتباه "تشون شيانج" فيك؟

أجابه "لي منجلونج":

- الأمر يحيرني كما يحيرك تمامًا.

أمر حاكم "نان يوان فو" جنده بصفع وجه "لي منجلونج" إلى أن يتورم.

استغل "لي منجلونج" الموقف، وأظهر هويته الحقيقية مقدمًا للحاكم الختم الإمبراطوري الذي يحمله معه.

أومأ الحاكم بعد أن تأكد جيدًا من الختم وقال:

- لا عجب أن "تشون شيانج" تحبك. فأنت المفتش السري للإمبراطور.

وهكذا ترك الحاكم كرسيه لـ"لي منجلونج" ووقف إلى جانبه.

جلس "لي منجلونج" على الكرسي وأمر نفس الجنود الذين صفعوه بضرب الحاكم بقسوة على وجهه، ثم سأله:

- هل تعتقد حقًا أن النساء يؤمن بالحب؟

بصق الحاكم سنتين من فمه من أثر الضرب.

كان حفل زفافي أنا و"لي منجلونج" مكلفًا ومبهرًا ويشبه حفلًا إمبراطوريًا. ووسط كل تلك البهجة والروعة لأفضل حفلات الزفاف في أسرة "لي" الملكية، كانت مدام "شيانج" تضحك بشكل جميل بينما شعرتُ بالحزن الغامر. لأنني أعلم – وفقًا لحلمي في الكمال الأنثوي – أنني فقدت دون شك أية فرصة في أن أحيا الحياة السعيدة التي عاشتها مدام"شيانج".



حكاية مدينة صغيرة



حينما عاد الراهب "كونج شين" بعد تجواله الواسع، اكتشف وجود مدينة صغيرة هائئة والتي قلبتها سيدة ما رأسًا عن عقب.

حكى راهب بوذي للراهب القصة، وقال له:

- اسمها "جيانج تشنزي". ويُقال إنها أتت من "سيول".

ما إن وضعت "جيانج تشنزي" قدميها في المدينة حتى انتشرت قصة جمالها. حرر الأدباء مقالات عن الأحداث الرائعة والسير الذاتية التي تتعلق بحياتها. ترددت أوصاف مثل "ملاك نهر لوه" أو "إلهة وشان" لوصف سحرها، وأخذوا يتبادلون ذلك مع بعضهم البعض في الطرقات والأسواق. في الواقع لم يرَ أيًّا من هؤلاء الأشخاص المملين "جيانج تشنزي" أبدًا وحتى من كانوا في البيت الذي عاشت فيه نادرًا ما شاهدوها.

قال الراهب:

- منذ شهر مضي، سجلت "جيانج تشنزي" اسمها في "تيان ين"، وهو أكبر بيت للزهور في المدينة. عادة ما ينزل المغنيون والراقصون رؤوسهم تعبيرًا عن الصمت الخجول في مثل تلك المناسبات ولا يرفعون رؤوسهم أبدًا. كما اعتادوا على ارتداء ملابس ملونة ودخول البيت من البوابة الرئيسية بعد عرض

قصير في الشارع الرئيسي، كان العرض يقام على محفة يحملها رجلان. ثم تُنقش أسماؤهم على لوائح تُعَلَّق على السقف حتى تنتهي المراسم، لكن لم يكن الحال كذلك مع "جيـانج تـشنزي"، فقد كانت سمعتها وقصة تسجيلها لاسمها قد بلغت الكثيرين بـشكل أكـثر حتـى مـن بهرجـة الحاكم التي تلفت الأنظار أو المفتش الإمبراطوري أثناء تأديته لمهامه الرسمية.

انتظرنا لأكثر من أربع ساعات على سطح غرفة "السوترا" قبـل أن تظهـر في النهايـة وسـط الحشد على محفة ناعمة يحملها أربعة رجال. وبرغم تلك المسافة، استطعنا رؤية تلك المحفة التي بدت مختلفة وأكبر حجمًا ومُزودة بقبة على شكل شمسية. كانت المحفة تتهادى لـبعض الوقت وسط الحشد مثل القارب الذي يتهادى وسط الموج قبل أن تعود أخيرًا إلى "تيان ين".

ثم أكمل:

- بعدئذ، كانت هناك شراشيب معلقة أعلى سقف المحفة تخفيها عن أعيننـا. ومـع ذلـك، حينما رُفعت الشراشيب للأعلى وفُتحت القبـة والـستارة، ظهـرت طبلـة دائريـة كبـيرة، كانـت عليها فتاة ترتدي زيًا مزركشًا بـاللون الأزرق الـضارب للخـضرة مـع اللـون الأبـيض وقـد أدت رقصة طويلة على الطبلة. لم نتمكن من سماع أي أصوات، لكننا رأينا تحركاتها الدائريـة. بـدت في مثل خفة السحاب. بعد أن أدت الرقصة، قفزت على أحد الرجال الذي مررهـا لرجـل آخـر ثم أرسلها هذا الرجل الآخر إلى بيت الزهور.

بعد أن شاهد الراهب التعبير البادي على وجه الراهب "كونج شين" توقف عن حكيه.

سأل الراهب:

- هل هذا كل شيء؟

استمر الراهب البوذي في حكيه بصوت خافت قائلًا:

- لا، كانت هناك أربع لافتات كبيرة مصنوعة من الحرير الأحمر متدلية من تحت لافتتها حينما عُلقوا على السقف. ولم نعلم حتى اليوم التالي أن تلك اللافتات الحمراء كانت مكتوبًا عليها أبيات من شعر "السيجو".

فسأله الراهب:

- ماذا تقول هذه الأبيات؟

تنحنح الراهب وقال:

"فوق "تيان ين" ينير القمر

يضفي النور والصقيع على المنازل والثلج الخفيف

ففي كل مفاتن البيت الاثنى عشر

هي أفضل حبة كرز تنتظر من يقطفها".

تغيَّر تعبير وجه الراهب قليلًا عندما انتهى. قال له الراهب بحقد:

- تلك السيدة المخزية لا بد أن يكون مصيرها جهنم.

- لكن هناك شخص دفع لها خمسمائة ليانج من الفضة في أول شهر لها في بيت الزهور.

- خمسمائة ليانج؟!

- نعم. أي بقدر ما يكفينا لنطلي تمثال بوذا الموجود بالردهة بالذهب.

صاح الراهب:

- هراء!

قبل مهرجان قوارب التنين بيوم، نظَّف الراهب "كونج شين" والرهبان البوذيين المعبد، وانتهوا من ترتيل "السوترا" في الصباح، ثم فتحوا البوَّابة على

مصراعيها، منتظرين الحجَّاج. في هذا اليوم من كل عام، يأتي أهل المدينة بأكملها لحرق البخور وتقديس بوذا، وينشغل الرهبان في أن يأخذوا أحذيتهم ويضعوها أحيانًا. لكن هذا العام، بدا المعبد هادئًا جدًا ولا يوجد به سوى القليل من النساء والأطفال والرهبان المناوبين الذين كانوا غارقين في غفو عميق.

بعدئذ، قيل إنه في ذلك اليوم كان بيت صيد الأسماك وبيت القمار الذي تُقام ألعابه على أرض زراعية، ذهب الناس هناك وتراهنوا على من يستحق الفوز بـ"جيانج تشنزي" أولًا بعد أدائها في اليوم التالي. أنفق الناس كل أموالهم على فيشات القمار بدلًا من حرق البخور في المعبد.

أسرع الراهب في سرد هذه القصة على الراهب "كونج شين" الذي قال بنظرة حادة مع ابتسامة:

- أتى الشيطان كي يفسد البشر ولكن شباك العدالة لن تدعه يفلت.

في اليوم التالي، قاد الراهب "كونج شين" راهبَين بوذيين إلى الأرض الزراعية، وفي المنتصف وجدوا أربعة رهانات مُقامة، كل رهانٍ منهم كان يقوم به رجل أعمال ثري في المدينة حيث كان يزايد كلٍ منهم على "جيانج تشنزي". لم يبدُ عليهم أي مشاعر خجل من أنفسهم أو عداء نحو بعضهم البعض: بل حتى إنهم تجمعوا سويًا وتناقشوا حول أسعار الخشب والجنسنج والشاي المحتملة في يوم معرض مهرجان قوارب التنين الذي من المقرر افتتاحه اليوم التالي.

أتت "جيانج تشنزي" إلى الأرض الزراعية التي كانوا مقيمين بها في عربة مرة أخرى حينما امتلأ المكان بالناس. وفي هذه المرة كان معها ثماني من الرجال الأقوياء.

شعر الراهب "كونج شين" بالدوار. وبعد فحص دقيق طويل وعن قرب، أدرك أن الأردية البوذية للثماني رجال جديدة تمامًا ورؤوسهم أيضًا محلوقة مؤخرًا حيث لا تزال جذور شعرهم الداكنة واضحة. وقفت "جيانج تشنزي"

على أيدي هؤلاء الرهبان الثمانية الزائفين. كـان شـعرها مفـرودًا خلـف رأسـها فظهـر وجهها الأبيض البريء. لم تضع أية مساحيق تجميل على الإطلاق، فقـد كانـت جمالهـا ربَّانيًّـا. ارتـدت على كتفيها عباءة حمراء مع لون أصفر مزخرفة بخيوط ذهبية، بدت جميلة مثل قطعـة مـن الكنز. فلمسة واحدة لها كان يمكن أن تجعل الراهب "كونج شين " لا ينام طيلة الليل لو كـان صغيرًا في نفس عمرها. ومع ذلـك فقـد قامـت بتأديـة رقـصة "كـساينج" خاصـة عـلى كفـوف الرجال في ذلك المكان المقدس.

تصلَّب الراهب "كونج شين" مثل الميت. أُصيبت عينـاه بـالعمى بـسبب تلـك المـرأة التـي ترتدي عباءة الرهبان، وأصيبت أذنيه بالصمم من صياح ونعيق الرجـال مـن حولـه. لم يتـذكر حتى ما الذي أتى به إلى معبد الأحاسيس بمساعدة الراهبين اللذين تبعاه إلى الأرض الزراعية.

قال الراهب عندما استعاد وعيه:

- إنها تجسيد لشيطان عمره ألف وواحد عام.

رأى الرهبان في عينيه وقع الصدمة عليه.

في الصباح التالي، جلس الراهب "كونج شين" متأملًا أمام مقار الحكومـة في المدينـة يتعبـد بالسبحة ويتمتم بالترانيم.

سأله شخص ما:

- أليس من المفترض أن يكون هناك شيء أهم، ألـيس مـن الأفـضل أن تـدق عـلى الطبلـة للبلاط الملكي؟

أجابه الراهب "كونج شين" إجابة وافية:

- في حضرة بوذا سيصدر صوت الطبلة دون الدق عليها.

سأله شخص آخر:

- من الذي تريد أن تقاضيه؟

أجابه الراهب بيدين متشابكتين:

- لقد أتيت بهدف الإنقاذ. بوذا رحيم.

في اليوم الثالث، عقد جناب الحاكم جلسة محكمة. لم يستغرق إرسال مجموعتين من الحرس الحكومي وقتًا طويلًا فقد أحضرت لاحقًا بعد ساعتين "جيانج تشنزي" ومجموعة من الحاضرين.

قال الحاكم لـ"جيانج تشنزي":

- الراهب "كونج شين" يتهمكِ في معبد الأحاسيس بإهانة التعاليم البوذية وانتهاك حرمة الآلهة. هل لديكِ أي شيء تقولينه لتدافعي به عن نفسك؟

التفتت "جيانج تشنزي" إلى الراهب "كونج شين" وشعرت فجأة كما لو أن خرير مياه فاح عطرًا وسط الجبال في موسم الربيع قد تحرك نحوها. فأجابت بصوت لطيف يذكرنا بأصوات طيور العندليب والسنونو:

- إنها قصة متداولة عن فنانة مشهورة في "سونجدو" تدعى "خوانج تشن إي" قد عاهدت السيد "تشي تزو" على الحب الأبدي برقصة كاهن (سيونجمو) منذ مائة عام مضت. فتلهفتُ فقط للقيام بمثل ما فعلته متبعة نفس قصتها.

نظر الراهب "كونج شين" وراءه بسخرية وقال:

- كنتِ تثيرين فقط العواطف المنحطة في الأخرين وتفسدين الأخلاقيات العامة.

- لا أعتقد أنه من الغريب على الفنانة أن تظهر على الملأ وتُسلي الناس بالأغنيات والرقصات.

- إذن لما تتآمرين مع بيت القمار بغرض الحصول على المال؟

- لقد صرت فنانة لا يـسعها أن تحمـي نفـسها حتـى. كيـف يكـون لـديَّ فـراغ إلى هـذه الدرجة كي أشغل بالي بالآخرين؟

أسرعت سيدة بالحديث قبل أن يتمكن الراهب "كونج شين" من الرد قائلة:

- أليس من المفترض أن للكهنة أهداف أخرى أقل اهتمامًا بالأمور الدنيوية؟ لمـاذا تحـدث ضجة حول هذه المرأة الساقطة التي تشبه الدجاجة؟

رد الرجل بصوتٍ عالٍ:

- لأن الديكة ستصدر صياحها لهذه الدجاجة، ولا عجب بعدئذ في إثارتهم عاطفيًا.

دق الحاكم بمطرقته الخشبية بضع مرات حتى انتهت أصوات الضحكات التـي تـرددت في المحكمة.

قال الراهب:

- إنه لمن سـوء الحـظ للبوذيـة والعـار عـلى الرهبـان البـوذيين تدنيـسها لعبـاءة الرهبـان بالارتداء ومن المؤكد يا جناب الحاكم أنك سمعت بكل هذا التدنيس.

لم تتغير تعابير وجه الراهب وظل مثبتًا عينيه على الحاكم وأكمل قائلًا:

- من واجبنا أن نحمي سمعتنا كمكان طاهر لممارسة البوذية. ولـو لم نـصل لحكـم عـادل اليوم، أُقسم بأنني سأتواصل بالمعابد الأخرى وسنرفع معًا القضية لمكتب المـراقبين في "سـيول" لتطبيق العدالة.

نظر الحاكم إلى الراهب ثم إلى "جيانج تشنزي" والعكس لفترة، وقال بعد التشاور:

– "جيانج تشنزي"، رغم أن رقصك مدعوم بأمثلة سابقة، فإنه أخـل بالأخلاقيـات البوذيـة في بعض جوانبه. ولذا حكمت المحكمة حضوريًا عليكِ بممارسـة الـشعائر البوذيـة لمـدة ثلاثـة أشهر دون أن تقصي شعركِ في دير للراهبات بالجبال من أجل أن تُعدلي من أسلوبكِ.

أشار الراهب "كونج شين" إلى الحاكم وقد فقدت قدماه توازنهما كما لو أن رياحًا أطاحت بهما وقال:

- كيف يسعك أن ترسلها وهي عاهرة تستحق عقوبة الإعدام ألف مرة إلى دير بوذي لتحدث مشكلة هناك؟

- ما هو أكثر صلاحًا لها من أن تُرسل "جيانج تشنزي" إلى دير بوذي للتوبة عن جرائمها؟

أنهى الحاكم الحوار مع الراهب "كونج شين" ودق بالمطرقة الخشبية وقال بصوتٍ مرتفع:

- رُفعت الجلسة!

بعد ذلك بشهرين، عاد الراهب "كونج شين" إلى المدينة متعبًا من السفر ومنهكًا. وفي تلك المرة التي عاد فيها، كان ذلك في فترة الغسق والسماء جميلة ولامعة، ذكرته بعباءة الرهبان الخاصة به المزخرفة بالخيوط الذهبية التي تتدلى من معبد الأحاسيس، كانت هذه أجمل ثياب امتلكها في حياته.

أوقفته "جين خوا لان"، منشدة مسنة في "تيان ين" في الطريق وسألته:

- كيف حال عملك؟

عاملها الراهب "كونج شين" معاملة الحثالة، ولم يكلف نفسه بأن يُبطئ من سيره حتى.

سألته "جين خوا لان" التي لحقت به دون أن تشعر بالضيق من أسلوبه:

- مهلًا! ألا تملك أي شيء في المعبد لإبعاد الشياطين؟ منذ مجيء العاهرة "جيانج تشنزي"، حدثت أمور غريبة كثيرة بالدير.

التفت إليها "الراهب كونج شين " ورمقها لبرهة.

قالت:

- غالبًا ما استيقظ ليلًا بسبب أصوات غريبة مثل صيحات الثعالب، و...

اقتربت برأسها من صدر الراهب وأخفضت صوتها قائلة:

- بعض الضيوف ممن يعرفون "جيانج تشنزي" جيـدًا يقولـون إن لهـا جـسدًا بـاردًا بـرود الثعابين.

سألها الراهب "كونج شين":

- ألم يتم إرسالها إلى الدير؟

ردت عليه "جين خوا لان":

- هراء! تلك مظاهر وإدعاءات فقط على الملأ. لكن في اللحظة التي غادرت فيهـا المدينـة، عادت مرة أخرى إلى البيت. وتحيى حياة سعيدة جدًا، وتستقبل الضيوف يوميًا.

تبدَّل وجه الراهب "كونج شين".

أكملت:

- وهناك شيء آخر مخيف عنها ألا وهو أنها لا تُبقي رجالًا أبـدًا في غرفتهـا بعـد منتـصف الليل. راقبتها خادمة مسنة في إحدى الليالي وأصيبت بالعمى والخرس.

بعدئذ، قربت "جين خوا لان" رأسها من أذن الراهب "كونج شين" وقالت بصوت مرتعش:

- هل صحيح حقًا أنها خالدة؟ ما رأيك في هذا الكلام؟

صار الحوار بين "جـين خـوا لان" والراهـب "كـونج شـين" مثـل نميمـة كبـيرة للمدينة بأكملها في ذاك اليوم. لدرجة أن بعض الناس بقوا ساهرين طوال الليـل يخمنون ما يقوم به الراهب "كونج شين" في غرفة "جـين خـوا لان". وفي الـصباح

الباكر التالي تدفق الناس إلى "تيان ين" كي يستطلعوا الأمر بشكل أكثر، بينما أدركت "جين خوا لان" ما يحدث ومدت رأسها خارج نافذتها قرب عود البامبو وفي طرفه كان عليه زوج ملابس داخلية قطنية رمادية مقطوعة ومرقعة مرارًا وتكرارًا يتطاير في الهواء.

في ذلك اليوم في "تيان ين" زايد الناس على "جين خوا لان" بأعلى سعر لها في السنوات العشر الأخيرة. ورغم أن كل شيء بدا واضحًا وضوح ضوء النهار، وجدنا الرجال ما يزالون يودون قضاء بعض الوقت وحدهم مع "جين خوا لان" لمعرفة باقي الروايات الحقيقية بينها وبين الراهب "كونج شين".

لمعت "جين خوا لان" مجددًا وسط الرجال وبدت تشع بعز شبابها، حاولت أن ترضي كل رجل دفع لها بسخاء لدخول غرفتها. ظلت الروايات التي تصف الراهب "كونج شين" تتجدد. وعندما تروي لأحد الزبائن أن الراهب "كونج شين" لم يرتكب الفاحشة قط وقد عرف الكثير عن الحياة منها، كانت تروي لآخر بأن الراهب "كونج شين "، بالرغم من مظهره الذي يبدو عليه الاحترام، فقد قتل سيدة بالفعل بحكم بعض التوجهات غير التقليدية لديه عن المشاعر الرومانسية، والتي يصعب حتى على سيدة ذي خبرة مثلها أن تجاريه فيها. استقبلت "جين خوا لان" بسبب ذلك العشرات من الرجال في ذلك اليوم، وكانت تريح حنجرتها بشرب عشرات السلاطين من الماء البارد حتى حل الليل فلم تعد تستطيع الحديث. حينما غادر أخر ضيف، مزجت العسل بأوراق النعناع المضروبة وملأت فمها بهذا المزيج.

في الليلة السابقة حينما خرج الراهب "كونج شين" من غرفة "جين خوا لان" وشعره مبعثرًا، لم يكن الليل قد حل بعد. جال في حديقة "تيان ين" لوقت طويل قبل أن يشق طريقه خارجًا. عند بوابة الحديقة، وجد مصباحين حمراوين طويلين يتدليان وتحتهما جلست "جيانج تشنزي" قرب طاولة شاي

مع بعض الرجال. كانت تُمسك بمروحة وتبتسم للقس "كونج شين" بشكل ساحر من وراء أكتاف الرجال.

ترنح الراهب "كونج شين" بفعل الرياح، وتعثر في طريقه للمعبد، لكن لم يتعرف الراهب الذي أتى ليجيب على الباب عليه، فقد قال له: "لا توجد عصيدة اليوم" وصفق الباب وقفله في وجهه.

في صباح اليوم التالي، وجد راهب الراهب عند البوابة حينما كان ينظف الساحة.

كان ميتًا بالفعل، كان الراهب "كونج شين" راقدًا هناك، رجليه مربوطتين، وعيناه ناظرة للسماء. كان مكتوبًا على صخرة كبيرة وراءه جملة منقوشة بإصبع ينزف من إثر عضته تقول:

"من يحضر العفريت فعليه أن يصرفه".



الحب الذي لم أصادفه أبدًا

1



في العام الذي أتممت فيه الثامنة عشرة من عمري، تمت خطبتي من رجل من أسرة جيدة النسب نوعًا ما، كان والده موظفًا في الرتبة الثالثة. والرجل نفسه كان يعمل جاهدًا لإعداد نفسه للاختبارات الملكية. وما جعل أسرتي - أعني زوجة أبي وعشيقاته وإخوتي وأخواتي غير الأشقاء - أكثر ضيقًا هو أن الرجل الذي سيتزوجني وُلد من زوجة أبيه بدلًا من إحدى عشيقاته.

- ماذا أعجبه فيها؟

لم أعرف أنا أيضًا ما الذي أعجبه فيّ. يُقال إنه رجل وسيم وصغير في السن وأتي إلى بيتنا للشرب في صحبة والدي. ومع ذلك، لا أستطيع أن أتذكر أين صادفت الرجل الذي يتحدثون عنه. كان هناك لقاء غير متوقع في الردهة الخشبية ونظرة مختلسة سددها نحو وجهي بدت خارج السياق، ورغم أن بيتنا كان واسعًا، فإن الأماكن المعدة لنا للانتقال لم تكن واسعة بما فيه الكفاية. أو هل أتيح له أن يراني وأنا أتأرجح على الأرجوحة في الحديقة الخلفية؟ ولكن الغرباء - خاصة الذكور منهم - لم يسمح لهم بالدخول مثلما يحلو لهم.

بالطبع لم أكن أبدًا مقيدًة بالأماكن المفترض أن أبقي فيها. والآن وفي وقت لاحق، وجب على أن أتجه إلى أماكن أخرى. لم يمثِّل الأمر لي أيه مشكلة أن أُلمح من قبل خدم والدي، والذين يسرهم أن يروني على أن يكونوا شاعرين بالضيق من ذلك. ولكن في حال شاهدتني أيًا من خادمات أمي، فإن تلك النميمة التي يتفوهون بها ستدوم لفترات طويلة كالنشرة الإخبارية التافهة، وذلك ما أوقعني في مشكلات أسوأ حتى من إثارة عش دبابير. ويستمر تسلسل إهاناتهن لدرجة تجعل الجميع يصاب بالأسي.

حتى ذلك لم يمثل أي شيء. الأسوأ يتمثل في إقحام أمي في المشكلات.

كانت إحدى عشيقات أبي الأربعة، تلك السيدة التي كانت أسوأهن معاملة لأمي، تظن نفسها أفضل من الجميع، ودومًا ما كانت تُبَوِّز بوزًا طويلاً بفمها بعرض بابين للبوابة الكبرى لـ"الأسرة المبجلة"، ذلك التعبير الذي كانت تردده طوال اليوم. وبرغم فخرها بتلك الأسرة لسبب ما، فقد اشتكت دومًا من مصيرها التعس وحتي مظهرها الذي يتغير بشكل غير طبيعي مع مرور كل يوم، دائمًا ما كانت تعترض عليه. وحينما كانت تحرك جسمها، لا توجد أية كلمات أخرى تصف منظرها أفضل من كلمة "مذهلة". لم تكن على علاقة جيدة مع عشيقات والدي الأخريات. ولكن وجود أمي في هذا المكان يبدو أنه قربها من باقي العشيقات الأخريات. كان والدي دومًا ينام في غرفة والدتي حينما يتواجد بالبيت، وحتي أكبر أبناء هذه السيدة افتتن بجمال والدتي وارتكب بعض الحماقات التي جعلته أضحوكة الأسرة بأكملها.

ظلت السيدة تشكو وتقول: "أنا مجنونة!" وذلك – إن كان حقيقيًا - ليس بالوضع السيء للغاية من وجهة نظري. الرجال الذين أُعجبوا بأمي كانوا كثيرين بعدد النجوم في السماء. على أية حال، صبت لومها كله على أمي وقالت: "كيف لذكر القط أن يغازل أنثي الثعلب إن لم تظهر هي له ذيلها أولًا؟".

كيف يتسنى لنا أن نعلم ما الذي جعل ابنها الأكبر يغازل؟! هذا الشاب كان صورة طبق الأصل من والدته، ووجهه بدت ملامحه غير واضحة، وكانت عظمة أنفه مكسورة نتيجة لذلك. وما أن تجرأ في مرة وسألني:

- هل أنتِ حقًا ابنة أبيكِ؟ لم لا تشبهينه على الأقل؟

بدت عيناه مثل لسان يلعق وجهي بأكمله. كنا نقف على الطريق الحجري المفضي إلى الحديقة عندما أوقفني. وإذا حاولت الفرار متجهة نحو الزهور المحطية بالطريق، فإن باطن قدمي بأكملها ربما ستتعرض للوخز.

قال لي وهو يلهو بالوشاح:

- آه لو لم تكوني أختي الصغرى!

أبعدت يديه ورجعت للوراء.

قال لي وهو يمد ذراعيه:

- عانقيني.

- ابتعد عني!

- ما الذي تخافين منه؟ ألسنا أشقاء؟ هل من الخطأ على الأخ أن يعانق أخته؟

تكبدت العناء كي أفر منه بعيدًا. وخربشت عنقه وتقريبًا مزقت محيط الوسط لملابسه الداخلية أيضًا.

في عصر وليل هذا اليوم، كنت أتوقع مجيء السيدة وأن تهينني في صحبة خادماتها اللاتي يذكرنني بالغربان. لكني ابتعدت. وحينما التقيت به مرة أخرى، اقترب نحوي وتنهد برقة قائلًا:

- رغم أنكِ جرحتينني فإن فكرة لمس يديكِ لجسدي يخفف من الجرح.

لم أجبه.

سعلت السيدة بصوتٍ عالٍ. نظرت إلى بعينيها الشرهتين الضيقتين. كانت نظراتها كسنصل سكين حادٍ يحوم حول وجهي جارحًا إيَّاه. حملقتُ في أفرع الشجر ناظرة نحو الطائر المولود حديثًا أعلي الشجرة متأملة شعاع الشمس الذي انعكس عن رأسه الأصفر. تساءلت في نفسي أنه ربما أن هذا الطائر أتي أيضًا من أسرة "خوانج".

ضممت شفتي وشرعت أغرد له عدة مرات.

قالت السيدة ساخرة عندما خرجنا بعد العشاء:

- يا له من شيء مؤسف للأسرة حقًا.

أجبتها:

- بالفعل.

جذبت أمي كمي.

ظلت كلمات السيدة الخبيثة تلاحقني في الردهة الخشبية:

- "اقلب القدرة على فمها تطلع البنت لأمها". ابنة العاهرة تولد كي تصير مثلها وتغري الرجال.



2

سألتُ أمي:

- لماذا تزوجتِ أبي وارتبطت بتلك الأسرة؟

ردت أمي مبتسمة:

- كي تكون لي ابنة مثلك، "تشن إي".

يا للسماء، يمكن لأمي ببسمتها أن تترك عطرًا جميلًا كزهور الربيع وصوتًا كالعصافير بينما ابتسامة السيدة أو الأخريات، يمكن تشبيهها بالقاذورات. قيل إنها قبل أن تصبح إحدى العاملات في بيت الزهور، كان هناك شاب اتجه إليها مطالبًا بالمياه. كانت تغسل شعرها قرب النهر وتلبية لطلبه أخذت غَرْفة من مياه النهر وقدمتها إليه. وبعد أن أخذ الشاب رشفة من المياه، اندهش لأنه بدلًا من الشرب من المياه اكتشف أن ما شربه كان خمرًا!

سألتها عدة مرات:

- هل تحولت المياه حقًا إلى خمر؟

أجابت بابتسامة:

- بالطبع لا. كانت ما تزال مياه.

لكن والدي أيضًا كان متأكدًا من ذلك. وأخبرني بشكل مؤكد أنها كانت مياه النهر لكن ما أن غرفتها أمي بالمغرفة، حتى تحولت إلى خمر.

قال إن هناك شيئين في العالم لن يتعب منهما أبدًا: أمي والخمر.

النبرة التي خاطب بها أمي كانت كالتالي:

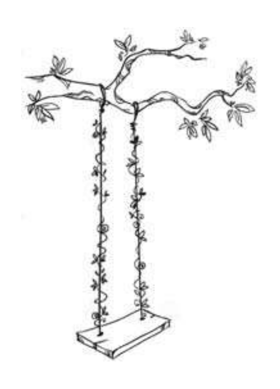
- "الجيومنجو..."

كانت هذه النبرة مثل نقرات على طبلة ونقر على أوتار "الجيومنجو" التي ارتعشت بشكل طفيف في الهواء.

حينما سمع أن ابنه الأكبر معجب بأمي قال وهو يبتسم:

- حقًا؟ هل شب الصبي مبكرًا؟

وفي تلك اللحظات، بدا والدي عطوفًا.



3

مات شاب صغير. يُقال إنه على فراش موته ناشد أسرته أن يحملوه إلى ما وراء سكن أسرة "خوانج" قبل دفنه. وبما أن أفراد أسرته متفهمون جدًا، لم يسعهم إلا تنفيذ وصية شخص على فراش موته. وفي يوم الدفن، طلبوا من حَمَلة النعش أن يتخذوا طريقًا آخر للخروج من المدينة.

لم تكن أسرة "خوانج" أسرة عادية. فالشقاء وحده أمر محزن بما يكفي للأحياء منهم الذين ليست لديهم القدرة على تحمّل أي مشكلات أخري.

حينما تقدم الموكب، قفز الرجال الأربعة الذين يحملون النعش فجأة من فرط الألم وأسقطوا المحفة، كما لو أن هناك شيطان قد مسهم. وهذا بالطبع ترتب عنه المغادرة. ولكن حينما رفعوا النعش مرة أخري، شعروا بالألم في أقدامهم مرارًا وتكرارًا لدرجة أنهم أسقطوا المحفة. تكرَّرَ هذا الأمر عدة مرات حتى تذكَّر أحدهم وصية الميت: "بما أنه كان جادًا بشأن طلبه هذا، من الأفضل أن نذهب إلى ما وراء سكن أسرة خوانج".

بشكل غريب تمامًا، بمجرد أن التف التابوت متجهًا إلى سكننا، سار حملة التابوت بخفة مرة أخرى دون أي متاعب.

حينما وصلوا إلى بوابة الحديقة الخلفية لبيتنا، توقَّف حملة النعش مرة أخرى زاعمين أنه لا بد أنه يزن خمسمائة كيلوجرام الآن.

جُن والد الميت من الغضب، وشك أن هناك عقل بارع يخطط لتلك الخطط القذرة، واستعان بأربعة رجال أقوياء من المعرض والذين حملوا النعش بقوة بعيدًا، لكنهم كذلك لم يتمكنوا من رفعه.

شعروا بالدهشة ونظروا تجاه الرجال الآخرين وشكوا إن كانوا قد عملوا ما بوسعهم بالفعل أم لا قائلين: "ما الأمر؟".

حاولوا مرة أخري.

ظل التابوت ثابتًا في مكانه، كما لو كان مثبتًا بالأرض.

انتشرت النميمة والأقاويل سريعًا كما لو أنها تملك جناحين بأنه "يبدو أن الصبي مغرم بالآنسة "تشن إي" من بيت أسرة "خوانج" ومات في النهاية بسبب عشقه هذا".

أرسلت السيدة لكبير الخدم الذي طلب من المجموعة الانصراف، وهددهم حتى برفع قضية.

صفع كبير الخدم والد الميت وأهانه لدرجة أنه سقط على الأرض وانتحب وهو يقول:

- يا إله السماء، ارحمني...

بالطبع لم يتلق أية إجابة من السماء، لذا عاد إلى التابوت وصاح:

- يا بُني، اجلس إن كنت ما زال فيك الروح...

تنهد شخص ما قائلًا:

- لقد جُنَّ.

أمر كبير الخدم بإبعاده وإبقائه في مكان آخر ينتحب به، لكن التابوت كان ما يزال موضوعًا قرب البوابة في الحديقة الخلفية. لذا أمر كبير الخدم نفسه حملة التابوت السابقين والذين حلوا محلهم فيما بعد برفعه، لكنه لم يتحرك بوصة واحدة. فحاول بعدئذ بأن يضع عصوين للتابوت ويساعد الثمانية رجال

في جهودهم، بينما رتل أحد ما بعض التراتيل لهم. لكن لم يتأثَّر التابوت بأية جهود بكل بساطة.

حينئذ أصبح وجه كبير الخدم في لون الباذنجان من شدة الغضب وقال بنبرة عالية:

- انتظروا. إذا تمكنًا من تحريك التابون، ستُعذبون جميعًا.

ثم عاد مسرعًا إلى المنزل لإخبار سيدته بما يحدث.

أمرته السيدة بأن يختار بعضًا من الخدم الأقوياء من المنزل. وحاولوا، لكن دون جدوى.

تجمع المزيد من الحشد المشاهدين للموقف وتسببوا في زحام في الشارع.

في تلك اللحظة فقط، علمت بالشاب الذي مات من عشقه لي.

اعتقدت في بادئ الأمر أن كل هذا مجرد مزحة، خاصة أن أحد خدم السيدة هو من سرد القصة، كيف يمكنني أن أصدق هذه القصة إذن؟

4

أرسلت السيدة في طلبي. حينما دخلت هدأت الثرثرة في الغرفة بأكملها فجأة، ووخزتني نظرات عيونهم الحادة والصعبة مثل نعيق الغربان.

قالت السيدة بصوت رفيع وحاد مثل سلك حديدي يقطع عنقي وبوجه حالك:

- فلتخرجي هذا التابوت اللعين بأية وسيلة بسرعة بقدر الإمكان حتى لو وجب أن يتم وضعكِ وتدفني فيه مع هذا الشاب قصير العمر.

على إثر تلك الكلمات أجبت:

- لكن...!

وجهتُ نظري إلى السيدة التي أحضرتني إلى هنا وسألت:

- ماذا عساي أن أفعل بحق السماء إن كان الرجال قد فشلوا في تحريك التابوت؟

قالت السيدة ساخرة:

- ربما الآخرون لا يسعهم أن يرفعوا التابوت، لكنكِ أنت وأمكِ تتمتعن بقدرات خارقة. فلو استطاعت أمكِ أن تحول الماء إلى خمر ربما أنتِ أيضًا تستطيعين أن تحيي الموتى، وفيما بعد سيخرج من تابوته ويدخل مقبرته بنفسه.

أطلقت النساء من خلفي الضحكات.

حينما خرجتُ من غرفة السيدة، جرت أمي نحوي في الردهة الخشبية وقالت:

- "تشن إي" لا يمكنكِ الذهاب.

أمسكت يديها المتجمدتين بي بقوة.

تذكرت كلمات السيدة رغم أنني لم أكن متأكدة من مدي مصداقيتها فقلت:

- لقد قالوا... خارج الحديقة...

هل يمكن أن يكون ذلك صحيحًا؟ مثل قصة الماء في مغرفة أمي الذي تحول إلى خمر؟

قالت أمي:

- لا يمكنكِ الذهاب.

سُمع صوت السيدة خارج غرفتها قائلة:

- لقد أرسلتها.

همست أمي قائلة:

- لا يمكنكِ الذهاب. لو علمت أسرة زوجكِ بذلك فلن تنعمي أبدًا في حياتكِ.

- لكن...

- لقد سيطروا عليكِ.

ضربت أمي الأرض بقدمها من قلقها، ولمعت الدموع في عينيها. فقد كنت كبيرة في السن بما يكفي كي أتزوج، بينما بدت هي مثل فتاة صغيرة.

خرجت السيدة من غرفتها وألحت على بنبرة متسلطة وقالت:

- "تشن إي"! لماذا ما زلتِ هنا؟

توسلت إليها أمي قائلة:

- لا يمكنها أن تذهب يا سيدتي. فـ"تشن إي" لم تتزوج بعد. ومن غير المناسب لها أن تظهر في العلن.

أرجعت السيدة رأسها إلى الوراء وضحكت ضحكة جوفاء وقالت:

- هل تعلمينني الأصول؟!

ضحكت النساء اللاتي كن وراءها مثلها نفس تلك الضحكات الجوفاء، كما لو كن يسعلن بسبب برد أصبن به فجأة. وقالت:

- مثلما قلت "اقلب القدرة على فمها تطلع البنت لأمها"، والعاهرة لا تنجب سوي عاهرة مثلها. ورغم أنها لم تكبر بما يكفي لتحسن استخدام عصي الأكل، فإنها تعلمت كيفية إغراء الرجال. والآن مات شاب بسببها. ما الذي عسانا أن نفعله برأيكِ؟ أنبدو حمقى أمام البلدة مع تابوت يَسُد بوابة الحديقة!

قالت أمي شاعرة بالخجل:

- انتظري فقط حتى يعود السيد...

قالت السيدة ببرود:

- السيد بالطبع لن يدرك الأمر جيدًا بفعل حيلكِ وحديثكِ الناعم الذي يشبه الحديث الحميمي على السرير ولن يستطيع أن يعرف ما يحدث فعلًا. والآن بما أن كل البلدة محتشدة خارج البيت فالسيد لن يسعه الدخول حتى لو كان عائدًا للبيت. وهكذا فلا بديل عنكِ أو "تشن إي" من يمكنه أن يخرج ويبعد هؤلاء الرجال مع التابوت الذي معهم.

- من فضلك لا تفعلي ذلك.

قالت السيدة وهي تنظر للناس نظرة عابرة، وتشعر بالفخر بصوتها العالي:

- أنا من يتوسل بوضع حد لما يحدث. أتوسل إليكِ بأن تدعي أسرة "خوانج" يرحلون من هنا. نحن أسرة محترمة وفاضلة. وحتى لو أننا - أفراد هذه الأسرة الكبار سنًا – لم يعد يهمنا شيئًا، فإنه يجب أن تضعي في اعتباركِ الأجيال التالية. فالحياة ما زالت أمامهم. وهل أنت عديمة الإحساس لدرجة أن تتسببين لهم بالشعور بالعار بسبب سوء السمعة وتحولينهم إلى جبناء؟

- السيدة لديها وجهة نظر ومحقة...

أجابت امرأة واقفة وراء السيدة:

- من رأس العين يأتي الكدر.

خرجت الدموع الحبيسة من عيني أمي، وبللت وجنتيها. وانحنت أمام السيدة قائلة:

- من فضلك لا...

لكنني قاطعتها قبل أن تكمل حديثها.

- "تشن إي"...!

استجمعت كل قوتي في يَدَي لأمسك بها وأرفعها من على الأرض، بنفس قوتها حينما أمسكت منذ قليل. لن أدعها تنحني على ركبتيها.

5

كانت تلك هي المرة الأولي التي سرت فيها خارج البيت منذ أن كنت في الثالثة عشرة من عمري. ولأن كبير الخدم هو من أرشدني، فقد اتجهت إلى البوابة الجانبية. ومن وسط الحشد الذي ملأ الشارع رأيت للوهلة الأولى التابوت وقد طُلي باللون الأسود موضوعًا بشكل مهيب وسط الحشد، مثل خزانة كبيرة الحجم أو غرفة صغيرة.

أتى رجل كان نصف شعر رأسه ذو لون أبيض قربي ليعتذر لي وقال:

- أنا آسف، ولكن هذا الشاب...

احمرت عيناه من فرط البكاء وبدا جلد وجهه شاحبًا أيضًا من فرط البكاء وقال:

- اعتاد أن يتصرف من وحي تفكيره، والآن هو... ميت...

أدركت تمامًا الموقف الذي بدى عالقًا فيه، ولكنني شعرت بأنني مثل من يجلس على أرجوحة ومعي خادمتي "شياو آن" وهي تدفعني من الخلف. وشعرت بأنه في حال قيامي بأية مغامرة أخرى، لاستطعت أن ألمس السحاب بأطراف أقدامي

سألتُ والده:

- هل أنا السبب؟

- ماذا قلتِ؟

- هل مات بسببي؟

- قال إنها الآنسة "تشن إي" من أسرة "خوانج".

لكني لم ألتقِ أبدًا بهذا الشاب، وقد تولد لدي انطباع بأنه لم يَرَنِ أحد سوى أسرتي الحالية. ولم أفهم كيف حدث ذلك: فالابن الأكبر لموظف رسمي في الدرجة الثالثة أراد أن يتزوجني، وهناك شاب آخر مات من عشقه لي.

عندما نظرت حولي، رأيت رجالًا أقوياء يحيطون بالتابوت، يراقبونني بعيونهم التي تشبه الشرارة والتي لمعت مثل المسامير المثبتة في التابوت.

قال كبير الخدم الذي ربت على التابوت بقوة لتحويل انتباه الرجال لما هو أكثر أهمية:

- بما أن الآنسة "تشن إي" هنا، يمكنكم المحاولة مرة أخرى. ولنرَ إن تمكنتم من تحريكه الآن.

أتوا جميعًا الثمانية منهم. ووضعوا أيديهم على أطراف أكتافهم وأخذوا نفسًا عميقًا وبعدئذ صاح أحدهم:

- هيا بنا!

أحدث التابوت صوتًا عاليًا كما لو أنه جذب من أعماق الأرض.

صاح الحشد في إعجاب.

ولكن من حملوه لم يستطيعوا التحرك كما لو أن أقدامهم غُرزت في الأرض بعمق وهم يجذبون التابوت.

ولم يَـدَّعوا العجـز، بـل لم يـستطيعوا حتـى الـسير لخطـوة واحـدة. وبمجـرد أن لمحـتهم، استطعتُ أن أخمن بأن أقدامهم بالرغم من أنها ما تزال متصلة بجسدهم، فربما هنـاك سـحر من نوع خاص قد استحوذ عليها في تلك اللحظة.

سألت الأب:

- ألا تستطيع أن تفكر في أي وسيلة أخرى؟

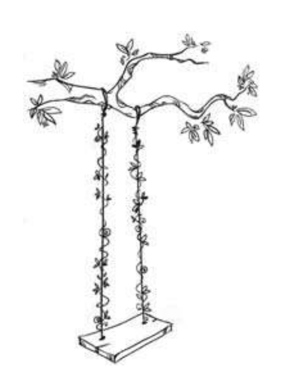
فأجابني شاعرًا بالتعاسة والإحباط:

- ما بيدي حيلة.

همست إحدى السيدات في أذني قائلة:

- جربي أن تلقي شيئًا داخليًا ترتدينه على التابوت.

نظرت إليها لبرهة. رغم ملابسها العادية، اعتبرتها جميلـة ولكـن مـن الظـاهر فقـط، ربمـا بسبب المساحيق التجميلية الثقيلة التي تضعها على وجهها.



6

لم يكن لدي أي مجوهرات، ولا قطعة واحدة. والشيء الوحيد الذي كنت أرتديه بداخلي في ذلك اليوم كان حزام صدري ارتديته في ذلك الصباح. ولذا عدتُّ إلى بيتنا مع "شياو آن"، ورأيت أمي جالسة في الردهة الخشبية وتحملق في بلاط السقف بانتباه بالغ لدرجة أنها بدت للوهلة الأولى أنها تركز على تلك الأشياء فقط. وحتى حينما سرت أمامها لم تحرك عينيها بعيدًا.

لم تتح لي فرصة للحديث معها لأنني أسرعت عائدة إلى غرفتي وخلعت الحزام، وطلبت من "شياو آن" أن ترسله بالخارج.

صاحت "شياو آن" وهي تجري وتوشك على أن تتعثر في جذر شجرة تين تقابلها في ساحة البيت:

- لقد اختفى التابوت! بمجرد أن لمس حزام الآنسة "تشن إي" أعلي التابوت أثناء حمله بعيدًا.

بدأ قلبي يدق بشدة كما لو كان أصبح قلبًا آخر غريبًا عن قلبي وأراد أن يتركني ويذهب للآخرين، لذا ضغطت على صدري بقوة كي أبقيه في مكانه وأجعله يتصرف بالشكل المعتاد.

جلست بلا حراك لمدة ساعتين قبل أن أشعر بالهدوء. شعرت بالاختناق والضيق في صدري، كما لو أن أحدهم داس على صدري بأقدامه التي جال بها في الشارع قبل ذلك.

ذهبت للبحث عن أمي، لكنها لم تعد تجلس في الردهة الخشبية. بينما أوقفتني الخادمة التي كانت تنتظرها وأخبرتني بأن السيدة الخامسة تريد أن تبقى بمفردها.

جلست هناك في المكان الذي كانت تجلس فيه وحيدة منذ برهة طويلة، وحملقت في بلاط السقف الأخضر أيضًا. بدا عقلي مثل سبت الخياطة المتقلب وصار في حالة فوضى تامة، والتي آملت ألا تتفاقم بفعل الطائر المحدق على السقف.

أتى الغسق ومعه الرياح. كانت شجرة الخوخ في الساحة تثمر والبراعم الوردية تتطاير مع الرياح مثل الرذاذ.

في منتصف الليل شنقت أمي نفسها قرب تلك الشجرة.

حينما أسرعت إلى هناك، كان كل الناس حاضرين. وهن النسوة الكئيبات اللاتي يشبهن الغربان. وأمي راقدة وسطهن.

لم يبدُ شكلها سيئًا تمامًا. تذكرت أنها كانت ترقص ومع تطور الرقصة نمت الريشات على أذرعها وأيديها، وتحولت في نهاية الأمر إلى زوج من الأجنحة. والآن انكسرت الأجنحة وتأذَّى جسمها بعض الشيء.

أرجعت الغطاء الأبيض عليها.

أدانتني السيدة قائلة:

- انظري ماذا فعلتِ! كل هذا بسببكِ أنتِ. لقد تجرأت حتى على السيد في الرد عليه! وصفعها ومن ثم شنقت نفسها.

بدت نبرة السيدة كما لو أنها ترى أن شنق الشخص لنفسه أمر ممتع. وحتى ابتسمت في آخر حديثها.

- كانت مشاكسة جدًا

- فعلًا

- وبصفعة واحدة...

وجهت أنظاري إليهن حتى تجمدت البسمة على وجوههن مثل الخنزير السمين.

عند طلوع الشمس، وجدت أبي في غرفة الطعام وهو يحتسي من إبريق في يده. حينما رآني، أوقف يده في الهواء. نظرنا لبرهة لبعضنا البعض ثم حرك رأسه ورفع يده التي كانت تمسك بالإبريق. وقد تدفق الخمر منه وملأ فمه المفتوح.

نظرت لذراعيه، كم تمتع بلفهما حول أمي، كما لو كان يمسك بطائر يحلق في الهواء، ويغلق جناحيه ويأسره أثناء الطيران. تلك هي الأذرع نفسها التي رفعها نحو أمي منذ عدة ساعات مضت وصفعها، صفعة مُعدة لي. ربما لم يدرك أبدًا أن آثار اليد التي تركها على وجه أمي ستتجول بعمق أكبر إلى جسدها وتخطف منها الروح.

- حسنًا، لقد ماتت! جيد!

عدت مرة أخري عبر الردهة الخشبية، ورأيت صورة أمي في كل مكان في البيت. أخذت أردد برؤيتي لأمي في كل مكان:

- حسنًا، لقد ماتت! جيد!



7

طلبت من السيدة أن تدفن أمي. وما الجدوى من عدم دفن الجثة إلا بعد مرور ثلاثة أيام لحين أن تتعفن؟

واففت السيدة على كلامي للمرة الأولى قائلة:

- وجهة نظر، حقًا!

كانت تأمل أيضًا إن تمكنت من إرشاد والدي بأن يدفن أمي في مكانٍ آخر، والذي كلما كان بعيدًا عن مقابر أسلاف أسرة "خوانج" كان أفضل بكثير. ولكني شعرت أن ذلك يرجع لقرار أبي. ولو أن حبه لأمي مات معها، فمن الأفضل أن تبقى أمي بعيدة عنهم.

لكن والدي أصر على أن تدفن أمي في مقابر الأسلاف، وفي قبر أقرب إلى قبره.

جُنت السيدة من فرط الغضب وقالت:

- يكفي هذا منك.

لم تكن عشيقات أبي الأخريات راضيات أيضًا.

قال أبي بهدوء:

- إذا كنتن شامتات بها، فمن الممكن أن تمتن قريبًا أيضًا.

جلب الإبريق الخاص به للمقبرة وألقى بالخمر على الأرض جرعة جرعة. أبعدت النظرة الخاوية على وجهه الناس. حينما أنزل تابوت أمي في القبر وشرع الخدم بوضع التراب في الحفرة، قفز أبي فجأة في القبر وقال بصوت مسموع:

- ادفنوني معها!

نظر الخدم وهم يتكئون على أيدي مجارفهم لبعضهم البعض في ذهول.

كانت السيدة ترتعش من الغضب، ومع ذلك، أبقت فمها مغلقًا.

بعدها بلحظة، وقف أبي قرب حفرة المقبرة بنفسه، وثيابه متسخة. وبعد أن فرغ من آخر جرعة وألقى الإبريق في القبر، صعد بشكل غير لائق تمامًا. حاول أحد الخدم أن يعاونه ولكنـه ضرب وجهه وقال له:

- أبعد يديك القذرتين عني!

غادر أبي فورًا، دون أن ينظر إلى أحد.

تبعه بقية الناس. وفي آخر الأمر، بقيتُ وحدي أمام المقبرة، وسرت أحرك يدي عدة مـرات على الاسمين المحفورين على حجر القبر: "جيومنجو".

"الحشائش الخضراء الكثيفة في الوادي الكبير،

هل هذا المكان الذي نمت فيه نومك الأبدي؟

كيف يسعني أن أعثر على خدَّيكِ الورديين،

لكن لا أجد سوى هيكل عظمي أبيض ناصع البياض؟

لم يمسك أحدهم بكأس ويدعونني للشراب،

لا أستطيع أن أشعر سوى بالحزن البالغ لفقدانك".

لم تكن أبيات شعر "الشي دياو" الكورية تلك من تأليفي، بل من تأليف رجل يـدعى "لـين تي". وليست الأشعار لوالدتي بل لي. فقد أتى لهذا العالم بعد وفاتي بتسعة أعوام، وأكثر ما أحزنه في حياته هو أنه لم يولد في العصر الذي عشت فيه. حيـنما لاحـق خطـواتي نحـو "سـونج دو"، بقي وحده أمام مقبرتي لوقت طويل.

8

وبسبب مثابرة الشاب واهتمامه بأمري، صرت مشهورة في "سونج دو". وفي كل يـوم تجـد العديد من الناس وهم يتسكعون في بيتنا آملين أن يروني. وقد أحضرني والدي مـرتين للمأدبـة وحتى قدمني للضيوف المميزين.

حركـوا رأسـهم بابتـسامة وجعلـوني أشـعر بـالخوف، فقـد تـسببوا في إصـابة جـسدي بالقشعريرة، قائلين:

- حقًا...

تعجبت مما رؤوه على وجهي وما استجلب كلمة "حقًا...".

نظرت نحو والدي الذي أبقي فمه مغلقًا من الحرج، والذي لم يلقِ نظرة واحدة عليَّ منـذ وفاة أمي وكأنني أتسبب في العار له.

ظهرت النظرة نفسها على وجوه باقي الناس في البيت. كما لو كانوا يقولون "ها قد أتت". وهكذا فالأشياء المخزية تأتي بهذا النحـو. انظـروا، إنهـا تتنـاول الطعـام وتـشرب. ومـا المخـزي بالطعام والشراب! انظروا، إنها ترتدي زي الحداد، ولكنها لا تستحق الاحترام. يا له من عار!

لم أهتم بكل هذا. فقد كنـت مختلفـة عـنهم؛ سـواء كـان ذلـك عـارًا أم لا، لم يتغـير شيء. وباستثناء الابن الأكبر للسيدة، لم يتحدث أحد معي. مـاذا إذن؟ لم يكـن لـدي أي شيء لأقولـه لهم، وما زلت غير مؤهلة للمخاطرة بذلك.

مع هذا الوضع السيء لي في المنزل، بدا ذلك أنه يُشعر السيدة بالسرور البـالغ؛ واستطعت أن أخمن هذا من تعبـيرات وجههـا. لم أدرك أبـدًا إن كانـت تـستطيع

قراءة أفكاري مثلما فهمتُها. شعرت أنا أيضًا بالسعادة. والخزي بالنسبة لى بـدا مثـل الفـستان المتألق الذي يُظهر جمالي وروعتي التي عانت منها عيون الناس.

كانت عائلة الشخص الذي كان سيصير زوجي قد فسخت الخطبة.

بالطبع من عساه يتحمَّل خزي تجلبه له زوجته المستقبلية؟

قال لي أبي في أحد الأيام:

- لماذا لم تكوني أنتِ من شنقت نفسها؟

حولتني كلماته تلك إلى عمود خشبي في الردهة الخشبية. ورغم أن رائحـة الخمـر كانـت تفوح منه وهو يقول ذلك، لم يكن يترنح من السكر.

منذ أن ماتت أمي صار أبي يتصرف بشكل غريب معي. بـدا جـسده مثـل صـدفة البحـر فقط، وأن أحشاؤه قد دُفِنَتْ في الوحل مع أمي، تمامًا مثل إبريقه المفضل.

لم يحتسِ الشراب ليسكر مرة أخرى في ظل غياب هذا الإبريق.

الآن نادرًا ما يقيم مآدب في البيت، أو يخرج لأي تجمعـات. بـدلًا مـن ذلـك، أغلـق بـاب غرفته حينما يحل الظلام، ومن ثم ينام مثلما كان يفعل في غرفة أمـي التـي صـارت كالـصدفة الفارغة.



9

في اليوم الذي تركت فيه بيت "خوانج" مُتجهة إلى بيت الزهور وهو اليوم الأول في الشعر السابع حينما بدا القمر رفيعًا مثل سكين صغير مقوس.

تضاءل القمر سريعًا.

لذا منحت نفسي اسمًا يليق ببيت الزهور وهو: "القمر اللامع".

التقيت بصاحبة البيت مرة واحدة. كانت هي من أخبرتني بأن ألقي شيئًا داخليًا ارتديته على التابوت قرب بوابة الحديقة الخلفية لبيت "خوانج"، لذا أجابت كل طلباتي. كنت حرة في ذلك البيت، وكان مسموحًا لي بأن أفعل أي شيء أحبه ولم يجبرني أحد على القيام بأي شيء.

زعمت أسرة "خوانج" أن "تشن إي" ماتت من مرض مزمن، وأن اسم الشهرة لها المعروف بالقمر اللامع أو الشمس الساطعة لا علاقة له بالأسرة. ولن تدع أسرة "خوانج" أحدًا يشوه سمعه العائلة.

لم يطأ والدي بيوت دعارة أو زهور منذ ذلك الحين، وصار رجلًا واعظًا وبوذيًا مخلصًا، فقد ترك المتع الحسية في هذه الحياة كي ينعم بالآخرة.

منذ أن صرت فنانة، رأيت والدي مرة واحدة فقط، في طريقي إلى المعبد وراء السحب لأقدم بخورًا لبوذا. في الشارع الضيق مرت عربتين تقابلتا ببطء. نظرنا إلى بعضنا البعض من خلال النوافذ. كان صامتًا، وحملق في كما لو كانت تلك المرة الأولى التي يراني فيها.

كانت السيدة تجلس بالقرب منه، وقد زاد وزنها بشكل واضح.

ألقيت التحية على السيدة قائلة:

- مر وقت طويل على آخر مرة تقابلنا فيها، كيف حالك؟

بكل نظرات الاشمئزاز والكره التي ملأت عينيها، نظـرت إلي بـبرود، وبـصقت عـلى وجهـي بكلمتين خرجت من أسنانها:

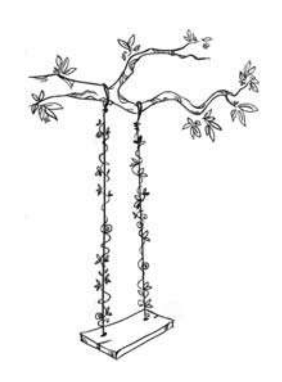
- أيتها العاهرة.

رددت عليها بابتسامة.

قالت بوجه جاد وصوت أعلى مع ابتعاد العربات عن بعضها البعض:

- كنت أقول دومًا: "اقلب القدرة على فمها تطلع البنت لأمها" والعـاهرة لا تنجـب سـوى عاهرة مثلها.

نظرت بعيدًا، بدا الشارع مُبهرًا بضوئه الأحمر وبراعم الخوخ، التـي اختفـى ورائهـا جـسد أمي وهي تجري وترفرف جيبتها الحمراء مثل الـلـهب.



وشاح أحمر فوق الأرجوحة



ظهرت المزيد والمزيد من الوجوه في مدينة "نان يوان فـو". كـان أغلـب هـؤلاء الأشـخاص الصغار في السن تبدو على وجوههم ملامح جادة لا تطابق عمرهم. من ضمنهم، شـاب صـغير يحمل سيفًا يبدو متميزًا عنهم، مثل المفتش الإمبراطـوري الـسري مـن مكتـب المفـتش العـام. تجولوا في المدينة وفي الواقع سببوا الأذى لأهل "نان يوان فـو" لدرجـة كبـيرة قبـل أن يخرجـوا قطتهم من خارج الحقيبة بشكل مشكوك بـه: وجـذبتهم هنـا قـصص مغنيـات "البـان سـلي" فالتقوا بـ"مدام شيانج" التي قالت متسائلة:

- أوه، أهذا سبب كل ما يحدث هنا؟!

شعر الناس في "نان يوان فو" بالراحة وأدركوا في الوقت نفسه أن أسطورة "مـدام شـيانج" انتشرت بعيدًا والي أماكن لم يذهبوا إليها من قبـل أو وطأتهـا أقـدامهم قـط أو خطـرت عـلى بالهم. وجود هؤلاء الغرباء دون شك أثـري محتويـات القـصص التـي تغنيهـا مغنيـات "البـان سلي" ويكتبها الأدباء. إذًا يمكن القول إن هناك أمرين أحدثوا ضجة في "نان يوان فـو"، وهـما، شهرة "مدام شيانج"، وعطر الخمر الذي انتشر في حانة تيَّار الزهور.

في ظل تلك الظروف عادت موسيقي البلاط الملكي إلى "نان يوان فو". كان ذلك الموسيقي الذي ألف شعر المديح عن "مدام شيانج":

"سيدة تشبه براعم الكمثرى تحت المعابد القمرية البيضاء،

رجل فضى قرب درب التبانة في الليل الحالك،

بقلب ملأته الرغبة والحب العارم.

فقط طائر الوقواق كان شاهدًا.

انتفخت معدته بريشها الأخضر،

وسيستحم في النهر الصغير ويفهم الأمر جيدًا؛

والسيف تم رفعه والحزام محكم ودفع وطنه للعمل".

دائمًا ما يحترم الناس "مدام شيانج" رغم أنها كان لديها طفلًا من دون زواج وتم نسبه إلى أحد الرجال النبلاء، وما هو أكثر من ذلك حينما هُجرت، لم تبكِ بشدة مثل باقي النسوة. ومنذ ذلك الوقت وبشكل غريب تمامًا، بدت أكثر جمالًا وسحرًا.

في أحد الأيام، كان هناك موظف رسمي من الرتبة الثالثة أتى من متجر العطور وتناول كأسين من الخمر في حانة تيَّار الزهور قبل أن يغادر متجهًا إلى المدينة. ورغم أن كل من كانوا في الحانة خمنُّوا خفية أنه عريس، فقد تصرف كما لو أنه لم يرِ أي شخص، مع لمعة غريبة بادية في عينيه وابتسامة على وجهه. حينما انتهى من شرب الخمر، هز رأسه وتنفس الصعداء بشكل طفيف وقال:

- هذه المرأة الفاتنة!

انتشر ذلك في المدينة بأسرها. وحاول صاحب حانة تيار الزهور جاهدًا أن يجعل الآخرين يعتقدون أن الخمر وليس "مدام شيانج" هو ما أعجب الموظف، ولذا فإن الخمر الذي شربه كان أفضل نوع من أنواع الخمر، فهو أكثر إغراءً حتى من "مدام شيانج". ونتيجة لذلك، غالبًا ما كان يموت ضحكًا في "تيان يوان فو".

كان الناس في "تيان يوان فو" يتنهدون كثيراً بشكل يومي تقريبًا ويرددون عبارات مثل: "حقيقة إن "مدام شيانج" ليست امرأة عادية".

تدفق الرجال إلى متجر العطور وكانوا أشخاصًا ذا نفوذ قوي، وأُغرموا جميعًا بـ"مدام شيانج"، وحتى أهل مدينة "تيان يوان فو" جميعًا قد طار عقلهم. وذلك بفضل أشعار "الشي دياو" التي ألفها موسيقي البلاط الملكي، فأدرك الناس فجأة في "تيان يوان فو" أن ""مدام شيانج" على أي حال لا تختلف عن باقي الفنانات الأخريات، فكلاهما نوع من أنواع الرفاهية للرجال.

تقاعد موسيقي البلاط الملكي عن عمله بسبب المياه البيضاء التي أصابت عينيه. رغم أنه دومًا ما اتسم بالغرور، اكتشف لدى عودته إلى بلده الأم أنه لم يهتم أحد في الواقع بسنوات خبرته التي بلغت اثنتي وعشرين عامًا من الخدمة في البلاط. أمَّا "مدام شيانج" فهي التي كانت محل الاهتمام كله.

في أحد الأيام، التقى موسيقي البلاط الملكي بشاب والذي خمن من ملابسه أنه لا بد أنه من أسرة نبيلة، أو ابن لأسرة غنية. رغم أن بصره كان يزداد ضعفًا، استطاع أن يدرك أن الشاب كان يحمل سيفًا قيمًا من بريقه المُبهر.

كان الشاب يحمل بيد كأس خمر، ويخربش على المنضدة بالسيف في اليد الأخرى. ولم يتجه أحد إليه كي يوقفه. حالما انتهى من الخربشة، أزال سطح المنضدة وكأنه يزيل اللحاء من شجرة. بعدئذ نادى على النادل كي يطلب الفاتورة، وترك ما يكفي من العملات الفضية كي يشتري دستة من الطاولات الجديدة.

تنهَّد موسيقي البلاط الملكي الأسبق وهو يشعر بمشاعر مختلطة ناظرًا نحو عميل رفيق له يجلس بقربه وقال:

- "مدام شيانج" كالإناء الذهبي لدرجة أن حتى الصغار جدًا في السن لا يسعهم إلا الانجذاب إليها.

دون التفوه بأي كلمة أخرى، اندفع الشاب نحـو موسـيقي الـبلاط الملـكي بـسيفه في يـده اليمني.

في الصباح فُتِحَتْ الحانة والعملاء كانوا ما يزالون واعيين. اندفع بعـض الـشباب اليـافعين في تلك اللحظة لإيقاف شاب وهو يعمل. وحينما سـمع الرجـل المـسن الـضوضاء واسـتدار كي يرى ما يحدث، وجد طرف السيف على بعد نصف قدم من صدره.

حيث أن الشاب قد دُفِعِ بقوة وسُحِبَ إلى أسفل السلم، استدار الشاب نحو أسفل السلم وأبعد الأيدي من على أكتافه، وقال وطرف السيف موجهًا إلى موسيقي البلاط الملكي:

- لا تقل شيئًا: فعاجلًا أم آجلًا سأقص لسانك مثل الأعشاب الضارة الموجودة بالحديقة.

صار لون عينيه داكنًا، وتعبيراتها واضحة، لكن باردة.

ارتعد موسيقي البلاط الملكي لمدة طويلة، ربما من الغضب أو الخوف، من يعلم؟ ولم يهـدأ حتى شرب ثلاث زجاجات من الخمر جعلته يستعيد قدرته على الكلام.

- من أين أتى هذا الفتى؟ كيف له أن يتحدث بهذا الأسلوب مع موسيقي خدم في الـبلاط الملكي لمدة عشرين عامًا؟

ضرب المنضدة قائلًا:

- شيء مهين! حقًا يا له من شيء مهين!

في عصر ذلـك اليـوم، فـتح الموسـيقي عـدة زجاجـات خمـر لنفـسه ولبـاقي الزبائن الآخرين. وحينما رأى نقوشًا طينية منحوتة على إحدى تلك الزجاجـات، أخذ طبلة صغيرة معلقة علي الحائط كديكور وأخذ يـؤدي دوره كمغنـي "بـان

سـلي"، ويـسرد حكايـات حـول بيـوت الزهـور في مدينـة "سـيول" وملقبًـا كـل الـبطلات في القصص بـ"مدام شيانج".

بـدت قصـصه "البـان سـلي" مـشهورة إلي حـد كبـير، وبالتـالي اعتـاد أن يحـكي قـصة أو قصتين منهم في حانة تيَّار الزهور كل يوم في العصر، حيـث يتـدفق النـاس مـع عـمال المـزارع الذين يعملون في الحقل وقد تعلقوا بقصصه تلك وكانوا يستمعون إليها وهـم يـأكلون كـرات الأرز.

في إحدى الليالي بعدها بشهرٍ لاحق، اختفى موسيقي البلاط الملكي. وبعد أيام من البحـث عنه، عثرت عليه أسرته أخيرًا في الجبال مربوطًا بشجرة تنـوب، وفـوق رأسـه لـسانه الـذي بـدا للوهلة الأولى لمن لا يدقق النظر مثـل ورقـة شـجر ذابلـة، كـان مقطوعًـا ومـدقوقًا بالـشجرة بمسمارٍ فضي. ورغم حياته التي عاشها بكرامة وعزة، فإنه قد جُرِّد من ملابسه، وتلطخ جـسده كله بالعسل وغطته أسراب النمل حتى صار كأنه يرتدي رداءً متحركًا.

وضعت أسرته جسده الملدوغ من النحل على محفة ولـسانه الجـاف في فمـه بعـد أن تـم جذبه من على الشجرة مـن المـسمار الفـضي والـذي لوهلـة بـدا مثـل شيء بـصقه الموسـيقي بنفسه.

مرت أسرة الموسيقي خلال المعرض في فترة العصر حينما كان العمل في عز نشاطه. وضعوا جميعًا كـرات مـن القطـن في فتحتـي أنفهـم، والنـساء ممـن تـابعوهم أنـزلن رؤوسـهن عـلى صدورهن وأمسكن بأنوفهن وهو ما أثَّر على صوت نحيبهم.

اندفع الناس إلى الموكب مـن كـلا الجـانبين. وحيـنما اقـترب الأسرع مـنهم مـن موسـيقي البلاط الملكي الراحل، أرادوا الابتعـاد عنـه سريعًـا، لكـنهم لم يتمكنـوا مـن هـذا نظـرًا لوجـود الكثيرين ممن يندفعون خلفهم، فاقتربوا أكثر من الجثة بدلًا من الابتعاد عنها.

سقط القليل جدًا من الناس أرضًا وتقيؤوا بسبب الرائحة الكريهة المنبعثة من الجثة.

سارت الأسرة في موكب هائل طوال الطريق نحو البوابة الخاصة بالحكومة المحلية عبر الردهة التي شكّلها شاهدي العيان على جانبي الطريق. كان هناك رجلين قد تبادلا الضرب على الطبلة لاستدعاء الإدارة. ولكن حاكم "تيان يوان فو" لم يظهر إلا في المرة الخامسة من الضرب الإيقاعي، وبدا عليه التعب الشديد.

ذرف أقارب الفنان الميت دموع الخزي والغضب.

قال أقارب الفنان، وأيديهم كادت تلمس وجه الحاكم تقريبًا:

- إنه شيء لا يُغتفر لفنان أدى خدمته في البلاط الملكي لمدة عشرين عامًا أن ينتهي به الأمر إلى ذلك. يا مولانا، حقًا عليك أن تقترب وترى بنفسك ما حدث لجثة الموسيقي التي بدت غير واضحة الملامح.

عبس الحاكم وهو جالس في كرسيه الرسمي، وأمر الحارسين الواقفين على كلا الجانبين بتهويته.

قال الحاكم:

- الرائحة شنيعة.

أجابت الأسرة:

- "مدام شيانج" العاهرة يجب أن تُلام على كل ذلك.

سكت الحاكم لبرهة ثم قال:

- "مدام شيانج"؟ كيف لامرأة أن ترتكب شيئًا مثل ذلك؟

- حتى لو لم تكن هي القاتلة، لابد أنها كانت العقل المدبر.

- إذن من تواطأ في ذلك؟ وهل لديكم أي دليل؟

قال الحشد المتجمع من أسرة الفنان بعد دقيقة من الحملقة:

- لقد خدم الموسيقي بالقصر لمدة عشرين عامًا...

قاطعهم الحاكم بابتسامة:

- أعلم ذلك، أعلم أن الفنان عمل في القصر الإمبراطوري. هل تريدون مني أن أتقدم بطلب للملك كي يمنحه تكريمًا بعد وفاته على شرفه؟

- لا نريد أكثر من تطبيق العدالة على القاتل كي ترقد روح الميِّت في سلام.

نهض الحاكم من كرسيه ويديه على المنضدة ثم قال:

- بالطبع.

نظر للحارسين الواقفين بجواره على الجانبي الأيمن والأيسر، وقال:

- أنتما الاثنان وجب أن تتوليان معرفة من جرؤ على قتل موسيقي البلاط الملكي.

بمجرد أن أجاب الحارسان، صاحت أسرة الرجل الميت بصوتٍ عالٍ:

- من الواضح تمامًا أن "مدام شيانج" هي القاتلة. وقد ارتكبت هذه الجريمة بدافع الانتقام.

- وما الذي يدعو "مدام شيانج" إلى الانتقام من الموسيقي؟

- كان الموسيقي يؤدي بعض قصص "البان سلي" التي تدور حول بيوت الزهور، والتي من المؤكد أن "مدام شيانج" اعتبرتها بمثابة تلميحات ضدها ومن ثم سعت للانتقام منه.

- وبحكم خبرته في القصر الإمبراطوري كيف يتسنى للموسيقي أن يشترك في أعمال تتعلق بمغنيات "البان سلي"؟ وما علاقة قصص "البان سلي" بـ"مدام شيانج"؟ في الواقع أنا نفسي سمعت بالمشاحنة بين الموسيقي والشاب الذي كان يحمل سيفًا في الحانة، والذي قال شيئًا ما عن لسانه.

تذكَّر الحاكم أمرًا ما وابتسم لنفسه وقال:

- إن هذا الشاب مُعجب كثيرًا بـ"مدام شيانج"، وأخشي من أنه من المحتمل أنه لم يدع الأمر يمر بسهولة إذا أُهينت محبوبته.

قال ابن الأخ الأصغر لموسيقي البلاط هازئًا:

- أخشى أن يكون هناك سبب ما يجعل سيدك مولعًا ولعًا شديدًا بتلك العاهرة المخزية.

تجمدت الابتسامة على وجه الحاكم. وبقى يحملق في الشاب الذي كان وقحًا بما فيه الكفاية كي يتحداه، رفع يديه من على المنضدة وسقط مرة أخرى في كرسيه بضجر. وقال بهدوء:

- وقاحتك لا تتماشى مع عمرك. إذن فلتخبرني ما السبب.

- حينما اختفى عمي بحثنا عنه ليلًا ونهارًا. وفي المساء بعد اليوم الذي فُقد فيه عمي، رأينا عربة "مدام شيانج" عند إحدى جانبي بوابة منزلك. كانت عربتها مصنوعة من أحسن أنواع الخشب ويجرها حصانان لهما شعر أبيض مثل الساتان، ولذا بدا من السهل أن نتعرف عليها حتى في الظلام. ورأيت بعيني حقيبة كبرى قد حُمِلَتْ خارج العربة قبل أن تغادر. حينئذ عندما مررت أمام البوابة الجانبية في وقت بزوغ الفجر، رأيت عربتها مرة أخرى تركن هناك، وعندما خرج رجل يرتدي معطفًا طويلًا من بيتك ودخل العربة، غادرتْ بعيدًا.

قال الحاكم مبتسمًا:

- لا بد أنك تعلمت فن "البان سلي" من موسيقي البلاط الملكي نفسه، أليس كذلك؟ قصتك محبوكة جيدًا حقًا. ولكن مع عرض حياة الناس للخطر، لا يمكنني حتى الاستماع إليك. وفي حال استمررت في نسج تلك الأكاذيب سأقبض عليك بتهمة إهانة موظفين رسميين. ولكن الآن...

نظر إلى الحارسين على جانبيه واستمر بالحديث قائلًا:

- أكثر شخص يمكن الشك به هو الشاب الذي تعارك مع الموسيقي في الحانة. ولـذا يجـب أن نقبض عليه أولًا.

بعد أن قال حاكم "تيان يوان فو" ذلك، غادر المكتب.

لذا بدأ الحراس الملكيون البحث عن الشاب الذي تسبب حديثه غير الحـذر في مـشكلات. قبل أن ينتهي أمر موسيقي البلاط الملكي كطُعمٍ للنمل، فإن الجميع في شارع "تيان يـوان فـو" كانوا يسمعون عما حدث مع ذلـك الـشاب، ولكـن منـذ مـوت الفنـان، لم يعلـم أحـد بمكـان وجوده.

وبعد الفشل في الحصول على أي إجابة مرضية من الحكومة المحلية، حملـت أسرة الميـت جثة الموسيقي المتعفنة إلى بوابة بيت "مدام شيانج" حيثما أعدوا منصة خشبية بارتفاع ثلاثـة رجال يقفون فوق بعضهم البعض. ووضعوا الموسـيقي فـوق الكـرسي الخـشبي فـوق المنـصة، وأجروا دستة أو أكثر مـن النـساء مـن ذوات اللـسان الحـاد كي تـرددن اللعنـات بحـق متجـر العطور وأنوفهن محشوة بكرات القطن قبل العودة مرة أخرى إلى منازلهن للنوم ليلًا.

وفي الليلة الثالثة، نُقل الموسيقي أمام مكتب الحاكم في "تيان يوان فو"، تنبعث منه رائحة عفنه التي انتشرت في المدينة بأسرهـا. حيـث اسـتيقظ الأطفـال لـيلًا بـشكلٍ فجـائي وتقيـؤوا، وبدأت الشائعات حول الوباء المحتمل في الانتشار في كل شوارع "تيان يوان فـو"، مـما أصـاب المدينة بحالة من الذعر.

أصـبح الموسـيقي الميـت وقريبـه الحـي أقـل شـهرة، حيـث اشـتكت البلـدة كلها منهما. وما هي إذن التهمة الموجهة لــ"مـدام شـيانج"؟ فهـذه المـرأة، بعيـدًا عـن جمالهـا، فقـيرة جـدًا؛ ولكـن الموسـيقي أضـاف إلى الطـين بلـه حيـنما ابتـدع تلك القصص. كانت أسرته مثيرة للشفقة خائفة حيث لم تجـرؤ عـلى التعـارك مـع

الـشاب الـذي كـان يحمـل سـيفًا ولكنهـا لم تتـوانَ عـن مـضايقة سـيدة ضـعيفة. العـار عليهم!

كان موسيقي البلاط الملكي يستحق ما حدث له! فقد تعرضت جثته لضوء النهار وصـارت حفنة من اللحم العفن. حقيقة إنه يستحق ذلك. والآن أصبح ناقوس خطر الطاعون يدق. يـا للشرور التـي اقترفهـا! صـارت أسرة الموسـيقي الراحـل أكـثر أسرة مكروهـة، ولم يجـرؤوا عـلى الاقتراب من الجثة مرة أخرى ووجب عليهم أن يدركوا أنها يجب أن تنقل على محفة يحملهـا بعض السكارى الفقراء بأمر من مكتب الحاكم لتُلقَى عند الجبال.

لم يكن هناك أي انتشار لمرض الطاعون.

تحسنت أوضاع شعب "تيان يوان فو" بالتدريج.

بعدئذ ببضعة أشهر، عاد شخص ما من الجبال وقال إنـه رأى هـيكلًا عظميًـا أتـت عليـه أسراب النمل وكان يتحرك محدثًا صوتًا بفعل الرياح، كما لـو أن موسـيقي الـبلاط الملـكي كـان يغني قصص "البان سلي".

وبعدها بعامين، نُقل حاكم "تيان يوان فو" إلى وظيفة صورية في مكتب المفتش العـام في مدينة "سيول". وحينما كان الرجال يتحدثون عن الحب وأموره في حفل خمـر، كـان الحـديث موجهًا حول "مدام شيانج" في "تيان يوان فو" وحـاكم "تيـان يـوان فـو" الـسابق فـيما يتعلـق بمقتل موسيقي البلاط الملكي.

سأل أحد الرجال:

- هل ما قاله ابن أخ الموسيقي صحيحًا؟ هل قامت "مـدام شـيانج" حقًـا بزيـارة بيتـك في تلك الليلة؟

- جاءني زائر بالفعل، ولكنه لم يكن "مدام شـيانج" بـل "جـين بيـاو" مغنيـة بيـت الزهـور المعروفة من "تشوان تشو".

قال شخص آخر:

- لقد سمعت عنها. يقال إنها قادرة على أداء رقصة كاملة على حلبة رقص واحدة.

قال الحاكم السابق لـ"تيان يوان فو" وكأنه فاقد الوعي شيئًا ما:

- كانت حقًا امرأة نحيفة.

- إذن هل أرسلت "مدام شيانج" مغنية بيت زهور كي تقوم برشوتك بدلًا من نفسها؟

- أتت "جين بياو" فقط لتبلغني بشأن ما حدث في حانة تيار الورود ومن صحبت "مدام شيانج" بعد ثلاثة أيام من فقدان الموسيقي.

ضحك رجل وهو يقول:

- وبالطبع لم تخدعك مثل تلك الحيل.

حرف شخص آخر الكلام وقال:

- سواء خُدعت أم لا. كلٌ يحدث على حسب الظروف.

انفجر كل الرجال في الضحك.

أثارت زوجته الموضوع مرة أخرى حينما كانت تنتظره قبل النوم وقالت:

- أنا متأكدة تمامًا ومهتمة بأفعال "جين بياو".

ظهرت ابتسامة غامضة نوعًا ما على وجه وقال:

- لا أتذكر ما قالته وهو أمر لا يستحق الذكر على كل حال. ولكن حينما رحلت في الصباح التالي وجدت صندوقًا حملَتْه إلى بيتنا. في الليلة السابقة حينما حُملت "جين بياو" إلى غرفتي الداخلية في ذلك الصندوق، تعجبت من كيفية

جعل صندوق واحد أربعة شباب أشداء لا يتنفسون؟ ولماذا يجب أن تُحمل إلى بيتنا أمام أعين الناس بدلًا من أن تتخفى مرتدية عباءة؟

ـ أتعني أنه كان هناك حيل أخرى في الصندوق؟

قال الحاكم السابق وهو يبتسم:

- إنه كان الصندوق نفسه. في ذلك الصباح اكتشفت أن الصندوق صُنع من الذهب الخالص.

دُهشت زوجته.

قالت وهي عابسة:

- يا لها من امرأة واسعة الحيلة! ومن رأيك إذن هل علمتْ من كان القاتل؟

ضم الحاكم السابق لـ"تيان يوان فو" شفتيه وشرب بلطف الشاي من الفنجان وقال:

- القاتل لم يكن سوى الرجل الأحمق نفسه الذي كان يسأل عنه.

واستكمل الحديث بهدوء قائلًا:

- ما الشيء العظيم جدًا في قضاء بضع سنوات في القصر! حتى التنين الكبير لا يسعه التصرف مع حية محلية، والأشخاص في الخارج أقوياء جدًا لدرجة أنه يصعب التغلب على حكماء الشارع بمفرده، ناهيكم عنه!

ابتسمت زوجته ثم قالت:

- لقد تفاقم مرض عينيه ولا عجب أنه لم يعد يستطيع الرؤية.

رقصة الكاهنة



لم يكن معروفًا موعد توقف المطر. عندما جلس "الراهب تشي تزو" متأملًا، بدا المطر جميلًا وغزيرًا مثل الخيوط الحريرية التي حيكت ما بين السماء والأرض، ومزخرفًا عليها أشكال مثل الجبال والأشجار والمعابد. كان يغني لنفسه بصوت خفي "السوترا"، ويشعر أنه ينكمش وينكمش مثل اليرقة حيث بدت روحه مثل قطرة ماء ذو عمق وعرض لا نهائي منسوج لعالم آخر.

هناك، كانت رائحة الأشجار ونكهة العشب الطازجة تملأ الأجواء في الليل، والنفحات الخفيفة المجددة للبرودة تكسر الصمت كالعطر الذي ينتشر فجأة في اللحظة التي يتحول فيها البرعم إلى زهر ولكنها تبقى في مكانها في الحال كما لو فاجأها أحد فتنتشر على هيئة نفحات ونسمات في كل مكان.

فتح "الراهب تشي تزو" عينيه وأدرك أنه قيد المراقبة.

كانت هناك امرأة تنحني على ركبتيها عند البوابة. كانت ترتدي فستانًا صيفيًا أنيقًا مليئًا بالنقوش ومجسمًا لها، كان من السهل رؤيتها، شعرها مفرودًا بخفة على أكتافها، تتساقط منه قطرات المياه عند الأطراف، وجهها شاحبًا مثل ورقة تغليف تحيط بخصلات شعرها الداكنة. كانت تعض أسنانها بشدة لمنع نفسها من أن تصدر أي صوت وهي ترتعش.

نظر السيد نحو السطح، وتعجب بحق السماء من كيفية دخولها المعبد، ومرورها عبر عدة ساحات كي تأتي هنا في مثل هذا الوقت، إن لم يتعجب من كيفية سقوطها من السماء.

قال الراهب: "يا إلهي!"

فتحت المرأة فمها ولكنها لم تستطع التفوه بأي كلمة من شفتيها المرتعشتين. كانت عيونها سوداوين وعميقتين كما لو كانت تلك العيون قد جذبت الليل بأسره وبرودة العالم كله.

نزل "الراهب تشي تزو" من الكنبة المصنوعة من خشب البامبو، واقترب من المرأة.

كانت أقرب أحياء سكنية للمعبد على بعد آلاف المسافات. رغم أن وزن المرأة لم يكن أثقل من وزن ريشة، لم يعتقد السيد أنه من السهل عليه حملها بيديه، ولم يجد الأمر مجديًا تمامًا. انهارت بين ذراعيه، كانت مبللة وباردة، وذلك ما جعله يرتعد كثيرًا. كانت عينيها المغلقتين تقريبًا من وراء رموش طويلة وكثيفة تذكره بثعلب بري.

وضعها "الراهب تشي تزو" على كنبة البامبو. تحوَّل الفحم المحترق في الحوض الأرضي تقريبًا إلى رماد، وانبعث منه وهج بسيط وطفيف، مثل فاصلة الكتب المصنوعة من الحرير الأحمر التي تبرز خارج صفحات الكتاب. أخذ يزيد من إشعال الرماد بعصا حديدية، وأضاف قليلًا من قطع الفحم التي التقطها من الدلو الخشبي، ووضع بسرعة البراد الحديدي المحتوي على المياه الآتية من الينابيع إلى الحوض.

وضع أيضًا مجموعة من الملابس بالقرب منها وغادر الغرفة بعد أن طبَّق الملابس.

كان الجو في الخارج منعشًا لكنه بارد. شعر كما لو أنه بالقرب من بحيرة تصدر نسماتها اللطيفة. كانت رائحة الورود التي تنتشر في عدة أماكن في الهواء لا بد أنها نمت من براعم أدركتها السماء، وكانت مياه المطر تترك شقوقًا في

البلاط وتتساقط في قطرات على أطراف السطح. بقى حذاء المرأة خارج البوابة مبللًا لكنه ليس ملطخًا بالطين.

نظر "الراهب تشي تزو" إلى السماء، تبددت كل سحبها الكثيفة، وتسلل اللون الأزرق العميق من ثنايا الليل المظلم في السماء، وبزغ القمر في شكل فضي ودائري مثل طبق من الفضة، كان إشعاعه طفيفًا إلى حدٍ ما، وتذكارًا بسيطًا بعالم آخر مليئ بالسلام والبراءة.

نادى أحد بالداخل بصوت لطيف:

- سيدي...

أجاب الراهب، ولكنه استدار فقط كي يفتح الباب ويسحبه ويدخل بعد أن ظل يحملق في القمر لبرهة.

ارتدت المرأة الملابس التي أحضرها لها، ووضعت حتى عباءة الرهبان الخاصة به على كتفيها. كان ذلك الرداء مصنوعًا من أجمل أنواع النسيج ومخيط بعناية، كان لونه أحمر قرمزي. خيطت الملابس بخيط ذهبي بغرز رجل الغراب. وعندما ارتداها هو لأول مرة، شعر أنه يغطس في روعة هائلة من السحب الجميلة التي جعلت ساقيه يصابان بالضعف. مؤخرًا فقط بدأ يشعر بنفسه وبتناغم مع العباءة والجدية التي أحس بها وهو يرتديها.

اتجه "الراهب تشي تزو" إلى كنبة البامبو وتمدد بثبات سريعًا على الوسادة.

- القمر اللامع يبدي احترامه للسيد.

أحاطت خصلات شعر المرأة المبللة بخديها مثل قطعتين من قماش الساتان الأسود، ويديها، واحدة فوق الأخرى رفعتهما فوق رأسها حينما كانت تنحني على ركبتيها على الأرض، وفي ذلك الحين بدا فرق شعرها واضحًا وهي تنحني.

رد الراهب التحية بيد واحدة وقال:

- يا إلهي! ما الذي أحضركِ إلى هنا في هذه الليلة أيتها الراعية؟

نظرت للأسفل وقالت:

- أعاني من غصة في قلبي وأخشى أن أضايقك بمحاولة حلها.

نظر الراهب إلى الشماعة المعلقة عليها فستانها الرائع المزخرف بمختلف الرسومات الصيفية الجميلة وقال لها:

- في هذه الساعة...

ونظر إليها مرة أخرى وأومأ إيماءة خفيفة برأسه وقال:

- تفضلي أيتها الراعية.

بعد لحظة من الصمت نظرت للأعلى إلى الراهب، كانت عيناها تلمعان تجاه عباءة الرهبان في ضوء الشمعة مثل لمعان عيون قطة، وقالت:

- سيدي، أود أن أعلم كيف يمكنني معالجة جسدي؟

قال لها السيد:

- الجسد البشري يصعب الوصول معه إلى شيء، ومن الواجب أن يحترمه صاحبه.

- رغم اهتمامي به، إلا أن الروح أحيانًا تبدو وكأنها تُسحب منه وتذهب إلى مكانٍ ما قريبًا منه مثل فراشة ترقب ابتهاج وغضب وحب وكراهية الجسد. وهلم جرا.

فسر لها "الراهب تشي تزو" ذلك:

- كل هذا هراء.

استطرد قائلًا:

- يمكن لطبيعة عقلك الإلمام بممارسة البوذية، ومن ثم لن تقلقكِ مثل تلك الظواهر الفيزيائية.

تنهدت بخفة وسألته:

- ولكن كيف لإنسانٍ مثلي أن يحقق كل تلك الفضائل ويتمتع بالحكمة التي لديك؟ فالجسد بالنسبة لي مجرد سلعة والتي تظهر غالبًا الولع والملذات والوله بمجرد أن تفتح. ينجذب كل رجال العالم لي وأنا أيضًا أتعرض لتجارب أشعر فيها بمتع مختلفة من علاقاتي معهم.

قال لها الراهب:

- في أحلام المرء، ينسى أنه ضيفًا في هذه الدنيا، وبمجرد نزولنا إلى هذا العالم البشري فإننا جميعًا نتعرض لحياة مليئة بالتعاسة المريرة. إذن لا تسمحي للحيرة بالتملك منك.

قالت له المرأة:

- تتفتح الزهور فقط لفترة قصيرة ثم تذبل، ومثلها الملذات. فإن كان الكل يعيش في كبد في حياتهم القصيرة، إذن فلا يوجد سبب كي نهدر أجمل أيام شبابنا.

- الملذات مجرد وهم. وإن قرر المرء قضاء حياته في مثل تلك المتع، وتوقف عن ممارسة البوذية فلا شك أنه سيعاني في الآخرة.

- لكن أفهمني كيف لا أشعر بأي معاناة؟ في الواقع أنا غارقة في الملذات.

نظرت للأسفل لنفسها وهي تُظهر من تحت الرداء يدًا تشبه جذر زهر اللوتس المقتطف حديثًا ولوحت بها بلطف في الهواء مصدرة تموجات وقالت:

- أنا ممتنة جدًا لجسدي. فإن كل ما أشعر به بعيني وبأذنَي وبأنفي وبلساني وبجسدي هو أشياء رائعة تتعدى الوصف، وأيضًا كل ما أشعر به

بفضل حواس اللون والصوت والشم والمذاق واللمس تملأني بالمرح، حتى الحزن والكآبة يستحقان التأمل.

أدخلت ذراعها مرة أخرى داخل الرداء، الذي بدت من تحته زهور اللوتس التي أُخفيت.

أجاب "الراهب تشي تزو" وهو يسعل بشكل خفيف:

- الناس لا يضلون طريقهم بسبب عدم تواجد الطرق أمامهم، بل يضلون الطريق لأنهم لم يجدوا الطريق الصحيح.

- إذن فالقمر قد لمع كي ترشده يا سيدي!

اقتربت منه خطوتين ونظرت مباشرة في عينيه وقالت:

- إن كانت الحياة مجرد حلم، فما هو الجسد البشري إذن؟ منبع للحلم؟

لأنه اعتمد على التربية الذاتية لوقت طويل، نسي "الراهب تشي تزو" منذ قديم الأزل الأشياء التي تتعلق بالنساء، مثل بعض الاعتقادات أن النساء يشبهن الحيوانات في الغابة، ويتسببن للناس في الشعور بالتوتر، والقلق إن اقترب منهن أحد، وأنهن يملكن ريشًا ومخالب، لذا كلما افتتن شخص ما بريشهن يكون عرضة للاصطياد من قبلهن، وفي أغلب الوقت يصبحن مثل وسائل ترفيه يمكن أن يستولي عليها الرجال ويروضونها، ولكن من وقت لآخر، يمكن أن تصرن بدورهن صيادات.

- الجسد البشري خُلِقَ كي يفكر ويتأمل ويصل للتنوير.

- أتعني مثلما حدث مع شجرة بوذا؟

توقف "الراهب تشي تزو" عن الحديث لبرهة ثم قال:

- يبدو أنكِ لستِ مثقفة بالشكل الكافي أيتها الراعية.

ضمت يديها ووضعتهما على ركبتيها بينما كانت تتكئ على الكنبة وقالت:

- اعذرني لقلة خبرتي. ولكن إن كان الجسد يؤدي نفس دور شجرة بـوذا، إذن هـل يعنـي ذلك أن التنوير يمكن أن نصل إليه إن كرَّس المرء نفسه للتأمل وأدرك في النهاية أن شجرة بوذا ليست مجرد شجرة؟

- ربما ذلك.

ابتسمت وهي تفوح منها رائحة طيبة في الهواء وقالت:

- إذن فالتربية الذاتية معاكسة لطريق الحب. الرجال ينسون تمامًا أنفسهم في بداية قـصة الحب، ولكن مع مرور الوقت يستعيدون هويتهم، وحينئذ يكون الوقت قد حان للهجـر. إذن بالنسبة للنساء، ماذا يمثِّل الرجال لهن سوى أنهم مجرد ضيوف؟

تحوَّل الفحم الموجود في الحوض المائي إلى لهب، طاردًا البرودة من الغرفـة دون أن يلحـظ كلاهما أثناء انخراطهما في الحديث، وبدأت المياه في البراد الحديدي في إصدار صوت فقاقيع.

قالت برقة:

- الرجال مجرد ضيوف، وأيضًا النساء. وبالتالي فإن الجسد دون شك مجرد نُزل لهما.

بينما كان "الراهب تشي تزو" على وشك الوقوف، قالت:

- دعني أهتم بالأمر.

خلعت العباءة، ولكن بدلًا من أن تطبقها في الحـال، أمـسكت بهـا بـين ذراعيهـا كي تنظـر إليها عن قرب، وقالت:

- يا لها من عباءة جميلة!

- إن النور يشع منها.

أبدت ابتسامة فاتنة وهي تقلب في العباءة التي تشبه جمال السحاب بمعصميها، ثم طبقتها على شكل مربع ووضعتها على الرف وكأنها تضع كتابًا. بعدئذ وضعت منضدة الشاي الصغيرة أمام "الراهب تشي تزو". كانت المنضدة وفنجاني الشاي ذو طراز قديم، مصنوعين من الخشب اللامع والخزف الصيني الناعم مثل الأحجار الكريمة.

أمسكت بالبراد لتغسل فناجين الشاي التي أعادت الحياة لمنضدة الشاي الصغيرة بالدخان والهواء المتصاعد منها، بدت أوراق الشاي في أصابعها كما لو أنها نبتت لتوها، وضعتهم برقة في الفناجين، فأخذت الأوراق تنغمس فيها وتبث رائحة نضارتها.

سألته وهي تأخذ رشفة من الشاي:

- هل وقعت في الحب من قبل؟ أعني قبل أن تأتي هنا؟

- الحب هو الرحمة.

قاطعته قائلة:

- أعني الافتتان أو الحميمية بين الرجل والمرأة.

حملق السيد فيها، ومع ذلك لم تعتذر عن وقاحتها.

- الحب كزهر في مرآة وكقمر في المياه.

- إنه أمر مقدر منذ ثلاث عصور مضت. أليس هناك قول مأثور بأن الناس تلزمهم الصلاة لمدة مائة عام كي يركبوا معًا القارب نفسه وتلزمهم الصلاة لمدة ألف سنة كي يصيروا زوجًا وزوجة؟

- كل شيء يتعلق بالكارما.

سألته وهي تنظر لعينيه وحاملة البراد الحديدي في يديها:

- إذن كم عدد السنوات التي نحتاجها لتحقيق تلك الكارما بما أننا نتحدث من القلب للقلب الليلة؟

- يا إلهي!

- أخشى أنني للحظة صرت مثل حبة رمل...

ملأت فنجان السيد وأكملت كلامها:

- التي وقعت في جسدك. ومن ثم تصبح كالسمك الصدفي تُبقي عليَّ وتحفظني بداخلك كاللؤلؤة.

بدا الأمر كأنه كذلك بالفعل. شعر السيد بألم في صدره كما لو أن شيئًا صغيرًا أصابه، ويؤلمه من وقتٍ لآخر بداخله وبشدة.

رغم أن الأبواب كانت مغلقة، إلا أن "الراهب تشي تزو" أدرك أن الليل صار أكثر ظلمة. لذا صار القمر اللامع في السماء مضيئًا بشكل أكبر أيضًا.

ملأت فنجانها أيضًا وقالت:

- لم تُجب على سؤالي بعد يا سيدي. ما الطريقة التي يتوجب عليَّ بها أن أفهم جسمي؟

- الجسد البشري يصعب إدراكه، لذا لا بد أن نتعامل معه بجدية.

بدت عيناها عميقة وساكنة عاكسة لضوء الشمعة، وقالت:

- آمل أن تعذرني على وقاحتي من فضلك، هل يمكنك يا سيدي أن تتحدث بمثل هذه التفاهات فقط؟

- وماذا لو لم أقم بهذا؟

- قبل أن ينضج عقلي بفترة كبيرة، أدركت ما قلته عن الجسد البشري. يـا لعظمـة خلقـه! بكل ما يحتوي من جلد ولحم ودم وعظام ومراحل عمـر مختلفـة مثـل فـصول الـسنة! مثـل الربيع عندما تتفتح الزهور، ومثل الخريف عندما يثمر...

مدت يدها أمام "الراهب تشي تزو" والتي صارت فجأة كالزهور، ولكن بقرب النظر اتضح أنها أصابعها والتي مع ذلك بدت في غمضة عين كاليوسفي.

- خُلِقَ الصيف لنزول المطر والشتاء لنـزول الـثلج، وصُـنِعَتْ النافـذة كي تُـدفع والبـاب كي يُفتح، إذن فالجسد خُلق ليشعر بالفرح والغضب والحب والكراهية.

ربطت كلامها بلغة جسدها بشكل بالغ، وقالت:

- أمضيت وقتًا طويلًا أقلـد الفراشـات في كيفيـة هبوطهـا وأستكـشف لفـترة أطـول طـائر الكركية وهو يقف على المياه ويحلق فوقه، إن اضطررت لذلك، يمكنني أن أقـف عـلى قـدمي وأثبتهما مثل جذور الشجرة بأفرعها وأغصانها المتأرجحة. ففكرة الجسد أكبر بكثـير مـن كونـه غلافًا من الجلد يغطي اللحم والدم والعظام، فهـو وعـاء للأحـلام. كـما أن الجـسد البـشري لم يُخلق فقط للمعاناة أو كأداة للقيام بالتربية الذاتية وتحقيق التنوير. بـل إنـه معجـزة الكـون اللا نهائي، بل إنه الكون اللا نهائي نفسه.

صمت "الراهب تشي تزو" لوقت طويل ثم قال:

- أيتها الراعية، يبدو أنكِ أدركتِ ما في الأمر. إذن لماذا أتيتِ هنا؟

- اعتقدت أن لديك أيها السيد فكر غير مألوف كي تخرجني من آفاق المعاناة.

- لا يبدو عليكِ أنكِ تعانين من أي شيء.

- ما يجعلني أعاني هو أن كل الأشياء التي أحبها سريعة الـزوال: الزهـور تـذبل، والفاكهـة تفسد، والجمال يشحب، والحب يموت، مثل المياه في النهر التي لن تتوقف عن الجريان.

- تأتي القاذورات من حيث أتت ولا تصير سوى قاذورات. فصعوبة إدراك التأملات التي تتعلق بالبشر لا تعني عدم وجودها: مع وجود الكارما الكامن، ستظهر الحقيقة في الوقت المحدد وتعود مرة أخرى لعالم البشر.

- ربما يعاد تكوين الجسد، ولكن ماذا عن رقصي؟

- الرقص؟

- ألا ترى يا سيدي أنني راقصة؟

وضع "الراهب تشي تزو" فنجانه وقال:

- إذًا فأول القصيدة كفر.

ردت مثله بحسم في الحال:

- لأنك لا تستطيع أن تدرك الأمور، فأول القصيدة كفر بالنسبة لك! إذن ماذا عن أرض النعيم المطلق؟ هل هو غير شرعي أيضًا؟

- نعم. ولكن بالرغم من عدم شرعيتها، فهي تشمل اللا نهائية.

- تلك "اللا نهائية " لا يراها إلا أنت وأمثالك.

- يا إلهي!

أومأت بعدم رضاها وقالت:

- بوذا... هو حصنك الذي تلوذ به. ألا تعتقد أنه من السهل أن تعترض على كل شيء بكلمة "يا إلهي!"، مثلما أرى يا سيدي، عالمك الداخلي ليس من الضروري أن يكون منفصلًا عن العالم بأكمله.

قال السيد:

- وذلك ما جعلني أقوم بالتربية الذاتية هنا. أحاول أن أزيل كل الأمور الدنيوية من عقلي، والتي مثلما تقولين أيتها الراعية لا تتبدد فقط بمجرد ترديد كلمة "يا إلهي". في الواقع إن العكس صحيح. فمسار التربية الذاتية في نفس صعوبة تحمُّل عضات النمل والناموس، قد يتمكن الناس من التقدم لخطوة إلى الأمام أو حتى التراجع إلى الخلف أحيانًا...

صمتت المرأة.

- إذن فأنا لست راهبًا وأشعر بكل أنواع الاضطرابات والشكوك مثلك تمامًا.

تنهدت وهي تبتسم ووجهها يعكس ضوء الشمعة وتوهج الفحم المشتعل بدفء مشع مثل غروب الشمس وقالت:

- سيدي، كنت دومًا مخلصًا وصريحًا. إن كنا التقينا في مكانٍ آخر، لكان من المفترض أن أقع في غرامك.

كانت النار تتوهج وضوء الشمعة يومض ويخفت، بدت الغرفة مجدبة وساخنة بشكل متزايد، كان الندى يموج في الأعلى على شكل نسمات، صادرًا من الملابس المبللة على الرف خلف المرأة، والتي تذكرنا بـ"إلهة الحكمة" ذات الألف يد.

ذُهل "الراهب تشي تزو" ولم يعرف بم يرد عليها.

قالت:

- يا إلهي!

وضعت كفيها فوق بعضهما البعض وقالت:

- اعذرني مرة أخرى على إزعاجي لك يا سيدي.

- لديكِ حكمة عميقة. عليكِ أن تكرسي نفسكِ للتربية الذاتية، ومن المؤكد أنكِ ستَصِلي فيما بعد للتنوير.

- إن تحولت للبوذية هل سترشدني يا سيدي؟

أجابها الراهب:

- بتلك المَلَكات التي لديكِ، فلتضعي جانبًا كل مخاوفكِ وقلقكِ، واهتمي فقط بكيانك الداخلي، وسَتَجِدي الطريق.

- لقد أوضحت لي الطريق الصحيح بكلمات قليلة فقط، مثل المطر الموسمي المتساقط على أرض جافة.

انحنت على الأرض معبرة عن احترامها وتمايلت خصلات شعرها بالقرب من ركبتي السيد، وقالت:

- أود أن أكون راهبة بوذية. من فضلك اقبلني يا سيدي.

- أرجوكِ انهضي أيتها الراعية.

- لن أنهض حتى تقول "حسنًا".

أجابها الراهب:

- لممارسة الشعائر البوذية، ما يهم هو العقل وليس المظهر. لذا لم يتمكن الكثير من البشر من الثبات والإصرار وانحرفوا بتصرفاتهم عن الطريق الصحيح.

بعد فترة طويلة من الصمت، نهضت المرأة مرة أخرى. رفعت رأسها بحزن والدموع تلمع بشكل خافت في عينيها وقالت:

- أنت محق في كل كلمة قلتها يا سيدي. وعلى كل حال، أنا إنسانة عادية، يأسرني الطمع والإصرار على شيء ما دون أن أعلمه حتى بنفسي.

تنهد الراهب بهدوء قائلًا:

- من السهل التحدث عن ممارسة أخلاقيات البوذية وعن تحقيق التنوير. فعالم البشر أشبه بشبكة عنكبوت تلتصق بنا وتتعلق بنا خيوطها، ورغم أننا

نتحلى بالشجاعة لدرجة أننا يمكننا أن نكسر ضلوعنا ضلعًا يلو الآخر، فإننا لا نصل إلى المثالية المطلقة في جهودنا لتحرير أنفسنا.

- ألا تشعر بأي أسف لمثل هذا العذاب؟

- ألا تشعرين أنتِ كراقصة بالملذات برغم الألم الذي لا يدركه الآخرون؟

صفقت المرأة بلطف وابتسمت مثل زهرة ليلية تتفتح في الظلام بيسر وجمال وقالت:

- إذن، فنحن فقط نقوم بالدور نفسه لكن بطرق مختلفة يا سيدي.

بعدئذ سألته قائلة:

- أتسمح لي بأن أؤدي لك رقصة يا سيدي؟ أشعر أنني أملك الكثير لأقوله لك، ولكن جسدي الآن بإمكانه التعبير عن ذلك أكثر من أي شيء آخر.

كانت غرفة التأمل كبيرة بما يكفي لفرش بساطتين مزخرفتين برسومات تنين على الأرض مصنوعتين في "آن دونج لونج"، وكذلك تكفي لوضع باقي الأمتعة الأخرى.

قالت السيدة بابتسامة ساحرة وكأنها قرأت أفكار الراهب:

- لقد رقصت على منضدة عشاء صغيرة، وعلى حجر الرحى، وحتى على أذرع الرجال. الغرفة هنا تسعني بما يكفي.

قال الراهب:

- في الواقع الصمت يعادل ألف كلمة.

قالت المرأة:

- الم تقل أن "أول القصيدة كفر"؟ أود أن ترى اندماج "أول القصيدة" و"اللا نهائية" في العدم.

حدَّق الاثنان قليلًا في بعضهما البعض، وحـرَّك "الراهـب تـشي تـزو" منـضدة الـشاي قـرب الباب وتراجع إلى الجدار بنفسه.

التفت المرأة ونظرت في الحوض المائي، وحينما قامت بذلك، بقـي جـسدها جالـسًا سـاكنًا، فقط عنقها الذي استدار مثل البجعة، ومن ثم أظهرت إصبعها قليلًا وفردتـه ثـم قبـضته مـرة أخرى إلى طوله الطبيعي بمرونة شديدة. وبعدئذ مشطت شعرها للوراء بأيديها، وأمسكت بـه كي تربطه، بلفة منها، أخذت سلسلة اللؤلؤ البوذية من يد السيد وثبتتـه عـلى كحكـة شـعرها أسفل رأسها.

بعدئذ، أخذت العباءة من على الرف، وببطء وكأنها تفرد ورقة رسـم، ثـم رفعـت العبـاءة وهزتها مثل زوجي أجنحة حشرة الزيز من أعلي رأسها على جسدها تاركة كنبـة البـامبو التـي ما زالت مغطاة. رفعت ساقها، وهزت كعبها مثل رأس فرشاة كتابة، بدت وكأنها ترسم حروفًـا بخط دقيق دون أن نرى هذه الحروف. وبدت وكأنها تكتب شيئًا ذا أهمية كبيرة والـذي ظـل حتى تلك اللحظة شيئًا مبهمًا لـ"الراهب تشي تزو".

أخيرًا، تحركت للخلف ببطء، جلست، لم تتسرع في حركاتها، ووضعت ساقها فوق الأخـرى على كرسي على شكل زهرة لوتس، قبل أن تضع كفيها فوقهما معًا.

إنها عرَّافة!

حدَّق "الراهب تشي تزو" فيها. لم يقدر على أن يبعد عينيـه عنهـا، لم يقـدر عـلى الابتعـاد عنها وتركها في ذلك المكان وحدها، رغم أنه يعلم أنه ينبغي عليه ذلك.

أعاقت العباءة " الراهـب تـشي تـزو " عـن الرؤيـة، لم يـستطع أن يـرى سـوى القماش الصيفي الناعم الملمس المتين المفرود مثـل سـتارة، كانـت تتمايـل وتفـرد يديها وأذرعها مثل أغصان الشجر وفروعها ببراعمها الصغيرة التي تنمو في الربيـع، بـدت سـاقيها نحيفـة وجميلـة، رشـيقة لدرجـة أنهـا عـلى اسـتعداد أن تتجـول

وتقفز وتسافر وسط نسائم العطر في الغابات والحقول في الصيف، كان رداؤهـا يتحـرك فيبـين صدرها الممتلئ المثير وكذلك وسطها وجنبها. أحـسَّ برائحتهـا، عطـر دافـئ مثـل فـترة العـصر بالخريف، تفوح منها الرائحة من على جسدها، بفعل الفحم المتوهج. بعدئذ ارتـدت العبـاءة مرة أخرى، بدا جسدها أنه يتحول إلى فتيل، يترنح عاكسًا ظل ضوء الشمعة، بينما كان وجههـا هادئًا وصافيًا، مذكرًا إيَّاه بالقمر في السماء.

"القمر اللامع"، تذكَّر الراهب أخيرًا اسمها.

لم يدرك متى بدأت تدق على الطبل الذي لديه على شـكل سـمكة خـشبية، تـردد صـوت ذلك الدق في ذهنه، أثار ذلك لديه مشاعر مختلفة، وغمرته حالة مـن الـسلام الـداخلي التـي وصل إليها بعد سنين من التربيـة الذاتيـة. شـعر بداخلـه بعواصـف تجتـاح جـسده وتعـصف بأشياء بداخله لم يشعر بها منذ سنوات، كما عصفت بكل حالات التأمل التي قام بها، وأمحت تقاليد "السوترا" من ذهنه مثل مياه المطر الذي يبلل ثوبها ويتبخر بالحرارة.

كان جسدها ملموسًا أمام عينيه، كان جسدها حيًا أمامه لدرجة لا تـصدق: بـدت عيناهـا اللامعتان تدب فيهما الروح مثل ضوء الشمعة، كانت العباءة حمراء وكأنهـا نـار تتـوهج عـلى جسدها. أراد أن يدفعها بعيدًا عنه، ولكنه أراد أيضًا أن ينـزع عـن جـسدها العبـاءة. وحيـنما لمست يداه جسدها أخيرًا، بدا وكأنهما يدخلان إلى فخ الشيطان في تلك اللحظة ولم يعدا يديه اللتان اعتاد عليهما.

لفَّت يديها وذراعيها حول عنقه، وجذبته إليها وسألته:

- أليس من المفترض على الجسد بكل ما يحتويه أن تلامسه وتتمتع به وتتذكره؟

خرج الكلام من شفتيه ببطء ومتقطعًا من أسنانه المرتعشة من فرط الافتتان بها قائلًا:

- يا إلهي!

بعدئذ قرَّبت شفتيها من شفتيه واستنشقت التنهيدة الصاعدة من أعماق جسده.

همست بلطف مطوقة لذراعيه:

- سيدي، ما أروع الجسد البشري خلقًا! من الواجب أن نهتم به.

احتضنها بشدة لدرجة أنه أراد أن يعتبرها وكأنها ثمرات توت يعصرها بشدة حتى يخرج بذرها وعصيرها، بعدئذ علقت به السلسة ووخزته وآلمته. شعر بداخله، من أول رأسه حتى إصبع قدمه، بحرارة شديدة.

كان هناك راهب مبتدئ يبلغ الخامسة عشر من عمره في بداية اعتكافه. رأى في شوارع "سونج دو" اثنا عشرة فتاة يرتدين فساتين متألقات يغنين ويرقصن بمرح. كان الرجال يختلطون معهن. كانت ضحكاتهم تفوح منها رائحة الخمر. كذلك كان العديد من الرجال يحملون محفة، ترقد عليها سيدة ترتدي ملابس بيضاء.

غنى أحدهم بصوتٍ عالٍ:

- بمجرد أن يموت "القمر اللامع"، ستفقد "سونج دو" روحها!

ظلت الغربان تحلق وتهبط فوق الأشجار. امتلأت أغصان الأشجار بالعشرات أو حتى بالمئات منها، منتظرة في صمت وبصبر تلك اللحظة التي يبدؤون فيها احتفالهم عندما يصبح شعاع القمر لامعًا وواضحًا...

حينما استيقظت في الصباح الباكر، كان "الراهب تشي تزو" يجلس في ضوء النهار، وعيناه مغلقتين قليلًا.

كانت الغرفة مرتبة. العباءة مطوية بعناية وموضوعة على الرف بجانب لوحات "السوترا"، منضدة الشاي وفناجين الشاي، والحوض المائي، والشماعة، وكل شيء كما هو وكأنه لم يُمس تمامًا.

فتح "الراهب تشي تزو" عينيه وقال:

- هل استيقظتي؟

فهمت أنه أدرك كل شيء.

كانت تشبه قطرة الحبر التي سقطت في إحدى سلاطينه التي يتعبد بها والتي بها مياه نقية. كانت قد التقت به بالفعل في "سونج دو" وهنالك فشل في أن يظل قابضًا على إيمانه فتملكته.

قال:

- سأجيب على أسئلتكِ. كيف تتعاملين مع جسدكِ البشري؟ الجسد البشري يصعب الحفاظ عليه، لذا يجب التعامل معه بجدية.

- ...

قال الراهب:

- أمَّا بالنسبة لسؤالكِ الثاني، فرقصكِ هو الطريقة التي تمارسين بها التعاليم البوذية.

- ...

- والآن فضلًا ارحلي أيتها الراعية.

لم تتحرك.

قال بهدوء دون تعجل:

- "القمر اللامع" لـ"سونج دو"، وأجراس النهار تدق في المعبد.

أفزعها هدوءه شيئًا ما فقالت:

- سيدي...

- انتهي عما تفعلين وارحميني واخرجي.

خرجت من الغرفة وأغلقت الباب الجرار وراءها.

كان الصباح في أوله، ما زال الضباب ينتشر بشكل كبير في الأفق، يغطي السماء والأرض.

لاحقًا، بعد ستة عشر عامًا، عادت مرة أخري إلى المعبد البوذي في حلمها. كان الضباب يشبه النسيم، والقمر بازغًا بشكل خافت في السماء في الليل يشبه وجه "الراهب تشي تزو" الذي ألح عليها بأن تغادر المعبد قائلًا:

- طيري مثل الفراشة.

شعرت باضطراب في قلبها، حينما كانت ممدة على ظهرها، كانت هناك قطرات دماء على الثوب الفضي المائل للرمادي المصنوع من القماش الصيفي الناعم، منتشرة عليها مثل الإزهار المفاجئ لزهر الأقحوان.

صاحت فنانات بيت الزهور الأخريات اللاتي كن بالقرب من سريرها في فزع.

نظرت إليهن وقالت وهي تبتسم:

- لا داعي لما تفعلن.

ارتفعت درجة حرارتها في جسدها كله، صارت أخف مما سبق، أخف حتى من السحب.

مر ماضيها أمام عينيها مثل نسمة عابرة، وقالت:

- كلنا مجرد ضيوف في هذا العالم البشري، والآن حان وقت الوداع. آمل أن تتذكروا دائمًا ما طلبته منكن.

نظرت فنانات بيت الزهور الأخريات لبعضهن البعض وأومأن.

قالت:

- إن لم توفين بوعودكن، سوف ينتهي بكن الأمر إلى عذاب النار الأبدي.

صاحت الفنانات بشكل متزامن تقريبًا:

- أختي...!

في عصر اليوم التالي، كانت المرأة المسماة "القمر اللامع" ملفوفة في ملابس بيضاء وحُملت نحو ضفاف النهر من قبل عشرات فنانات بيت الزهور اللاتي كن يضعن كثيرًا من مساحيق التجميل ويرتدين ثيابًا ملونة لامعة ويغنين ويرقصن طوال الطريق. خرج الناس جميعًا في "سونج دو" من بيوتهم كي يستمتعوا بالمنظر.

كان التعبير البادي على وجهها حيويًا جدًا كما لو كانت ما تزال على قيد الحياة.

قال الرجال:

- حتى وهي ميتة، ما يزال جمالها تضطرب له القلوب.

ومن حين لآخر، كان ينضم المزيد من الرجال إلى الموكب. صبوا الخمر من الزجاجات وغنوا ورقصوا سويًا مع فنانات بيت الزهور حتى لحقتهم بعض النساء.

غنى أحدهم بصوتٍ عالٍ:

- "القمر اللامع" ماتت الآن و"سونج دو" فقدت روحها.

ظلت عشرات ومئات وآلاف الغربان تطير من فوق وتهبط على الأشجار. كانت صامتة ومنتظرة، تنتظر اللحظة التي يبدؤون فيها الاحتفال، عندما يصبح شعاع القمر لامعًا وواضحًا.

تناثرت عظام "القمر اللامع" على النهر، وبعد ذلك ببضعة أشهر، لفتت انتباه راهب بوذي صغير في الخامسة عشرة من عمره عندما كان في طريقه إلى المعبد بعد أن أدى شعائره الدينية وتوقف أمام هذا المنظر.

رآه بعض الأطفال عندما كان يخلع رداءه ليغطي العظام التي جمعها، وقالوا كي يذكروه:

- لن يسمح للناس بدفنها. لقد جرحت قلوب الناس وهي على قيد الحياة وتستحق مثل هذا الختام.

استدار الراهب البوذي الصغير للأطفال وابتسم لهم، ثم لف رداءه بعناية وسار متجهًا نحو شجرة وقال:

- يا إلهي!



افتتاحية



تمجيدًا لذكرى مدينة "تيان يوان فو"، كان هنـاك نائـب مفـوَّض في أكاديميـة "خـان لـين"، شاب صغير السن شديد الوسامة يرتدي ثيابًا بيضاء لتلك المناسبة. يبدو أنه أتى إلى "تيان يـوان فو" في زيارة دورية روتينية تتم كل خمس سنوات.

كان المفوض مغرورًا بعض الشيء، ودائمًا ما يحمـل معـه مروحـة يـد ذات مقـبض ذهبـي مصنوعة من خشب البامبو. كان يتوارى خلفها حينما يلتقي بأي شخص غير مرغـوب بـه مـن وجهه نظره المتغطرسة أو حينما لا يرغب في الحديث، لذا كان النـاس عنـدما يتذكرونـه فـيما بعد لا يتذكرون ملامحه بل تنطبع في ذهنهم زهر "الفاوانيا" الذهبية الأطراف المرسـومة عـلى مروحته الذهبية مع اللون الأبيض المتألقة.

في يوم مهرجان قوارب التنين، حينما اتجه النائب إلى بقعـة زراعيـة وهـو يرتـدي ملابـسه العادية، لفتت انتباهه فتاة تضع عطرًا مميزا جدًا.

كانت تتمايل بخفة وسط حـشد مـن النـاس. لم يتـسنَ للنائـب رؤيـة وجههـا، لكنه رأى ظهرها فقط، ووجد الناس يسيرون نحوها محملقـين في ملامـح وجههـا كـما لـو أن هنـاك شـيئًا مـا أسرهـم: فجـأة توقفـوا جميعًـا يتتبعونهـا بنظـراتهم

لدرجة أنهم لم يستطيعوا أن يديروا أعناقهم أكثر من ذلك، ولم يتمكن بعضهم أيضًا من فرط الدهشة من أن يغلقوا فمهم.

قرب البقعة الزراعية، كان هناك بستان صغير يمتد على طريق إلى مكان أقيمت به مسابقة تأرجح للنساء. سارت نحو البستان دون أن تلتفت مرة وراءها، تتبعها نائب المفوض ووقف على حافة مجموعة من الأخشاب، رأى طيفًا أخضر يطوف بعيدًا بين الأشجار قبل أن يتجه إلى العشب الأخضر.

طوى نائب المفوض مروحته مربتًا على راحة يده. يبدو أنه كان في "تيان يوان فو" لقرابة شهرين وقد بدأ ينسى حياته الهانئة التي عاشها في "سيول" رغم أنه قام بأفضل ما يمكنه القيام به كي يظل يتذكر تلك الفترة في عقله مثلما كان متمسكًا بذكرى القبلات والمداعبات التي أسبغها الأقارب عليه، والتي ما زالت تجعل ضربات قلبه تتسارع حينما عاد إلى بيت حماه في الصباح الباكر بعد ليلة أمضاها في بيت الزهور.

رغم أنه شعر بالنفور البالغ من لهجة الرجال الناعمة في "تيان يوان فو"، لم يعترض على مقولة: "تيان يوان فو هي موطن زهرة اللوتس"، وتتميز النساء هناك ببشرتهن الرقيقة البيضاء كالبورسلين والوسط المتناسق من إثر نهر "شيو شوي"، وإضافة إلى جمالهن ذاك، فهن يتمتعن بلهجة ناعمة ومهذبة، وأعينهن ساحرة مثل النهر الصافي.

كانت الفتاة تقف تحت شجرة الجنكة الصينية، بهرته بشكلها وهيئتها لدرجة أن جمالها جعل قلبه يخفق بشدة ويدرك أن هذا اللقاء سيكون مختلفًا عن كل لقاءاته السابقة.

فتح مروحته مرة أخرى محاولًا تهدئة نفسه؛ أخذ يحرّك مروحته ببطء، لكن قلبه كان مولعًا أكثر، أخذت زهور "الفاوانيا" المرسومة على المروحة تتحرك يمنة ويسارًا سريعًا وكأنها أزهار حقيقية أزهرت فجأة بفعل الرياح.

اقترب نائب المفوض من السيدة من الخلف كما لو أن المـرض قـد أنهكـه، أراد أن يلمـس جسدها، كانت ترتدي رداءً صغيرًا.

جالت بنظراتها، ثم نظرت نحوه وقالت شيئًا له وهي تبتسم.

ارتعش جسده بالكامل من إثر بـسمتها الرقيقـة، ولم يـسعه سـوى أن يحملـق في وجهها وكأنه فاقد الوعي حتى أشارت بإصبعها إلى شيء جعله في نهاية الأمر يحوِّل بصره إليه.

كانت هناك شجرة خوخ أمامهم، مـات نـصفها بفعـل الرعـد، أمَّـا النـصف الثـاني فكانـت أوراقه نضرة خضراء مثل الزمرد. كان هناك ثعبانًا منقطًا على أكبر فرع في تلـك الـشجرة، كـان كبيرًا في نفس عَرْض الكوب ومغطى بألوان براقة مختلفة وسط أوراق الشجرة، رأسـه مرتفعـة للأعلى تخرج من وسط الأوراق، ولديه بقعة حمراء على عنقه يبدو شكلها مثل الزهرة.

لم يتحـرك الثعبـان، وكـذلك هـما الاثنـان، كـان الوقـت يمـر سريعًـا مثـل ضربـات القلـب السريعة. كانت عيني الثعبان ثابتة تمامًا، لكن لسانه المشقوق كان يخرجـه مـن فمـه بـسرعة ويدخله مرة أخرى مصدرًا فحيحًا مثل صوت النخير.

شعر النائب أن يديه تجمدتا لتوهما، ثم شعر بيدي شخصٍ تمسكه.

يداها دافئتان!

بعدما مر ما يكفي من الوقت المحدد لشخص مـا كي ينتهـي مـن شرب كـوب شـاي، قفـز الثعبان فجأة في الهواء ملتويًا مثل سلسلة ملونـة، وبعـدما لـفَّ نفـسه حـول غـصن الـشجرة للحظة، فرَّ بعيدًا. كان حفيف ورق الشجر مسموعًا لبعض الوقت، ولكنه سرعان ما هدأ ذلـك الصوت مرة أخرى. في تلك اللحظة، شعر نائب المفوض وكأن روحه تغادر جسده.

لاحقًا، لم يسعه أن يتذكر الطريق الذي سلكه من البستان إلى البقعة الزراعية، رغم محاولته اليائسة.

عادت أصوات الغناء الجميلة والرقصات. كان الرجال والنساء العزَّاب يكونون دائرتين ويؤدون رقصة "جيانج جيانج شوي يولاي". أحاط الرجال النساء مكونين دائرة، وشكَّلت النساء دائرة داخلية ودرن عكس اتجاه دائرة الرجال. وخلال الرقصة، يقفزون قفزات إيقاعية، ويمدون أذرعهم على كتف من بجانبهم، ثم يرفعون رؤوسهم ويحدثون حركة بأرجلهم، كما تتمايل فساتين النساء مشكلة حركات دائرية مثل المراوح.

ولكن الفتاة التي رآها لتوه اختفت.

مد النائب عنقه بحثًا عنها وسط الحشد لبعض الوقت، لكن دون جدوى، وضع يده على جبهته يائسًا ولكنه دهش من شيء، قَرَّب كفه من أنفه وشم رائحة عطر رائعة تسللت إلى رئتيه وسائر جسمه.

تتبع الثعبان المنقط النائب مثل ظله، وحرمه من النوم؛ لأنه حينما كان يغلق عينيه، كان الثعبان يضايقه بحركاته العجيبة.

وليلة بعد أخرى، لم يستطع النائب أن يغلق عينيه، بل أخذ يحملق في السماء الزرقاء والنجوم اللامعة المتلألئة، مثل الزهور الرقيقة التي تتبدل سريعًا من الإزهار للذبول. بعدها ببضعة أيام، تراكم العماص في جفنيه، آثار ذلك جنونه، فهو مهووس بالنظافة. لذا في نهاية الأمر، أمر كبير الخدم بأن يجد له أمهر صيدلي في "تيان يوان فو".

قالت السيدة التي ناداها كبير الخدم بـ"ين جي" وهي تهرس الأرز الياباني المطبوخ في سلطانية خشبية:

- الصيدلي هناك في الجبال يصنع حبوب الخلود.

كانت كرات الأرز المهروسة دائرية وكبيرة الحجم ويلمع لونها الأخضر الفاتح الممزوج مع لون الأرز الأبيض. كانت السيدة تحدث صوت دبدبات وهي تهرس الأرز بالمطرقة الخشبية، وبدا أنها غاضبة.

سار النائب ناحية الصيدلية وجال ببصره في كل الأنحاء، رأى سلة من القش قرب البوَّابة وفيها بوكيه ورد مجفف كبير و"بوكيهات" قليلة من نبات "الشيح" المجفف، تنبعث منهم رائحة مألوفة له.

سأل السيدة:

- ألا يوجد غيرِكِ هنا؟

- ابنة الصيدلي هنا أيضًا، ولكنني لا أعتقد أنها يمكن أن تقدم لك أية مساعدة.

قاطعها النائب:

- أين هي؟

توقفت السيدة عن هرس الأرز ثم نظرت نحوه. عندما رأت نظرات عينيه المرعبة، تنهدت والتفتت لتشير إلى مكان في ممر ضيق في بستان أشجار الخوخ وقالت:

- اتجه مباشرة إلى هناك، لكن عليَّ أن أخبرك بأنها لن تستطيع مساعدتك في أي شيء.

اتجه النائب ناحية أشجار الخوخ وراء الصيدلية، كانت عيناه تلمعان وهو ينظر لأزهار شجر الخوخ اللامعة وأشعة الشمس. توقف عند نهاية البستان.

تناثرت أوراق شجر الموز أمامه بلونها الأخضر مما جعله يشعر بالمياه الباردة التي خرجت من أعماق بئر وتدفقت على الأرض. كانت هناك فتاة ترتدي فستانًا أبيض اللون وغطاء رأس أخضر على رأسها وتجلس على أوراق شجر الموز، كانت تصنع الدواء في سلطانية نحاسية بمدقة نحاسية. حينما رأته واقفًا أمامها، اتسعت عيناها في دهشة كبيرة.

قال النائب:

- لقد التقينا من قبل في مهرجان قوارب التنين.

نظرت له بهدوء.

- منذ ذلك الوقت تؤلمني عيناي.

- وهل جئت هنا لتتهمني؟

قال النائب وهو ينحني مقربًا وجهه من ابنة الصيدلي ليريها عينيه:

- بالطبع لا. بل أريدكِ أن تعالجيني مما أعاني منه هنا.

احمر وجهها من الخجل فأصبحت رائحتها أقوى ثم قالت:

- ولكني لست صَيدلانيّة.

قال النائب:

- بلى. فعندما تنظرين إليّ، لا أشعر بأي ألم مطلقًا.

تغيرت تعبيرات وجهها فجأة وهي تبعد المدقة عن يديها وقالت:

- هل أخطأت المكان؟ فلتغازل النساء في مكان آخر.

عندما نهضت لتغادر، طار الحزام الطويل على فستانها في الهواء ناحية وجهه بلطف، مثل صفعة رقيقة على وجه رجل يغازل فتاة من بيت الزهور.

قال:

- وهذا هو "المكان الآخر".

بدأت عيناه تؤلمانه مجددًا وهو في طريقه عائدًا من الصيدلية. جذب اللجام ونظر مرة أخرى ناحية الصيدلية الموجودة في بستان أشجار الخوخ. كان ذلك

العطر في ذلك البيت الصغير الذي زاد منظر الزهور جمالًا في وهج الشمس وكأنها لوحة مطرزة بينما لمعت زهور شجر الخوخ تحت أشعة الشمس.

بيت العطور.

سيطرت عليه فكرة طرأت في ذهنه.

في الصباح التالي، حينما خرجت "ين جي" من البيت بسبب بعض الأصوات التي سمعتها بالخارج، دُهشت مما رأت وسط الضباب، وقالت لنفسها: "كنت أعلم أن كل ذلك سيؤدي لحدوث مشاكل".

كانت ابنة الصيدلي تقف أمام غرفتها لبعض الوقت، تراقب اثني عشر من العمال وهم يتكدسون قرب بيتها ومعهم أخشاب وأشياء أخرى.

قالت وهي تتجه مرة أخرى إلى غرفتها لتستريح:

- أخبرهم بألا يتلفوا نبات القصب الهندي.

كان الصيدلي قد زرع هذا النبات أمام صيدليته، وتكبد العناء في الجبال في العثور على هذه الفصيلة من هذا النبات التي تنبت تسع قصبات في بضعة أمتار قليلة، تلك الفصيلة التي اعتقد أنها ستجعل الناس خالدين للأبد.

تم تعيين كل البنائين المهرة، وبعض الفلاحين الذين لم يكونوا مشغولين في موسم الركود حيث كانوا يعملون في دوام جزئي، لذا بعد بضعة أيام قليلة فقط، تم قطع شجر البستان وراء الصيدلية.

قالت "ين جي" بنبرة يشوبها القلق وهي تقدم الطعام لابنة الصيدلي في غرفتها وتسمع أصوات الفؤوس تقطع الأشجار:

- قطع أشجار الخوخ بهذا الشكل لن يؤدي إلا لعواقب وخيمة.

سألتها ابنة الصيدلي:

- هل هو... بالخارج الآن؟

أجابتها "ين جي":

- إنه يشرف على العمَّال وهو جالس في عربته. رجل مثير للإعجاب ولا يتصرف بشكل مباشر ولكنه يتعامل بطريقة غريبة تجعل أهل مدينة "تيان يوان فو" بأسرها ينمّون إما عن الطعام أو الشراب أو عنكِ.

ضحكت ابنة الصيدلي.

سألتها "ين جي":

- كيف ما زلتِ تضحكين؟

فقالت لها ابنة الصيدلي وهي تنحني قرب الشباك وتنظر للخارج:

- تصرفاته تلك لا تدل إلا على أنه واقع في الحب.

- يُقال إنه زوج ابنة أحد المناصب العليا في البلاط الملكي.

توقفت "ين جي". ثم التفتت لتسمع الضوضاء الآتية من الخارج وقالت وهي تتنهد:

- قلبي يرتجف من هذا الصوت.

أنهوا العمل سريعًا، بدا البيت الجديد بجدرانه البيضاء وبلاطه الأسود وسطحه الذي اتخذ شكل الأجنحة المفرودة محاطًا بالبيت بجوار الصيدلية القديمة. في أحد الأيام، حينما فتحت ابنة الصيدلي باب غرفتها، وجدت أن غرفتها قد فُتحت على غرفة أخرى في البيت الجديد بردهة خشبية.

كان باب تلك الغرفة مفتوحًا، رأت نائب المفوض جالسًا هناك. كان ينظر إليها مبتسمًا، بدت عيناه وكأنهما تخترقان قلوب الناس الواقفين على أقدامهم.

عادت مرة أخرى إلى غرفتها وأغلقت الباب.

عندما تم بناء بيت العطور، نقل نائب المفوض كل أغراضه الضرورية وخدمه الأربعة كي يعتنوا به هناك. وجلس في الردهة الخشبية كي يقرأ أو يراقب زهور الكركديه التي أزهرت في الصباح في الفناء وذبلت في وقت الغسق.

ولكن حياة ابنة الصيدلي انقلبت رأسًا على عقب. فقد ذهب زبائنها إلى صيدليات أخرى للحصول على الوصفات الطبية اللازمة، وحوصرت صيدليتها ببيت جديد وظل الرجل يراقبها وكأنها مقيدة بحبال وخيوط حتى صارت يومًا بعد يوم غير قادرة على التنفس حتى.

ظل الحال هكذا حتى مرت في إحدى الليالي الباردة والمُمطرة في الردهة الخشبية إلى الغرفة الموجودة في الجانب الآخر.

فتحت الباب المنزلق بهدوء.

قالت وهي تقف عند باب النائب وعيناها مليئة بالدموع:

- لقد أتيت لأخبرك أنك حصلت على ما تريد.

أشار لها بيده ناحية الردهة الخشبية عند غرفتها وهمس في أذنيها قائلًا:

- إن سمحتِ لي بأن أبقى، سأكون أنا خادمك.

قبل الانتهاء من إنشاء بيت العطور، انتشرت قصة ابنة الصيدلي والنائب المفوَّض في أنحاء البلدة. صارت هذه القصة مثل القصص الرومانسية الأخرى، تزداد التفاصيل فيها ويتداولها الكثيرون. ذلك مثلما نرى في فصل الربيع بشكل أو بآخر، أولًا نجد زهرة ثم فرع شجرة ومن ثم يمتلئ فصل الربيع بالزهور في كل مكان.

بعدها، في أحد فترات الغسق في أخر فصل الخريف، كان نائب المفوض قد تسلم خطابًا سريًا عليه الختم الرسمي للسيد "جين ولانج" من يد رجل البريد.

في هذا الخطاب، أشار السيد "جين ولانج" باختصار بالغ إلى أمرين مُتاحين لنائب المفوض: إما أن يعود مرة أخرى إلى "سيول" ويستمر في تمثيل دور زوج ابنة عائلة "كيم" أو يتنازل عن كل ذلك ويتم إرساله إلى "سيول" كمتهم لمكتب المفتش العام خلال بضعة أيام.

كما أرفق السيد "جين ولانج" ورقة مع الخطاب بها قائمة بكل التفاصيل التي تشمل الإجراءات والمبالغ التي قررها لبناء بيت العطور.

لم تستطع ابنة الصيدلي أن تقول أية كلمة لوقت طويل حينما انتهت من قراءة الخطاب الذي كتبه السيد "جين ولانج".

كان نائب المفوض يجلس معطيًا ظهره للضوء، طيات ملابسه تشع الضوء والظل الخافت. كان نصف وجهه مختفي في الظل بينما النصف الآخر كان مشعًا كالذهب في أشعة الشمس.

ابتسم ابتسامة بسيطة وكأنه طفل أمسك به الكبار وهو يلهو وقال:

- أينما ذهبت وعلى أي حال، لا يمكنني أن أهرب من مراقبة السيد "جين ولانج".

قالت ابنة الصيدلي وهي تقترب من حبيبها:

- يمكننا أن نبيع بيت العطور ونعيد المال للبلاط الملكي.

قال لها وهو يُحرك إصبعه على وجهها ببطء:

- انظري لوجهكِ. لقد وُلدتِ لتعيشي في أفضل البيوت، وترتدي أفضل الثياب وتتناولي أحسن طعام.

تنهدت الفتاة وهي تمسك بيديه قائلة:

- لا تقول ذلك، يمكننا أن نبيع بيت العطور فورًا.

نظر باتجاه السطح وقال:

- لم يُبنى هذا البيت بالخشب أو الحجارة. وبكم يُقدر حبنا في رأيك؟

- البيت مجرد بيت أولًا وأخيرًا.

قال وهو يشد ذراعها التي لفته حول وسطه:

- دعكِ من موضوع بيت العطور. نحن لا نملك مكانًا لتعيش فيه قصة حبنا. والأهم من ذلك، السيد "جين ولانج" لا يود حقًا أن يسترجع مال البلاط الملكي، ما يريده هو "حفظ ماء وجهه" واستعادة هيبته والحفاظ على كرامة ابنته.

صمتت للحظة ثم قالت:

- إذًن سأذهب، يُمكنني أن أكون محظيتك...

- لن تتقبل وجود محظية بالضرورة. فخادمتها سرقت عنقود عنب من عندها، فتم كسر كل أسنانها، إذن ماذا سيحدث معكِ إن سقطتِ في يديها، وقد سرقتِ قلب حبيبها؟

نظرت من النافذة المفتوحة للخارج، رأت عربة سوداء كبيرة الحجم متوقفة أمام بيت العطور، عربة آتية من "سيول" والتي، وفقًا لرسالة "جين ولانج" ستنتظره لثلاثة أيام.

في تلك الليلة قبل أن يعود نائب المفوض إلى "سيول"، أيقظته ابنة الصيدلي. كانت تبكي، انعكس ضوء أشعة القمر على وجهها، بدا خافتًا. انحنت بالقرب منه وتوسلت إليه بصوت منخفض:

- أعتقد أنني حامل.

نهض فجأة واقترب منها ونظر إليها، اقترب لدرجة أنها رأت الحزن في وجهه بوضوح بالغ وقال:

- كم مرة وجب عليَّ أن أخبرك؟!

قبل أن ترفع يدها لتواسيه، نام ممدًا رأسه على الوسادة:

- لا شيء يمكن أن يمنع السيد "جين ولانج " من استعادتي إن أراد ذلك.

وفي الصباح الباكر من اليوم الثالث، رحلت العربة مسرعة وبها النائب.

وقفت ابنة الصيدلي عند بوابة بيت العطور كي تودعه. ركب العربة، وفتح ستائر النافذة، وودعها بابتسامة، ابتسامة غريبة جدًا لم ترها من قبل إلا مع الناس الذين يرتدون قناع "البونسانج" في موسم تقديم القرابين.

تمتمت ابنة الصيدلي لنفسها: "ليتك تمُت هنا على الأقل".

لم يستطع النائب أن يسمع ما كانت تقوله لنفسها، ولكن حينما ابتعدت العربة شاهد وجه "ين جي" التي كانت تقف وراءها، صار كئيبًا فجأة، وكأن السحب السوداء أحاطت به.

وفي اليوم التالي، كانت ابنة الصيدلي تجلس على الأرجوحة، كانت تضرب برجليها على الأرض بشدة كي تحرك الأرجوحة. كانت "ين جي" تعدو مسرعة من الردهة الخشبية، ويداها مرفوعتين للأعلى مثل شخص يغرق.

كان جسدها يرتعش بأكمله، لم يسعها التفوه بأية كلمة حتى وقفت لوقت طويل لبرهة أمام الأرجوحة وقالت:

- مات الرجل المسكين مثلما تمنيتِ أمس.

- ...

- عضه ثعبان في الغابة الشمالية في "تيان يوان فو". وحينما وجدوه ونقلوه إلى العربة، كان قد تُوفي بالفعل. حاولت مرارًا وتكرارًا أن أقنعه بألا يقطع أشجار الخوخ تلك، ولكنه لم يصدقني.

أكملت كأنها تذكرت شيئًا فجأة، فالتفتت مسرعة وقالت وهي تغادر:

- يجب أن نجهِّز نعشه. ما زالت روحه تحوم حول مدينة "تيان يوان فو" ولا يمكننا إغفالنا.

صرخت ابنة الصيدلي وابيضَّ وجهها فجأة مثل الورقة وقالت:

- "ين جي!" هل تتحدثين إليَّ؟!

استدارت "ين جي" ونظرت إليها وقالت بعد أن صمتت قليلًا:

- اكتشفت فجأة أنه عليَّ أن أجهز زي الحداد لكِ.

بعدئذ، توقفت عن الحديث وتركت ابنة الصيدلي وحدها في الحديقة.

لاحقًا بعام، في يوم مهرجان قوارب التنين، كانت ابنة الصيدلي تعاني قبل طلوع الصبح من آلام الطلق المتقطعة والتي صارت أصعب حينما تحولت الأوراق الموجودة على النافذة من اللون الأسود الداكن إلى الأبيض الفاتح. وبعد أن غربت الشمس، نهضت تعاني من نوبتين من الألم واتجهت للخارج ويداها ممسكتين ببطنها.

في وسط حقل القصب الهندي عند بوابة الصيدلية، كانت الزهور الكبيرة كبر حجم السلطانية تتفتح. كانت أوراق الشجر حادة جدًا وكأنها سيوف خضراء موجهة نحو السماء، بينما كانت الزهور لامعة جدًا بحمرها مثل احمرار الدم.

قالت "ين جي" لابنة الصيدلي بنبرة حماس:

- لقد تفتحت الزهور بالأمس. تلك هي المرة الأولي التي تتفتح فيها تلك الزهور منذ أن تمت زراعتها منذ أكثر من سبع سنوات. في رأيي، لا بد أنه النائب الذي كان يشعر بالقلق عليكِ وعلى طفلكما في بطنكِ، وقد أتت روحه لتراكِ في هيئة تلك الزهور.

جالت ابنة الصيدلي بنظرها نحو البقعة الزراعية. مرَّت الذكريات في عقلها وكأنها قد حدثت في اليوم السابق، لكنها أدركت تمامًا أنه عليها أن تمر بفترة تتعدى مسافة ثلاثمائة وخمس وستين تلًا حتى تستطيع أن تنضم مرة أخرى للفتيات والفتيان الذين يرقصون ويغنون سويًا في تلك البقعة الزراعية.

وضعت "ين جي" مذبح القرابين[3] مع ثلاثة أعواد من البخور الرفيعة التي أمسكتها بيديها ونادت على سيدتها قائلة:

- تعالي هنا وقدمي بعض القرابين لروح النائب. فالوقت يمر بسرعة، أسرع من عربة تجرها ثمانية أحصنة. يا للرجل المسكين! لم يحالفه الحظ ليلقي نظرة على صغيره.

هزت ابنة الصيدلي رأسها وقالت:

- لا أستطيع أن أقدم قرابين لرجل هجر زوجته وطفله.

- لقد تُوفي، ماذا عساه أن...

- هجرنا قبل أن يموت.

- لقد بنى لكِ هذا البيت الجميل.

جثت على ركبتيها وقالت بنفس متقطع وبصوتٍ عالٍ:

- البيت ليس لحمًا ولا دمًا ولا يكن المشاعر.

قالت "ين جي" وهي تخرج منديلها من تحت إبطها وتمسح عينيها:

---

(3)- وفقًا للتقاليد البوذية والوثنية، هي طاولة عليها كل ما كان يحبه الشخص المتوفي وترمز لوجوده الروحي.

- أوه، إن قلبكِ قاسٍ. أقسى من حجر الطاحونة التي تطحن الذرة. ما قلتيه الآن يمكـن أن يجعل الميت الذي لدغه ثعبان يتلوى في قبره.

تأوهت ابنة الصيدلي قائلة:

- الطفل على وشك أن يولد...

نظرت "ين جي" للنصب التذكاري الموضوع على المذبح، وأخذت ترثي وهي تبكي قائلة:

- لقد كان كريمًا طوال حياته، رغم أنه لم يكن يتحدث كثيرًا، كان كلامه يمس قلبي دائمًا.

- "ين جي!"...

حينما التفتت "ين جي" برأسها إلى ابنة الصيدلي، وجدت فستانها مصبوغًا بـاللون الأحمـر بسبب نزيف الدم فأسرعت نحوها. وعندما رفعت فستانها، صاحت قائلة:

- يا إله السماء! أرى رأس الطفل! لا بد أنها سمعت كل ما قلناه الآن.

ومن هنا بدأت قصة حياتي لمدة ثماني عشرة سنة منذ ذلك الحين.



اللغز



حينما فتحت "خونج إي" النافذة في الصباح الباكر، كانت هناك شجرة كمثرى حمراء مزهرة أمام عينيها. كانت الأزهار سميكة وكثيرة، بعضها تفتَّح حديثًا على الأزهار القديمة التي أزهرت في وقت سابق على أفرع الشجرة الخضراء فتسقط على الصخور التي تحيط بالبئر. بدت "خونج إي" - دون أن تدري – واضحة بفعل الشمس، حينما ثبتت عينيها فقط على شجرة الكمثرى واقتربت منها أكثر، أدركت أن ما تراه حقيقة.

قالت المرأة المترملة حديثًا:

- ما هذا الشؤم؟

وضعت مشطًا مصنوعًا من خشب شجر الكمثرى في خصلات شعرها الداكن، بقي في هذا الوضع لفترة طويلة، وكأنها نسيته من إثر بالها المشغول. وفي الوقت نفسه تقريبًا، بدا جسدها مقارنة بالأرض الواسعة الممتدة حولها صغيرًا جدًا وخفيفًا مثل نبات بتلة زهرة الكمثرى، حيث طارت تلك البتلة وسط كل ذلك ولم تستطع أن تستقر في مكان واحد. سرحت "خونج إي" بأفكارها بعيدًا وهي تُسَرِّح خصلات شعرها بالمشط ببطء.

حينما انتهت من تسريح شعرها، أخذت "خونج إي" خصلة من مقدمة شعرها وربطتها على شكل عقدة واسعة وثبتتها على رأسها بنسة خشبية

موضوع عليها فراشة، ثم أخذت خصلتين من عند أذنيهـا كي تفـردهما عـلى وجههـا، وتفـرد بـاقي شعرها على كتفيها. قبل أن ترتدي ملابسها، انتقت حمَّالة صدر صغيرة ولفتها حـول صـدرها دون أن تطلب من "شياو لو" المساعدة. اختارت لها الخادمة أكبر حمَّالة صـدر عمـدًا في اليـوم الـسابق ولفتها حولها وضيَّقَتْها بشدة لدرجة أنها اضطرت إلى الوقوف مستقيمة طوال الوقت ولم تـستطع التنفس. في اليوم السابق، حوالي الساعة الثامنة صباحًا، انتهـت مـن طقـوس وضـع جـسد زوجهـا المتوفي "تشوانج تشو" في التابوت الموجود في الغرفة الأمامية الرئيسية، وأبهرت الحـضور بتحفظهـا وتعقلها. كانت تقف بهدوء وسط مجموعة من الرجـال، وترتـدي ملابـس كتَّانيّـة ناعمـة ملفوفـة حول جسدها من الأعلى مُبيِّنة تقاسيم جسدها، كان عليها أن تتحمل الآلام الصعبة في كل خطـوة تخطوها. كم تمنت أن ينتهي أحد الرجال من عشيرتها من تحريك زوجها من على فراش الموت إلى التابوت سريعًا، ولكن كبير العشيرة أخذ يخطب خطبة أثنـاء الطقـوس، واسـتغرق سـاعة بأكملهـا وهو ينهي الحديث المطول والمبتذل بلعابه اللامع على لحيته البيضاء. ضغطت على أسنانها بشدة حيث كانت تشعر بالحزن، أثَّرت نظرتها الباكية بـشدة في الرجـال الموجـودين في الغرفـة الأماميـة الرئيسية الذين كانوا ينظرون من وقت لآخر إليها. لفترة طويلة، كان النـاس يعتـبرون حياتهـا مـع زوجها أسطورة عشيرة "تشوانج تشو"، لكن لم يرها الكثـير مـن النـاس مـن قبـل حيـث إن الـذين رؤوها يمكن عدَّهم على أصابع اليد. لذا في ذلك اليوم، حينما أتت "خونج إي" إلى الغرفة الرئيسية من الردهة المؤدية إلى غرفة نومهما وهي ترتدي زي الحداد ولا ترتدي أي قطعة من المجـوهرات، أدهشت الرجال الحاضرين في طقوس الجنازة بسلوكها.

حينما ارتدت ملابسها، رأت خادمتها "شياو لو" وهـي تـسرع قادمـة مـن البـئر ممسكة بإبريق من الخزف تنسكب منه المياه. سـقطت تلـك الميـاه أثنـاء سـيرها وكوَّنت بحيرات من الطين. كان الطـرف الأسـفل مـن جيبـة "شـياو لـو" الداخليـة ضـيق لدرجـة أنهـا تناسـب سـيدة جالـسة بـلا عمـل أكـثر مـن خادمـة تقـوم

بأعمال البيت. لذا حينما كانت تلك الخادمة تترنح ذهابًا وإيابًا في البيت لأداء الأعمال المنزلية بدلًا من التمشية في حديقة البيت وهي ترتدي تلك الجيبة، كانت "خونج إي" تشتاط غضبًا.

نظرت "خونج إي" بغضب نحو خادمتها وقالت:

- لماذا تتهورين هكذا؟ هل رأيتي رجلًا أو ما شابه؟

حاولت أن تسيطر على نبرة صوتها، لأنها خشت من أنها لو جرحت شعور الخادمة بكلامها القاسي، فإن الخادمة ربما تكسر الإبريق المصنوع من الخزف الأحمر الذي كانت تحملق فيه. حينما تغضب "خونج إي"، تتظاهر بنظرة ذليلة تشبه نظرة الخادم الذي يستمع باحترام لسيده، ومع ذلك، نادرًا ما كانت "خونج إي" تتجاهل صوت أي شيء يُكسر. كان ذلك الإبريق الأحمر الخزفي هدية من رجل كانت تحبه، وجُلب إلى بيت زوجها مع المهر. توجد سمكتان باللون الأخضر مرسومتان بداخل الإبريق رسمهما الرجل أيضًا بنفسه، بدتا وكأنهما تسبحان بنشاط في الماء وكأنهما حقيقيتان يطفوان على سطح الماء عندما يُحرَّك الإبريق.

ابتسمت "شياو لو" ابتسامة متكلفة، وقالت وهي لا تستطيع أخذ نفسها:

- سيدتي، هناك رجل وسيم جدًا يريد رؤيتك.

كانت تعبيرات وجه "شياو لو" غير واضحة تمامًا، مختبئة تحت ابتسامتها، كانت ابتسامتها مجرد جزء من شعورها اليائس كامرأة عانس بلغت الخامسة وعشرين عامًا عندما كانت تتحدث مع الرجال. قبل وفاة "تشوانج تشو"، كانت تختبئ تحت نافذة غرفة سيدتها كي تسمع سيدها وسيدتها وهمًا معًا في سريرهما. عرفت "خونج إي" المكان الذي كانت تختبئ فيه وتأكدت أنها لم ترَ أي شيء مما حدث هناك، ومع ذلك، في كل صباح كانت نظرات "شياو لو" التي ترمق بها "خونج إي" يختبئ وراءها الكثير. كانت "خونج إي" تطلب من

"تشوانج تشو" عدة مرات أن يطرد الخادمة، فهي لم تعد تتحمل طباعها أكثر من ذلك. ولكن كان هذا الأمر يُغفل دائمًا لأنه كان من المستحيل أن يتم إيجاد بديل لـ"شياو لو" فقد كانت تهتم بأعمال المنزل ودون أي مقابل من المال.

هاجت "خونج إي" بسبب ما حدث وحاول "تشوانج تشو" أن يهدئها على السرير قائلًا لها: "كل شيء له مبرر ويجب أن يُدفع لها مقابل كل عملها. دعي كل شيء يسير كما هو عليه". وبينما هما يمارسان الجنس، كان يفعل كل ما بوسعه كي يجعلها تتجرأ وتصرخ؛ كي يثيرا غيظ خادمتهما التي كانت تتنصت قرب الشباك من الناحية الأخرى. أمَّا الخادمة كانت تؤدي مهامها على أكمل وجه. وكلما سخر "تشوانج تشو" من ذلك، ازداد غضب "خونج إي"، فهي تشعر حينئذ بأنها سقطت في الفخ الذي أعده رجل البيت وخادمته. وحينما تُوفي "تشوانج تشو"، عانت "خونج إي" كي تحافظ على روتينها المعتاد على الرغم من عزلتها وكآبتها، في حين أن "شياو لو" شخصية متهورة لا يُعتمد عليها مطلقًا؛ فيبدو أنها بسبب أنها لم ترتبط بأي رجل من قبل، كانت تبكي في العلن وفي السر، وتُلفت انتباه الناس متعجبين منها.

لم ترد "خونج إي" على وصف "شياو لو" للرجل. لم تُنزل من مستواها من قبل كي تتحدث مع خادمة بهذه الطريقة، فذلك الحديث يؤدي دومًا إلى مواضيع تتعلق بالرجل الأقرب إليها ويجعلها تُظهر حرمانها وقذارتها. منذ أن صارت "خونج إي" أرملة، لم تعد في مزاج جيد يسمح لها بالحديث عن الرجال، والذين كانوا موجودين في خيالها فقط على أي حال، وبعيدًا عن أنها أصبحت تشمئز منهم، بدأت تشعر بأنهم سيجلبون الخزي لها.

قالت "خونج إي" وهي تنظر مجددًا نحو الإبريق الفخار، والماء المملوء بها تهدأ حركته شيئًا فشيئًا:

- هل سنتناول عصيدة الأرز على الإفطار؟

لكن "شياو لو" لم تكن ذاهبة لإعداد الإفطار بالإبريق، ولكنها كانت تعطي تقريرًا عما يحدث بروحٍ عالية. نظرت لـ"خونج إي" وقالت:

- قال الشاب إنه سافر لمسافة طويلة كي يُسِّلم على السيد "تشوانج".

- أخبريه أن السيد مات وليقم بالواجب فقط.

أرادت "خونج إي" أن تعود إلى غرفتها في أخر البيت، ذكَّر ذلك "شياو لو"، التي كانت ترتدي زيًا أسود، بالغربان الموجودة على السقف والتي كانت تطير جيئة وذهابًا، وصوتها وهي تبني أعشاشها. أمَّا هي، على عكس ذلك، شعرت وكأنها مثل كتكوت أبيض في الفناء، حذر ومرتعش.

قالت "شياو لو" ببساطة وهدوء:

- حينما أخبرته أن الأستاذ "تشوانج" وُضع في التابوت أمس، شرع في البكاء بصوتٍ عالٍ، ولم يستطع التوقف حتى وافقتُ له على رؤيتكِ.

توقفت "خونج إي" فجأة.

ارتعشت أيدي "خونج إي" المغطاة بأكمامها الواسعة. رفعت يدها اليسرى، ورفعت كمها الأيمن لتظهر كفها، ترددت، لا تعرف هل عليها أن تصفع تلك العاهرة العانس على وجهها أم لا. وفي تلك اللحظة، قرقرت معدتها الفارغة بصوتٍ عالٍ، فشعرت بالضعف. أعطت ظهرها لـ"شياو لو"، ولوَّحت بإصبعيها الرفيعين اللذين ظهرا من كمها، وقالت:

- سنتناول الإفطار أولًا.

اتجهت "شياو لو" نحو الباب ببطء، ولم تتعدَ خطوة ناحية الباب وقالت:

- لكن هذا الشاب، الذي سافر كل هذا الوقت كي يصل إلى هنا، لا بد أنه حاليًا جوعان جدًا أيضًا...

فجأة، التفتت "خونج إي"، ورفعت حاجبها وقالت بنبرة تهديد:

- إذن ماذا عساي أن أفعل؟

قالت "شياو لو" وهي تضحك:

- لماذا لا تستقبلين الضيف الآن؟

حاولت جاهدة أن تحسِّن من مزاجها في وجود "شياو لو" بأن تتجاهلها ولا تهتم بما تقوله، أنزلت كمها بحركة حادة، وقالت:

- أود حقًا أن أقابل هذا الشخص المختل.

ثم واصلت سيرها وعادت فجأة، وخرجت مسرعة من الباب أمام "شياو لو".

كان الشاب يرتدي زيًا أبيض، ويقف حزينًا تحت الشجرة، والدموع تلمع في عينيه. لم يشعر حتى بثمار الكمثرى التي سقطت على كتفيه، ولم ينتبه لوجود "خونج إي" التي كانت تراقبه لفترة. لذا عندما التفت ورآها فجأة واقفة وراءه، صُدِم فجأة. مسح بكفه على جبهته سريعًا، وأنزل كتفيه بهدوء، وأدار وجهه لـ"خونج إي".

شعرت "خونج إي" بالصدمة، اتسعت عيناها وازداد بياضهما، وضعف جسدها، فقد بدا الشاب الواقف أمامها وسيمًا جدًا ومن أسرة ثرية وعلى قدر عالٍ من التعليم. ورغم أنها شعرت بإعجاب كبير بداخلها، ظلت محافظة على هدوئها. حينما أرادت أن تقول شيئًا للشاب، اكتشفت أن عينيه كانتا مثبتتين عليها، فقد ذُهل بجمالها، ولم يستطع التحرك وكأنه سكران ومتشبث بمكانه.

سَعِدَت بنظراته، بدت أكثر جمالًا ورشاقة، وقالت:

- أخبرتني خادمتي "شياو لو" بأنك أتيت لزيارة زوجي الراحل. أليس كذلك؟

صوتها العذب جعله يفيق فجأة، سَوَّى ملابسه وهذبها، ثم وقف منتصبًا ثم فتح يديه واتجه نحوها وهو يقول بصوت هادئ:

- سيدتي...

ثم توقف عن الحديث وهو يقترب ولا يعرف ماذا يقول:

- سيدتي...

شعرت "خونج إي" بأن ذلك سخيف، غطت كَفَيها بأكمامها العريضة، اقتربت منه كي تساعده وقالت بصوت رقيق:

- كم أنت مهذب! هل تستحق سيدة مثلي كل هذا الاحترام؟

رغم أنها ساعدته بهذا الكلام الرقيق، شعرت بأنها ما زالت ضعيفة، هَذَّب الشاب ملابسه مرة أخرى. وفي اللحظة المناسبة التي التقت فيها عيناهما، نمت الورود الحمراء من حولهما على الأشجار، وسقطت واحدة منهم قرب خدِّها. أظهرت إصبعًا من كمها الواسع والتقطت الزهرة من على وجهها، قربتها من شفتيها ونظرت لها بعمق ثم أخفتها داخل شفتيها. ثم نظرت للشاب وهي تضغط على الزهرة بشفتيها بلطف للحظة، ثم بلعتها. سألت الشاب:

- هل يمكن أن أعرف اسمك؟

قال الشاب الصغير بصوت خافض:

- أنا "يونج".

ولم يستطع قول المزيد. كان مفتونًا بها تمامًا في ذلك الوقت، وكان يُحَدِّق بارتباك في وجهها.

تنهدت وقالت:

- لقد أتيت لتقدم سلامك لزوجي، ولكنه تُوفي. لذا أستأذنك أن تعود إلى بيتك.

ثم عدلت أكمامها الطويلة، وأعطت ظهرها لـ"يونج" وتقدمت بضع خطوات ببطء.

صاح "يونج" مندهشًا وكأنه استيقظ لتوه من حلم:

- سيدتي، ابقِ من فضلك.

توقفت وهي تسمعه من ورائها متلعثمًا:

- لقد أعجبت طوال حياتي بالسيد "تـشوانج"، وكنـت أتمنـى دائمًـا مقابلتـه شخـصيًا. مـن المؤسف أنني حُرمت من فرصة لقائه والاستماع لنصائحه. ومع ذلك، هلا تضعي في اعتباركِ يا مدام أنني سافرت لمسافة طويلة، وتستقبليني في منزلكِ، فأبارك جسد السيد "تشوانج" وأظـل مستيقظًا بجانب كفنه لمدة ثلاث ليالٍ؟

انحنت "خونج إي" قليلًا وقالت:

- "يونج"، أقدر احترامك لزوجي الراحل، ولكني أخشى أنه من غير المناسب أن أبقيك هنـا مستيقظًا بجوار كفنه. فأنا ترملت لتوي، ورغم أننـي لـديَّ حجتـي كي أدخلـك المنـزل، أخـشى الشائعات التي ربما تلحق بنيتنا الطيبة.

- لم أسمع سوى أن السيد "تشوانج" كان ما زال حيًا وباقيًا على وجه الأرض، كان موهوبًـا جدًا وغير تقليدي، كان يفعل كل ما يظنه الناس خارجًا عن المألوف. كانت أحلامـه بأنـه صـار فراشة مرة، وتحول إلى سمكة مرة أخرى من القصص المألوفة لمنزلنا، وكنت أستمتع بها كثـيرًا. وبما أنني لم أحظَ بفرصة لقائه وهو عـلى قيـد الحيـاة، أرجـوكِ اسـمحي لي بـأن أبقـى بجـوار النعش. وإن رفضتِ طلبي، سأنحني هنا على ركبتي حتى تسمحي لي بالدخول.

سمعت "خونج إي" صوت هبوط مفاجئ، والتفتت لـ"يونج" لتراه جاثمًا على ركبتيه على السلالم الصخرية التي تبللت بمياه البئر. ولم تستطع أن تفعل شيئًا سوى أن تتنهد قائلة:

- لماذا تجبرني هكذا؟

- اعذريني لوقاحتي من فضلك، يا مدام. ولكن من فضلك اسمحي لي بأن أظل معه، أنا صادق في كلامي.

حينما رأت وجهه الجاد وعينيه اللامعة، احتارت تمامًا ولم تعلم ماذا عليها أن تفعل. صوبت نظرها نحو أعلى رأس "يونج" كي ترى شجرة الكمثرى بجانب البئر، تكاد تسمع البراعم وهي تزهر، فتنمو أزهار قصيرة ورقيقة. رنت تلك الأصوات الخافتة في قلبها، وجعلتها تندهش. وبجانب قلة حيلتها، بدأت معدتها في القرقرة مجددًا. في نهاية الأمر، قالت لـ"يونج" بضعف:

- إذا شئت، تفضل بالدخول.

رغم أنه سمع بوضوح كلمات "خونج إي"، ظل محملقًا فيها ولم يقف حتى عادت إليه وساعدته على الوقوف. وبينما هو يقف، قام سريعًا فترنح مائلًا قليلًا نحو "خونج إي". ولحسن الحظ، أمسكت يداه بكتفيها في الوقت المناسب، جال بعينيه وثبت نظراته لبعض الوقت على نهديها. على الفور، احمرَّ خَدَّيها فازداد بريق زي الحداد الذي كانت ترتديه.

وقفت "شياو لو" أمام الغرفة الأمامية الرئيسية، وأخذت تجفف يديها المبتلتين، وتراقب "خونج إي" وهي تأتي مع "يونج" وترتدي كعبًا عاليًا.

قالت دون أن تنتظر ردًا من سيدتها:

- الفطار جاهز.

ودخلت لتعد المائدة. في تلك الليلة، بقي "يونج" بجوار كفن "تشوانج تشو"، أمَّا أرملة "تشوانج" فقد ظلت بصحبته بجوار مجرى أسود من الفحم. كانت تتوهج باللون الأحمر المائل إلى الأصفر وتتصاعد خارج المجرى فتضيق من مساحة المكان بذلك اللهب المتصاعد.

منذ أن أتى "يونج" إلى الغرفة الرئيسية، كانت "شياو لو" تسير ناحية الغرفة، وتضيء المصابيح الرفيعة والطويلة والمصنوعة من خشب الصنوبر في كل أركان الغرفة الأربعة، ثم تنحني على ركبتيها بين الحاضرين إلى الجنازة كي تحرك قطع الفحم المشتعلة، وتضيف قطعًا جديدة بمِسَّاكة مصنوعة من البامبو. حينما كانت تضيف قطع الفحم، كانت نظراتها تتناقل ما بين سيدتها وضيفها الشاب، لدرجة تجعل الناس تقشعر، وكذلك صوتها وهي تبلع أثناء تناول الطعام. وفي منتصف الليل، أضافت قطع الفحم مرة أخرى، وانحنت وهي تفرد ظهرها. حينما رآها الناس من حولها بذلك الوضع، لم يلتفتوا إليها تمامًا. فشعرت بالحرج واعتذرت وذهبت إلى غرفتها الخاصة. وقبل أن تغادر، أضاءت مصباحين آخرين من خشب الصنوبر بجانب النعش في الغرفة الرئيسية.

بدت الغرفة مهجورة في ظل غياب "شياو لو". كان النعش الموضوع في منتصف الغرفة الأمامية الرئيسية تحت ضوء المصابيح يعكس ظلًا كبيرًا على الأرض، فتعطي شعورًا لمن ينحني بجواره بأنه محاط. كان صوت شرارة اللهب مثل أزهار الكمثرى التي تنمو ترن داخل "خونج إي" وتؤلمها. شعرت بدوار يصيبها في تلك اللحظة المتأخرة من ذلك الليل البارد، كانت أصعب لحظة لها على مدار اليوم.

أمَّا عينا "يونج"، كان ينظر بهما نحو الأرض، ثم يرفع رأسه شيئًا فشيئًا مثل سلسلتين لينظر نحو السيدة التي تنحني أمامه. ولم ينطق أية كلمة، ولم تنظر هي للأعلى ولو للحظة، ومع ذلك فقد أدرك أنها مهتمة بنظراته. فهم ذلك

من صدرها الذي ترفعه وتنزله بهدوء، وارتباكها الذي يصل إلى حد الجنون الذي يكاد يـدمرها من الداخل.

تذكرت "خونج إي" أنه في عيد ميلادها التاسع عـشر، كـان "تـشوانج تـشو" يتعجـب مـن ملامح وجهها حينما كانت تخرج لتوها من الحمام، ويتنهد وتملؤه العاطفة قائلًا:

- بعد وفاتي، بمجرد أن يجف الطمي حول قبري، يمكنكِ أن تتزوجي مرة أخرى.

افترضت حينئذ أن زوجها كان يمزح، فمسحت برقة على كفه بأظافرها الطويلة التي تشبه أجنحة طائر العنقاء، وجذبت أصابعه وفردتها مثل ريش المروحة قبل أن تقول:

- لا بد إذن أن تترك لي مروحة جيدة من الريش.

ضحك "تشوانج تشو" من قلبه بسماعه لذلك الكلام، وأمعن النظر فيها واضعًا ذقنهـا بـين يديه وقال:

- لقد فعلت كل ذلك من أجل أن أتعرف عليكِ يا "خونج إي"، وبذلك أكـون قـد وصـلت إلى الحقيقة الكامنة لهذا العالم.

ابتسمت "خونج إي" ولكنها لم تقل أي شيء لزوجها، والذي اعتادت قليلًا عـلى غرابـة أطواره. ففي إحدى المرات، كان يعوم في حـوض اسـتحمام كبـير مـلىء بالميـاه. ثـم أغلـق عينيه وترك الفقاقيع تطفو على الـسطح. وغفـل حتـى عـن طعامـه. كانـت "خـونج إي" تشعر بالقلق عليه، فتحوم حول الحوض من وقتٍ لآخر حينما تشعر بالملل، وترسم دوائر حول الفقاقيع التي تطفو على الماء. وفي إحدى الأيام، قام "تشوانج تشو" فجأة من حوض المياه وقال لزوجته وهو يبتسم ابتـسامة غريبـة: "لقـد وجـدتها. وجـدتها أخـيرًا!". ولكـن حينما سألته زوجتـه عـما وجـده بالتحديـد، لم يفعـل سـوى أن ابتـسم ابتـسامة غريبـة. وفي تلك الليلة، حينما كانا يمارسان الجنس، بدا جسده نـاعم الملمـس ونظيفًـا مـما تـرك

انطباع لدى "خونج إي" أن الجسد الذي يلامسها ليس جسد "تشوانج تشو"، ولكنه جسد سمكة، وأنها صارت مثل المياه التي توجد في حوض الاستحمام المليء بالفقاقيع. وحينما كانت مشاعرهما مشتعلة حينئذ، همس "تشوانج تشو" في أذنيها: "هل يمكنني أن أقارنكِ بتلك السمكة الخضراء؟".

لكنها لم تفهم قصده، فقد كانت تركز فقط على أجسادهما التي تتحرك بانفعال والخادمة التي تراقبهما تحت النافذة.

وفي صباح آخر، كان "تشوانج تشو" جالسًا مُربِّعًا على السرير، ويراقب زوجته وهي تضع مساحيق التجميل. وحينما كانت "خونج إي" تربط شعرها بدبوس خشبي، قال لها فجأة: "في الليلة الماضية، تحوّلت إلى فراشة تشبه تلك الموجودة على دبوسكِ وحلقت في ماضيكِ". ضحكت "خونج إي" بذلك الكلام السخيف الذي يقوله زوجها. ومع ذلك، حينما وضعت دبوس الشعر، شعرت أن تلك الفراشة ملمسها ناعم ورقيق وكأنها حقيقية، فدهشت للغاية لدرجة أنها صرخت بصوتٍ عالٍ مبعدة دبوس الشعر عنها. حينئذ، نهض "تشوانج تشو" من السرير واضعًا يده في وسطه وقال مبتسمًا: "لقد جاءتني أيضًا، ولكنكِ صرختِ بصوتٍ أعلى مني". في تلك اللحظة، أمسك بالمشط وأعطاه مرة أخرى لـ"خونج إي"، واكتشفت بدهشة كبيرة أن الدبوس كما هو بنفس الفراشة غير الحقيقية المنقوشة عليها. اعتقدت أن "تشوانج تشو" يخدعها، فنطرت له نظرة غاضبة ثم ارتدت ملابسها واتجهت إلى الحديقة لجمع بضع قطرات من الندى في إبريق صغير.

كانت تلك النظرة الجادة للشاب "يونج" التي جعلتها تتذكر كل ما مضى مرة أخرى، وتسترجع الماضي الذي لحق بـ"تشوانج تشو" في نعشه وأثار رعبها في الجنازة. كان اللمعان المنعكس من المصابيح يبدو مثل عيون خضراء صغيرة كثيرة مثبتة عليها فشعرت بضيق نفس. نظرت بعينيها الحائرتين حولها في ارتباك وانجذبت لـ"يونج" في النهاية، الذي كان واقفًا بالقرب منها.

نظرا لبعضهما البعض. على عكس الرجل الكبير الراقد في نعـشه والـذي انتقـل إلى العـالم الآخر، فإن مظهر "يونج" الوسيم وحركته الرشيقة نبهتها فجأة بأنه مجـرد خيـال. هـل يمكنهـا حقًا، بعد أن ظلت طوال عمرها واثقة من حسها الأنثوي وإخلاصـها، أن تخـون زوجهـا بهـذه السرعة بعد موته وتبدأ في خوض علاقة مع رجـل آخـر بعـد يـوم واحـد مـن لقائـه؟ تنهـدت بشكل عميق وقلبت الأمر في ذهنها وتساءلت: "كيف يمكـن لامـرأة ضـعيفة مثلهـا أن تقـاوم هذا الشاب الوسيم واللطيف بمجرد أن يفكر في أن يتعدى حدوده؟".

جلس "يونج" بجوارهـا واضـعًا يـده عـلى كمهـا الواسـع كي يبحـث عـن يـدها. تـشابكت أيديهما. شعرت "خونج إي" بقوة كبيرة بداخلها من خلال أطراف أصابعها التـي تمـسك بيـده، ومالت على جسده. لكن قوة "يونج" هزمت مقاومتها الضعيفة بسرعة. حينما رفعها من عـلى الأرض بذراعين، ورماها بطريقة غريبة، شـعرت أنهـا في نفـس رقـة الزهـرة المتـساقطة في بـئر محفوف بالمخاطر دون أي صوت. ورأت "شياو لو" سريعًا وهي تنظر إليها من مخبئهـا، تلمـع نظرات عينيها القوية الباردة التي كادت تخترقها.

في تمام الساعة الواحدة ليلًا، شعر "يونج" بانتكاسة. شـحب وجهـه فجـأة بـشكل مـروع، وأزالت نظراته تلك السعادة الكامنة في جسدها في لحظة. فتح فمه، وتنفس بعمـق، وأمـسك عنقه بشدة ولواها بطريقة غريبة فجأة وسقط. حملت "خونج إي" رأسـه بـذراعيها وجذبتـه نحو صدرها قائلة:

- "يونج!"، ما المشكلة؟

قال "يونج" بضعف وهو يقبض على صدره بأصابعه الخمسة مثل عنكبوت ضخم:

- ألم رهيب بصدري أعاني منه منذ أن كنت صغيراً. ربما كنا منفعلين لا أكثر، حسنًا، إذن...

صاحت "خونج إي" بدهشة كبيرة، لا تعلم ماذا عساها أن تفعل قائلة:

- أوه، يا إلهي!

وقربت رأسه من صدرها، كانت تشعر بضيق نفسه المؤلم يؤلم قلبها. نظرت بعجز حولها، فقط لترى بوضوح ضوء القمر وهو يتسلل عبر النافذة الموجودة أمام سريرها. ولم يسعها سوى أن تقول بصوت مرتعش:

- "تشوانج تشو"، أنا من أستحق اللوم، اجعل هذا الرجل يخرج من هنا.

تقاربت خطوات متسارعة صغيرة أكثر فأكثر من الخارج، دخلت "شياو لو" تستأذن للدخول واقتربت من الباب وقالت:

- هل هناك أي شيء تريدينه يا سيدتي؟ إن كنتِ لا تريدين شيئًا، سأخلد للنوم.

أنزلت "خونج إي" رأسها، بينما صارت رأسه التي تحملها شاحبة وذابلة وباهتة مثل الضباب حتى ظهر طيف "تشوانج تشو". أمسكت يديه بأكمامه، ونظر بهدوء لـ"خونج إي" التي شحب من إثر رعبها.

قال لها قبل أن يموت:

- أنتِ أصعب لغز بالنسبة لي في هذا العالم.

كانت جثته وأصابعه الممسكة بيديها رقيقة مثل فراشة بيضاء. قال أيضًا:

- حينما أدفن، وبمجرد أن يجف الطمي حول قبري، يمكنكِ أن تتزوجي مرة أخرى.

- "خونج إي".

أنزلت رأسها وسمعت صوتًا خشنًا آتيًا من وجه "يونج" الشاحب والميت يقول:

- إن مِتُّ الليلة، كيف ستفسرين لي كل ذلك؟

ابتسمت "خونج إي" قليلًا، نزلت الدموع من عينيها وأغرقت خديها مثل قطرات الندى.

- سيكون الموت هو تفسيري الوحيد.

تساقط الدمع على وجه "يونج" وبلل صدرها. قال وهو يتنهد:

- أنا من تسببت في قتلكِ.

ابتسمت قائلة:

- لا، بل أنا من قتلك أولًا.

بعد أن تأملها قليلًا، قال "يونج" مرتعشًا:

- هناك علاج لي.

بدا جسدها كله متصلبًا وقالت:

- ما هو؟

أجبر نفسه على الابتسام بعد وقت طويل ثم قال:

- أن تأكلي قلبًا بشريًا.

وبعدها نظر نحوها وهي متسمرة، وأكمل ببطء:

- يجب أن يكون قلبًا لجسد ميت، وليس لإنسان حي.

شعرت ببرودة في قلبها تملأ جسدها، صارت الصورة أمامها غير واضحة، عكس القمر ضوأه الفضي على "يونج" وعليها، وكأن شعاعه ثبت عليها، كان جسدها ما زال يفقد روحه.

قال بأنفاس متقطعة:

- انسِ كل شيء.

حينما أخرج نفسًا بصعوبة، ربت عل يدها برقة وقال:

- الموت هو السبيل الوحيد.

تنهدت "خـونج إي" طـويلًا وأخرجـت تنهيـدة بـصعوبة مـن حلقهـا. حملقـت بثبـات في "يونج" بعينين لامعتين.

فرد "يونج"يديه ليمسكها وانتحب قائلًا:

- لا تفعلي ذلك.

أبعدت يديه وحررت نفسها منه. ثم أمسكت بثوبها الملقـي بجانـب الـسرير وفردتـه ثـم ارتدته. وقفت في ضوء القمر وانحنت في حالة من الشرود كما لو أن هناك جناحان خرجا مـن ذراعيها. رفعت ذراعيها، وسقطت أكمامها حتى كوعها، وأمسكت بخـصلات شـعرها ولفتـه في تسريحة كحكة وثبتتها بدبوس الفراشة، واتجهت نحو الباب. وحينئـذ توقفـت فجـأة وقالـت بصوت منخفض:

- الحب أم الحياة، أيهما أكثر أهمية؟

قبل أن يحاول "يونج" أن يرد عليها، خرجـت مـن الغرفـة. بـدت خفيفـة مثـل العـصفور، اختارت أولًا من ركن الأدوات في الفناء فأسًا صغيرة تستخدمها "شياو لو" لتقطيـع اللحـم، ثـم اتجهت مسرعة نحو الغرفة الأمامية الرئيسية.

كان الهدوء الذي يملأ الغرفة مخيفًا. كانت المصابيح تحترق، وملأت رائحتها الجو فأوحـت بمزيد من الغموض يشوش عقل أي شـخص. كـان الفجـر والظـلام الـدامس قـد حـلا في ذلـك الوقت، وتخللت في الغرفة بعض الأشعة الرمادية، وحينما حلَّ الصباح، مات "يونج".

ولم تكن "خـونج إي" قـد ربطـت شـعرها جيـدًا لأنهـا كانـت في عجلـة، سـقطت خصلة شعر أمام عينيها. وضعتها في فمها قبـل أن ترفعهـا عـلى شـعرها، ثـم رفعـت الفأس الذي تمسك به ببطء، وأطلقـت صرخـة قويـة، وسـددت الفـأس نحـو الـنعش.

سقطت حافة الفأس على النعش والذي أحدث صوتًا عاليًا وصار هناك قطعًا أبيض في الكفن بعلامة حمراء. كانت "خونج إي" مصدومة لدرجة أنها عادت إلى الخلف عدة خطوات وسقطت أرضًا. وحينما نظرت إلى الأعلى، اكتشفت أن الكفن تحرك قليلًا، وقفت مرة أخرى وهي تعض خصلة شعرها بأسنانها بشدة، ورفعت الفأس مرة أخرى. في هذه المرة، سمعت صوتًا يشبه الرعد ورأت شقًا مثل البرق المصحوب بالرعد يخرج من علامة القطع، والذي ازداد شيئًا فشيئًا حتى ظهر "تشوانج تشو" ممسكًا بيديه وراقدًا في التابوت بهدوء.

اتجهت "خونج إي" نحو التابوت ونظرت بداخله. كان ضوء الغرفة الأساسية الأمامية خافتًا، ولكنها استطاعت رؤية "تشوانج تشو" بشكل واضح جدًا، ولم تشعر بأي خوف.

- "تشوانج تشو" لقد سافرت كثيرًا حول العالم، والآن هذه نهاية رحلة حياتك، ألا تود أن تحيي روحًا أخرى؟

لم يجبها. كانت عيناه مغلقتين، وكأنه يتأمل.

رفعت "خونج إي" فأسها الصغيرة وصوبته نحو صدره، فالتصق به ولم يخرج منه. لم تستطع أن تفعل شيئًا سوى أن تتركه. كان ذارعاها متألمتين ومجهدتين مما فعلته، لكنها بدت أنها لا يعنيها ذلك. حملقت فقط في الوجه بداخل الكفن، وجدته مصعوقًا.

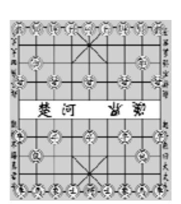
تسربت الكثير من الدماء من المكان الذي أصيب بالفأس في صدر "تشوانج تشو" ببطء، وملأت المكان بأكمله. شعرت "خونج إي" أن الزهور التي نبتت على شجرة الكمثرى تتساقط مثل حبات المطر على "تشوانج تشو". غطت الزهور الحمراء جسده وغمرته وبعدها انحسرت مثل مياه المد وظهر وجهه مرة أخرى.

انقسم وجهه إلى نصفين: أحدهما "تشوانج تشو" والآخر "يونج".

الحشائش النامية

عندما يحل الربيع

1



حينما أتى "جين إيآن" إلى قصر "باي لي"، كانت هناك خادمتين ينتظرانه عند البوابة. قاداه عبر ساحة البلاط الملكي، سارتا طوال الردهة الخشبية لبعض الوقت قبل أن يتوقفا في النهاية أمام باب. توقف أيضًا "جين إي آن". حينما رأتهم أربع خادمات أخريات، اندفعن إلى هناك لفتح الباب وانحنين أمامه واضعات أيديهن فوق بعضها البعض وقلن:

- جلالة الملكة بانتظارك.

أومأ "جين إي آن" إليهن واتجه إلى الغرفة.

كانت الغرفة مشعة بنور الشمس، وكانت الأميرة "تشون مي" تجلس قرب المنضدة بجوار النافذة وتراقبه وهو يسير نحوها.

قال "جين إي آن" بصوت جاف وضعيف وكأنه استنشق دخانًا أضعف صوته:

- أنا المسؤول الاحتفالي الجديد.

كانت تلك هي المـرة الأولى التـي يلتقـي فيهـا بـالأميرة، كانـت الأمـيرة مقربـة جـدًا لـدى الإمبراطورة "وانج". يُقال أن المسؤول الرسمي السابق قد تقاعـد وعـاد إلى بلـده لأنـه رأى بمـا فيه الكفاية من هذه الأميرة. ولم يُسمع أبدًا من قبل في البلاط الملكي بشيء مثـل أن "جـين إي آن" وجب عليه أن يشغر المنصب حتى دون أن يعد نفسه لاختبارات الدولة.

سألت الأميرة "تشون مي":

- إذن هل أنت شقيق "جين إي لين"؟

- نعم يا سمو الأميرة.

اندهشت الأميرة قليلًا ثم قالت بعد نظرة فاحصة سددتها إليه:

- أنتما تشبهان بعضكما البعض كثيرًا. لم تأخـذ منـه سـوى ملامـح وجهـه ولكـن روحكـما وخفتكما تختلفان تمامًا.

كان تعاملها الجيد مع الرجال مبهرًا تمامًا، فلم تكن مثل الأمـيرات الـلاتي عـشن في عزلـة، وكذلك لم تكن مثل مغنيات بيت الزهور اللاتي كانت عيونهن مغرية ينظرن بها نظرات تغـري وتحرك قلوب الرجال تمامًا. كانت تنظر بعينـين حـادتين جـريئتين، لـذا لم يكـن هنـاك أي داعٍ للشخص الذي تنظر إليه أن يشعر بالخجل.

فرد "جين إي آن" رقعة شطرنج بينهما وشرع في تعليمها كيفية لعبها.

التقطت الأميرة "تشون مي" بعشوائية قطعة شطرنج ووضعتها على الرقعة قبل أن يوضح "جين إي آن" أي تعليمات للعبة قائلة:

- إن أخيك مغرور، لكنه كان محل إعجاب بعـض النـساء في المناسـبات الخاصـة. لم أعلـم أبدًا أيهما حدث أولًا: هل صار مغرورًا بسبب إعجاب النساء به أم العكس؟

ثم قالت وكأنها تُحَدِّث نفسها:

- لكن حتى قرينة الأمير مرتبطة به قليلًا. هل التقيت بها من قبل؟

هز "جين إي آن" رأسه وأخذ أيضًا قطعة شطرنج ثم وضعها على الرقعة.

قالت الأميرة "تشون مي" ناظرة إليه نظرة تعاطف وكأنها آسفة على أنه لم يرها من قبل:

- الكل يقول أنها رقم واحد في الجمال على مستوى العالم، تمامًا مثل أمي، الإمبراطورة "وانج" حينما كانت شابة. وحتي الأمير الذي لم ينظر إلى النساء قط سُحر بجمالها حينما التقى بها.

لكنها ابتسمت ابتسامة مبهمة ثم قالت بعدئذ:

- رغم أن الزوجة الجميلة للأمير كانت معجبة بأخيك، وتصرفت بغرابة يومًا بعد يوم بعد دخولها القصر، فإن الأمير لم يلم أي شخص، وبدلًا من ذلك صار أقرب أصدقاء "جين إي لين". لا بد أنك سمعت بالأقاويل التي ترددت على الأمير بأنه أضحوكة "سيول"، والآن صار أخو "جين إي لين" المسؤول الاحتفالي. هل تعلم كيف نلت هذا المنصب؟

أنزل "جين إي آن" عينيه ناظرًا نحو رقعة الشطرنج.

علت الأميرة "تشون مي" صوتها وقالت:

- أنتظر ردك.

- لا أعلم أي شيء سوى تعييني في هذا المنصب بقرار من وزارة الشعائر الدينية.

وضعت الأميرة قطع الشطرنج بشكل أسرع من "جين إي آن" ثم قالت:

- بالطبع هذا غير صحيح. أنت لا يهمك سوى التمتع بالملذات، فإنك حتى لو تعلم كم التحولات والانعطافات في أمر ما بأكملها، ستدعي أنك لا تعلمها.

جلس "جين إي آن" معتدلًا رافعًا نظراته ومسددها مباشرة نحو عيون الأميرة للمرة الأولى ثم قال:

- إن كنتِ يا سمو الأميرة غير راضية عني، يمكنكِ أن تختاري شخصًا آخر.

من الواضح أن الأميرة لم تتوقع هذا الرد منه، حملقت فيه بدهشة وبدت عيناها بريئتين.

أمَّا "جين إي آن" فقد اشتغل الغضب في داخله عدة مرات قبل أن يهدأ في النهاية.

ابتسمت الأميرة "تشون مي" وأومأت له بأن يضع قطع الشطرنج على الرقعة قائلة:

- تبدو مثل "جين إي لين" الآن. ليس من الضروري أن نجد شخصًا آخر كي يحل محلك. فإن من كان يسبقك في المنصب كانت رائحة إبطيه سيئة تجعلني أشعر بالدوار. وأنت على ما يبدو ليست لديك رائحة قوية، ولديك وجه مثل وجه "جين إي لين" وقد يأتي هنا لزيارتك.

أدهشت صراحة الأميرة "تشون مي" "جين إي آن". كان من المفترض أن تتزوج الابن الأكبر لعضو كبير بالمجلس الإمبراطوري، لذا تم تعيين مسؤول احتفالي ليطلعها على "إتيكيت" المراسيم الخاصة باحتفالية الزواج الملكي، وكذلك المهارات التي تؤدي لحياة زوجية هانئة مثل لعب الشطرنج واستعراض "طقوس الشاي". ولكن على ما يبدو لم يكن لدى "جين إي آن" أية فكرة عما إذا كانت قد تصرفت بتلك الفظاظة نفسها مع المسؤول السابق للاحتفالات أم أنها كانت تتحدث معه برسمية تامة بكل بساطة بسبب أنه كان شقيق "جين إي لين".

أو هل ربما أرادته أن يتحدث عن "جين إي لين"؟

سألت الأميرة "تشون مي":

- من رأيك، هل سيأتي "جين إي لين" لزيارتك هنا؟

أجاب "جين إي آن":

- لا أظن ذلك.

- ولا حتى إذا دعوته؟

أجاب "جين إي آن" بصراحة:

- ليس من الصواب لأميرة على وشك الزواج أن تفعل ذلك.

قادت الحديث بشكل سريع وابتسمت ابتسامة ماكرة، ثم قالت:

- أتعني أن النساء يمكن أن يقمن بأي شيء يردنه بعد الزواج؟

توقف "جين إي آن" عن الحديث والنظر إليها. لكنه حينما أخذ قطعة شطرنج وفكر في النقلة التالية، شعر بالدهشة قليلًا، فالأميرة "تشون مي" قد قامت بنقلات غير عادية بطريقتها الارتجالية.

قالت:

- هل تعرف ذلك الرجل؟

نظر "جين إي آن" إلى الأميرة وقال:

- من؟

- الرجل الذي سأتزوجه. هل التقيت به؟

- لا.

قالت الأميرة "تشون مي":

- تشرفت برؤيته من وراء الستائر في الشهر الماضي حينما أتى والده إلى القصر كي يتفق على تاريخ حفل الزفاف. كانت عيناه متورمتين مثل ثمرة

البرقوق العفنة، وكأنه لم ينم أبدًا لمدة نصف شهر، كان نحيفًا وهيكله العظمي بارزًا ولم يهتم حتى بغلق فمه بكمه عندما يتثاءب.

كانت تلتقط بعض قطع الحلوى من العلبة باستمرار وترصها على الرقعة واحدة تلو الأخرى تقريبًا بلا توقف.

- احكِ لي شيئًا مسليًا. فالحياة المعزولة في القصر تزيد من عادة النميمة.

قال "جين إي آن" بعد برهة:

- وأنا في طريقي إلى هنا في هذا الصباح، أوقف رجل مجنون عربتي، وادعى أن العربة مكونة من الذهب وحاول محاولات يائسة أن يأخذ قطعة منها إلى البيت.

شهقت "تشون مي" قائلة:

- حقًا؟

نظر "جين إي آن" إلى الأسفل على الرقعة كي يحكم على الموقف وقال:

- نعم. إن سموكِ تلعبين الشطرنج باحترافية لدرجة أنكِ لا تحتاجين إلى معلم.

نظرت الأميرة "تشون مي" إلى الأسفل أيضًا إلى الرقعة وتساءلت:

- هل فزت إذن؟

أجابها "جين إي آن":

- في الواقع ليس بعد.

- إذن لما تمدح مهارتي في اللعب؟

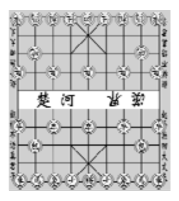
- من رأيي يمكن لسموكِ بأن تلعبي بأقل من عشرة لاعبين في مباراة في "تشنج جون جوان".

تساءلت الأميرة "تشون مي" بنبرة خفيفة من السخرية:

- إذن لا بد أنك أفضل لاعب في الدولة، أليس كذلك؟ هل تحاول إرضائي أم تستعرض نفسك أمامي؟

حينما وصل إلى بوابة قصر "باي لي" في طريق عودته، التفت حوله. كان سطح القصر ممتدًا مثل أجنحة الطائر ويمتلئ بالردهات الخشبية التي تؤدي إلى الغرف في آخرها. كانت الأميرة "تشون مي" تقف في الردهة، وتنظر إليه. رغم أن وجهها بدا غير واضح كلما ابتعد عنها، فإن مظهرها في الملابس البيضاء كان بارزًا.

أخذ يفكر "جين إي آن" وقال لنفسه: "تبدو مثل طيف أبيض". حينما استدار، رأى شجرة كركديه عند بوابة القصر. كانت زهور الشجرة تتساقط من على أفرعها تأثرًا بنسمات المساء، كان الضوء والزهور ينعكسان على رأسه ووجهه وملابس المسؤول الاحتفالي الجديد. تلك اللحظة التي استدار فيها جعلت قلبه ينبض بسرعة كبيرة، وشعر كما لو أنه قد تحول إلى قطعة سوداء محاطة بالعديد من القطع البيضاء اللا نهائية.



2

في اليوم الذي أتى فيه الأمير ليشرب الشاي، تساقط المطر منذ الصباح الباكر وأمطر رذاذًا خفيفًا جدًا والذي بدا كأنه خيوط تنسجها أيدي ماهرة إلى قماش. أخذ يفكر "جين إي آن" في أطراف أصابع الأميرة "تشون مي" ثم حوَّل فكره إلى أطراف أوراق شجر البامبو. وفي فناء القصر كان هناك امتداد من نبات البامبو المر، أوراقه خضراء وناضجة، والتي لمعت في المطر وبدا شكلها حيوي بلونها الزمردي.

فُتح كتاب أمام "جين إي آن"، ولكنه لم يقلب صفحة واحدة لأن كل ما شغل باله هو الأميرة "تشون مي". كانت عيناها الداكنتان مختبئتين في مكان ما بالقرب منه مركزتين عليه، كانتا تحملقان فيه بثبات دون أن تغمضا للحظة وتسببا له الضيق.

سأل "جين إي لين"حينما أتى:

- كيف تسير الأمور في قصر "باي لي"؟

- الأميرة "تشون مي" معروف عنها أنها مزاجية وعنيدة.

ابتسم "جين إي آن" وقال:

- ليس الأمر سيئًا لهذه الدرجة.

ثم أكمل بعد لحظة تفكير:

- إنها لاعبة شطرنج ماهرة.

سأل "جين إي لين" وهو يلتقط اللحم من الإناء الأسود بأعواد أكل فضية رفيعة:

- حقًّا!؟

كان كلما يأكل السمك، يفصل رأسه وينزع عظامه وذيله ويضعهم بعناية في الطبق، وكأن الطبق قُدم إليه بهذا الشكل.

قال "كيم يي ليم" وهو يضع طبقه بشكل مهذب حينما فرغ من تناول السمك:

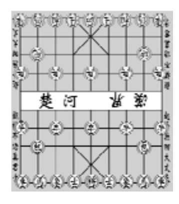
- التقيت بها مرة في قصر الأمير. كانت غير مهتمة تمامًا بجمال زوجته وظلت تتشاجر معها. رغم أنها على وشك الزواج إلا أنها ما تزال تتصرف كطفلة.

قال"جين إي آن":

- إنها تلعب الشطرنج بمهارة.

نظر "جين إي لين" نحوه سريعًا ثم أمسك لسانه عن بعض الألفاظ البذيئة التي كان على وشك التفوه بها بعد تردده قليلًا. فلم يكن "جين إي لين" يُقدر مثل تلك الإنجازات في الموسيقي أو الشطرنج أو فن الخط أو الرسم، ووبخه عدة مرات بسبب "ميله لحب المتع وافتقاره لأي طموح نبيل".

اقتنع "جين إي آن" قليلًا بكلامه ولم يتفوه بكلمة، ولكنه تذكر بينه وبين نفسه، إن لم تكن لديه مهارته البارعة في لعب الشطرنج، فبالتالي لم يكن ليستطع أبدًا أن ينال منصب المسؤول الاحتفالي.



3

حـل المـساء مبكـرًا في الأيـام الممطـرة. شـهد وقـت الغـسق هطـول المطـر الغزيـر بـبطء وتساقطها على أوراق البامبو. أشعل الخدم المصابيح التي كانت متدلية في الردهة الخشبية.

كانت هناك رياحًا تهز المصابيح بخفة.

حينما حل الظلام التام، سُمعت أصوات أقدام من الجزء الشرقي في القصر. سـار "جـين إي لين" متتبعًا الخادم الذي قاد الطريق وهو يسير أمامه ممسكًا بمصباح، ولكـن "جـين إي آن" لم يكن يعرف تمامًا الشخص الذي يسير بينهما.

قال "جين إي لين" وهو يسير في الردهة الخشبية ويشم رائحة المطر:

- هل تود أن تشرب كوبًا من الشاي؟ أنا موجود.

ثم ضحك لـ"جين إي آن" قائلًا:

- أنا لا أضايقك، أليس كذلك؟

- بالطبع لا. لحسن الحظ لدي بعض من شاي اللوتس.

خلع الرجل الذي كان واقفًا خلف "جين إي لين" معطفه الذي كان يغطي رأسـه أيـضًا، في ضوء المصباح ظهر وجهه الوسيم المنير بابتسامة واضحة. شـعر "جـين إي آن" أن قلبـه توقـف عن النبض فجأة.

سأل "جين إي لين":

- أليس من الواجب أن تحيي الأمير؟

حينئذ استفاق "جين إي آن" من صدمته وتراجع خطوة كي ينحني.

مد الأمير يده وأمسك بـ"جين إي آن" قائلًا:

- لا تفعل ذلك.

بدا صوته مثل صوت الأميرة "تشون مي"، لا يتحدث إلا بنبرة قوية وبشكل أبطأ وكأن كل كلمة يلفظ بها يقولها بحرص شديد. قال:

- آمل ألا ينزعج "جين إي آن" من زيارتي الأخيرة.

انحنى "جين إي آن" له ودعاه إلى مكتبه حيثما كانت المدفأة مشتعلة بها طوال اليوم مما جعل الغرفة دافئة وساحرة وقال:

- بالطبع لا. شرفتني في غرفتي المتواضعة.

أخذ قلب "جين إي آن" يخفق بشدة وارتعشت يديه بشكل خفيف. حينما جَهَّز طاولة الشاي وغسل يديه وشطف أدوات الشاي بالماء المغلي، بدأ يهدأ ويتصرف براحة أكثر. فهو لم يرَ الأمير سوى مرة في البلاط جالسًا بمعزل وينظر إلى الأسفل نحو الموظفين. فكر بينه وبين نفسه ووجهه جامد لا يبدو عليه أي تعبير في أن النبل لا بد أن يسري على الجميع مثل الأمير.

ثرثر الأمير مع "جين إي لين" متعجبًا من "جين إي آن" وحركاته الماهرة.

جلس "جين إي آن" جنبًا إلى جنب مع الأمير على فراش به نقوش كثيرة ناظرًا إلى شقيقه الأصغر ومبتسمًا وقال:

- الجميع يعلم أن "جين إي آن" ماهر في لعب الشطرنج، تمامًا مثل غيرها من المهارات التي يمتلكها، وحتى أنا بصفتي شقيقه لا أعلم الكثير عنه.

كان شاي اللوتس الذي أعده "جين إي آن" لضيوفه مصنوعًا من الشاي المنتج في مدينة "باو" في ذلك العام. وضع الشاي الجديد المغلف بورق بين

نباتات البتلة مع زهور اللوتس العطرة النامية في البحيرة وراء بيتهم وبعدها ربط نباتات البتلة بخيط رفيع، وحينما نُقع الشاي في العطر، أخرج أكياس الشاي. دعا "جين إي آن" أخاه ليجرب هذا الشاي كل عام، لكنه لم يتوقع أن الأمير سيأتي مع "جين إي لين" هذه المرة.

عندما صبَّ الماء المغلي في أكواب الشاي، كانت رائحة الشاي الذكية تفوح من زهور اللوتس اليانعة التي ملأت الغرفة كما لو أن هناك العديد من زهرات اللوتس التي نمت فجأة حولهم وأنعشتهم. جلس الأمير و"جين إي لين" سويًا، حدثهم "جين إي آن" بشكل مختصر عن أصل الشاي ثم قدَّم لكلٍ منهما فنجانًا من الشاي.

قال الأمير بدهشة بعد أن شرب رشفة من فنجانه:

- كيف لم أعلم بوجود مثل هذا الشاي الرائع بالقصر!

أضاف "جين إي لين":

- الشاي جيد، والمياه ليست طبيعية أيضًا. لقد أخذها "جين إي آن" من قطرات الندي الموجودة على أوراق زهر اللوتس قبل الفجر.

قال "جين إي آن":

- إنكم ذواقون جدًا. تتذوقون كل شيء حتى الشاي والماء.

رفع الأمير عينيه من على حافة الفنجان ونظر سريعًا نحو "جين إي آن".

كان الأخوان "جين" يتشابهان في أشياء كثيرة، ولكنهما يتركان انطباعات مختلفة لدى الناس: أحدهما كان محبوبًا مثل الذهب بينما كان الآخر أقل مكانة كالفضة.

عندما انتهيا من شرب الشاي، صب لهما "جين إي آن" المزيد.

قال "جين إي لين":

- هل من الممكن أن أعقد مقارنة بين مواهبنا؟ آمل ألا أضايقك، فأنا أشبه نكهة الشاي القوية التي تفوح بمجرد أن يُصب الماء المغلي.

رفع "جين إي لين" فنجانه ذا اللون التركواز الفاتح الخفيف بنقوشه المزخرفة المصنوع في "ده نينج فو" الذي كان ممسكًا به وعرضه على الأمير ثم قال:

- بينما "جين إي آن" يبدو مثل فنجان الشاي هذا، يظهر حجره الكريم اللامع فقط حينما نصب الماء المغلي للمرة الثالثة.

صُدم "جين إي آن" من تعليقات أخيه الأكبر ونظر نحوه، بدا دومًا بنفس الصورة المرسومة في ذاكرته، شخص غير ناضج في ظل كل هذه التفاهات اليومية. حينما كان والداهما على قيد الحياة، كان كل ما يتحدثان بشأنه يتعلق بكيف يجعلون عشيرتهم تحظى بالشرف أثناء دردشاتهم القليلة من حين لآخر. كان "جين إي آن" دائمًا ما يتجنب نقاشهما الانفعالي وصورتهما للمستقبل المليئة بالحماس مثل المراقب الذي لم يستطع أبدًا الانضمام إلى تلك المجموعة.

لم يعلم تمامًا منذ متى ولأي سبب بدأ "جين إي لين" يشخصه ويفهمه. بل وكيف لأخيه أن يقول مثل هذا المديح!

فنجان لونه تركوازي فاتح خفيف بنقوشه المزخرفة مصنوع في "ده نينج فو"!

امتدحه الأمير قليلًا قائلًا:

- من دواعي سروري حقًا أن أشرب الخمر مع الأخ "جين إي لين" وأن أشرب الشاي مع الأخ "جين إي آن"!

4

بدأ "جين إي آن" الذهاب إلى مدرسة "دونج تانج" في السادسة من عمره. وفي يومه الأول هناك، استدعى ناظر المدرسة "جين إي لين" الذي كان يدرس هناك لمدة عامين في ذلك الحين كي يقف ويرتل بعضًا من كتاب "تعاليم كونفوشيوس". كان "جين إي لين" في الثامنة من عمره آنذاك، ولأنه كان يتمتع ببعض الموهبة الأدبية والذوق الفني، كان بمجرد أن يشجعه أحد عليهما تظهران في ترديده للاقتباسات القديمة من الصين على شكل ترنيمة حيوية وموسيقية، مثل العجلة التي بمجرد أن تحركها تبدأ في الدوران أسرع وأسرع. كان يلمع بشكله الباهر لدرجة أن أخيه الأصغر "جين إي آن" أدرك في تلك اللحظة أنه لن يقترب حتى من مكانة أخيه الأكبر.

منذ ذلك الحين، كان كل شيء يجيده الأخ الأكبر يقلل من شأن الأخ الأصغر. كان مستوى "جين إي آن" الدراسي ضعيفًا أثناء دراسته لـ"الكتب الأربعة المقدسة" و"الكلاسيكيات الخمس". ورغم أنه بذل بعض الجهد في الدراسة، كانت تلك الجمل التي تتحدث عن سبل إدارة البلاد وحكم الشعب دائمًا تُمحى من ذاكرته ويعجز لسانه عن تسميعها. كان بدلًا من ذلك يتحلى بالكفاءة في بعض وسائل الترفيه مثل الموسيقى والشطرنج وفن الخط والرسم، وكان مستواه فيها يتعدى فوق المتوسط دون جهد. من حسن حظه أن والديه صبا كل آمالهما على الابن الأكبر ولم يطالباه بأي شيء.

بعد أن توفي والديهما، درس "جين إي لين" ومارس الفنون العسكرية في جامعة "تشنج جون جوان"، وكان يعود إلى البيت كل عشرة أيام.

أما "جين إي آن" كان يؤلف طوال اليوم بعض الألحان الفلكلورية ويرسم بعض الرسومات الصينية بالحبر الأسود ويلعب الشطرنج أثناء شربه للشاي ويمارس المجون ليلًا في بيوت الزهور. فُتن في إحدى المرات برقصة في بيت "وو خوا"، بدا جسد الراقصة مرنًا وأنعم حتى من عجينة الدقيق، كان يتلوى بطبيعة خلقه كالملابس المبللة.

في صباح أحد الأيام مبكرًا، عاد "جين إي آن" إلى البيت بعد ليلة قضاها في بيت "وو خوا"، ووجد "جين إي لين" جالسًا في مكتبه. كان هناك حوضًا من النحاس أمام أخيه الأكبر يحرق قطع الفحم فيه كي تُدفئ الغرفة في الشتاء، وبه كان يوجد زوج من المشابك النحاسية الكبيرة ومقبضها مصنوع من الخشب. أما وجه "جين إي لين" كان يبدو أيضًا بدرجة لون وجودة المعدن، عيناه ذكَّرت "جين إي آن" بعظامه المكسورة حينما كان يمارس الفنون القتالية.

وجد "جين إي آن" رزمة كبيرة من اللوحات المرسومة الملفوفة التي انتقلت من حاوياته ودولابه إلى موضعها الحالي بجانب "جين إي لين".

أمضيا النهار كله في المكتب. كانت ألسنة اللهب الحمراء والزرقاء تتمايل وتتراقص إثر الاشتعال في اللوحات المرسومة، كان ذلك المنظر فاتنًا مثل رقصات بيوت الزهور. ظل الرماد في الحوض النحاسي يتراكم حتي وصل إلى أعلى حافة الحوض في آخر الأمر وسقط مثل أوراق الشجر الذابلة على الفراش المنقوش.

شعر "جين إي آن" أيضًا أن قلبه معلق بالمشبك النحاسي وموضوع في المدفأة ومحروق حتى صار رمادًا. انحنى على ركبتيه دون حراك، شعر أن قدميه وساقيه وجذعه وذراعيه حتى عقله قد فقدوا الحس وكأنهم تم تخديرهم.

غادر "جين إي لين" منوهًا له بعد أن احترقت اللوحات:

- هل أرحت أرواح والديك الراقدة بهذه الأشياء؟

5

لم يدرِ كيف عرف أخوه الأكبر كل ما يقوم به. لم يكن مـن المعتـاد في ذلـك الحـين للفتيـة الذين يدرسون في جامعة "تشنج جون جوان" أن يرتادوا بيوت الزهور، فمن الممكن لأحـدهم في مقتبل شبابه أن يقع في الغرام مرة أو مرتين. وعادة ما يـسخر النـاس ممـن لم يرتـادوا أبـدًا بيوت الزهور. على الرغم من أن "جين إي آن" هدأ شيئًا فشيئًا بعـد تلـك الدهـشة، لم يوافـق على ما قام به أخوه الأكبر، فقد أدرك كلٍ منهما مكانته سواء من حيث الشهرة والـثراء أو مـن حيث الحياة الاجتماعية المليئة بالمشاعر الرقيقة، وقد قـام أخـوه الأكـبر "جـين إي لـين" بتلـك الضجة على تلك الأشياء التافهة فقط كي يستعرض سلطته.

يُريح أرواح والديهما الراقدة؟

ما علاقته بذلك؟

قبل موت والديهما، كان الأب يركِّز دائمًا على زجاجات الخمر و"جين إي لين" بيـنما كانـت الأم تركز دومًا على أبيهما و"جين إي لين". وقد نسيا ابنهما الأصغر طـوال حيـاتهما حتـى قبـل استعدادهما للذهاب إلى عالم الموتى، ناهيك من ما يحدث الآن. كان يشعر بالحزن أيضًا لوفـاة والديهما، ولكنه لم يكن يائسًا. فقد أبعد نفسه عن أي شيء يجعله يبدو "عاطفيًا".

في جنازة والده، ارتدى زي الحداد ووقف بوجهٍ صارم خلف أخيه الأكبر يراقـب "جـين إي لين" وهو يستقبل ويودع الأقارب والضيوف. شعر بالملل والفراغ، فأخذ يراقب "جـين إي لـين" بعين انتقادية واكتشف أن حزن أخيه الأكبر بدا أنه تتغلب عليه مشاعر الفـرح، حيـث كـان وجـه "جين إي لين" حيويًا فهو لم يعد بحاجة للقلق بشأن حماقات أبيهما التي كان يرتكبهـا إثـر مرحـه

الصاخب وإدمانه للخمر لأن ذلك كان سببًا رئيسيًا لتبـذير الأسرة، والأكـثر مـن ذلـك أن أخيـه الأكبر صار الآن كبير أسرة "جين"، وقد نال الإعجاب الشديد من كـل مـن قـدم فـروض العـزاء قائلين:

- لأنه ترك ابن مثلك، يستطيع والدك الآن أن يرقد في سلام.

كاد ينفجر في ضحكة باردة قائلًا لهم:

- كيف لإنسان ميت ألا يرقد في سلام؟

أخذ "جين إي آن" يدلك قدميه ورجليه المخـدرتين ووقـف ونفـض رمـاد الـورق مـن عـلى ملابسه. كان يشعر أنه محظوظ. فقد فضل أن يحرق "جين إي لين" لوحاته بدلًا مـن الخـوض في حديث معه وجهًا لوجه عن طموحاته ومسؤولياته الأسرية.

كان ما يزال يتردد على بيت الزهور و"وو خوا"، ومع ذلك، بـدأ شـغفه للـذهاب إلى بيـت الزهور يقل نوعًا ما يومًا بعد يوم. كان ما يـزال يتقـرب منهـا، وحيـنما كانـت تغـازل الرجـال الآخرين حتى، كان يتجاهل ذلك ضاحكًا كالمعتاد، لكنه أخرجها من قلبه كما لو أن تلك المـرأة التي أحبها احترقت وتحولت إلى رماد، وأن تلك الإنسانة الحية أمامه لم تكن سوى وهـم. كـان على علم بغرابة تفكيره، ولكنه لم يسعه أن يوقف تفكيره في ذاك الاتجاه فهو كالحصان يعـدو داخل عقله. عن العـدو في هـذا الاتجـاه. لاحـظ أفـراد بيـت الزهـور هـذا التغـير في طباعـه، واشتكوا منه عدة مرات متنهدين، ولكن بلا جدوى. لا بد أنها شعرت أنه هجرهـا وزاد نفـوره منها. ولأنها كانت "الأكثر طلبًا" في بيت "وو خوا"، لم تفتقر أبدًا للمعجبـين بجمالهـا. ورغـم أن "جين إي آن" من سلالة نبيلة، لم يكن بالنسبة لها أفضل من الآخرين باسـتثناء أن وجهـه كـان وسيمًا.

6

لم يقم "جين إي آن" بزيارة بيت الزهور لفترة طويلة. وأمضى أغلب وقته في دراسة كتيبات الشطرنج. نمت مهاراته أسرع فأسرع حتى وصل إلى مباريات القمة ضد أمهر اللاعبين وكذلك وصل لدرجة أنه جلب المتبارزين إلى باب بيته. وحينما بلغ الثمانية عشرة من عمره، اجتاز "جين إي لين" اختبارات الأدب الإمبراطورية في فصل الربيع واختبارات الفنون القتالية الإمبراطورية في فصل الخريف، وصار أسطورة في "سيول". لاحقًا بعامين، تولى منصب نائب مفوض المراقبة من الرتبة الثالثة في مكتب المراقبين. كانت هذه أعلى رتبة مُنحت لأسرة "جين" على مدار الستة عقود الماضية.

بسبب نجاح "جين إي لين" الهائل في القصر الإمبراطوري، يبدو أنه لم يصعب عليه بعد ذلك مطالبة أخيه الأصغر بأي شيء أو ربما فقد الثقة تمامًا به. أخذ "جين إي آن" يفكر في كل ذلك بينه وبين نفسه.

لمع "جين إي لين" بطاقته وحيويته في زيه البنفسجي الرسمي. ولأنه كان النجم الجديد في البلاط الملكي، كان يتلقى دعوات على العشاء كل يوم. في حين أن "جين إي آن" بدا مثل عشيقة الملك التي تجاهلها وحط منها الجميع حتى الخدم. نادرًا ما كان يلتقي الأخوان. حينما كان "جين إي آن" ينهض ويتناول الفطور، يكون "جين إي لين" قد ذهب بالفعل إلى البلاط الملكي في الصباح، ولا يتناول العشاء حتى في البيت.

كان "جين إي آن" سعيدًا بذلك. ما ضايقه هو عدم وجود أي شخص ينافسه. ولذا بدأ يرسل جوابات إلى السيد "شوي شين" في معبد "لي سو" على بعد مائة وخمسين كيلومتر من "سيول". كان السيد لاعب شطرنج بارع ويقال

إنه لا يوجد أحد يستطيع أن يتحمل أكثر من ثلاثمائة حركة في مباراة معـه. رد الـسيد "شـوي شين" على كل الرسائل في ورق أبيض تمامًا ومفرود ولكن بخط ينم عن ثقـة مفرطـة. بـدا كـل شيء كتبه غير جديد، ولكنه به شيء غامض.

صار الجزء الغربي من الفناء الذي اعتاد "جين إي آن" أن يعيش فيه مثـل معبـد "لي سـو" في بيت عائلة "جين". كان دائمًا أخـر مَـن يلاحـظ أي تغيرات في البيـت في أسرتـه: تغـيرات في السطح وبلاطه، وفي الحـوائط المدهونـة جديـدًا، وفي قطـع الأثـاث بـديكور ذهبـي مزخـرف. وكذلك لم يعلم تمامًا متى أزيلت بوابة البيت القديمة واستبدلت بـأخرى جديـدة، لـذا حيـنما عاد في أحد الأيام بعد أن قضى يومًا كاملًا بعيدًا عن البيت، نظر نحو البوابة، وظن أنـه دخـل البيت الخطأ.

كانت البوابة الرئيسية للبيت يبلغ عرضها ضـعف عـرض البوابـة العاديـة، وكانـت رائحـة بروازها مثل رائحة الخشب الجديد.

مُسح منزل عائلة "كيم" ولمُع ووُضع به أثاث جديد فصار لامعًا وذا بريق مثل قطعة مـن الكنوز الثمينة المخبـأة تحـت الـتراب حتـى يـستطيع "جـين إي آن" اسـتضافة الاحتفـالات في بيته والترفيه عن رفقائه من حاشية البلاط الملكي.

7

حينما التقى "جين إي آن" بـالأميرة "تـشون مـي" للمـرة الثانيـة، أخـذ يرمقهـا ويلاحظهـا بعناية – ليس بحرية وسهولة مثلها بالطبع - ليرى مدى التشابه بينها وبين الأمير.

سألته عندما قابلته:

- هل رأيت ذلك المختل عقليًا اليوم؟ أعني الرجل الذي أراد أن يحصل على قطعة ذهبية من عربتك؟

كان "جين إي آن" على وشك نسيان هذا الرجل تمامًا لو لم تُذَكِّره به مجددًا، وقال:

- لا.

بدت تعابير وجه الأميرة "تشون مي" غامضة وقالت:

- أعلم ما الذي جعله يُجن لهذا الحد.

ثم قالت بعد أن سكتت برهة بتأني:

- الأمر يتعلق بك.

ابتسم "جين إي آن" قائلًا:

- بي؟

-ألا يتعلق بك الأمر إن كانت أسرة "جين" متورطة في ذلك بالفعل؟

اختفت ابتسامة "جين إي آن".

أكملت قائلة:

- إنه ابن تاجر تحف. وكان يحب التجسس على خصوصيات الآخرين مثل من يعملون في القصر الإمبراطوري. وغالبًا ما يركن سيارته المغطاة بغطاء أسود من أعلاها إلى أسفلها خارج بيتك في الفترة الأخيرة بعد حلول الليل ثم يغادر بها قبل شروق الشمس. كان مفوض المراقبة "جين" شخصًا وسيمًا ولبقًا ومغرورًا منذ توليه في البلاط الملكي، ولذا فمن الطبيعي أن يشعر الناس بالفضول من مروره.

اكتشف أنها مفتونة بسرد القصص. كانت عيناها مثبتتين عليه، كما كانت نبرتها الهادئة ظاهريًا تنم عن سعادة وتشويق لم تستطع كبتهما. كان على "جين إي آن" أن يسيطر على نفسه حتى يركز في الأمر الذي كانت تتحدث بشأنه.

قال:

- لم أرَ العربة على الإطلاق.

سددت الأميرة "تشون مي" نظرة غاضبة تجاهه وشعرت بالضيق لأنه قاطعها وقالت:

- إن كنت رأيتها أنت والأخرون، إذن كيف يُعتبر ذلك سر؟

ظل "جين إي آن" صامتًا.

ظلت الأميرة "تشون مي" غاضبة لفترة طويلة، لكنها لم تتمكن من منع نفسها من الكلام مرة أخرى، فقالت:

- كان ابن التاجر ذاك يراهن على شيء ما، فبقي خارج بيتك طوال الليل، وحينما خرج الضيف من بيتك في الصباح التالي، كان يجر العربة لمسافة نصف طريق "سيول" وشعر بالتعب مثل الكلب المنهك الذي يخرج لسانه... لقد أضفت هذا الجزء، لأنني خمنت أنه من المفترض بذلك أن يشعر بالتعب. وحينما لم يعد يستطيع السير أكثر من ذلك، توقفت العربة أيضًا. هل يمكنك تخمين أين توقفت؟

هز "جين إي آن" رأسه.

شعرت الأميرة "تشون مي" بخيبة أمل قليلًا، وحملقت نحو "جين إي آن" بعينين غاضبتين وقالت:

- لقد توقفت بالقرب من قطعة خشب ليست بعيدة عن القصر الإمبراطوري، مزق العديد من الرجال الذين كانوا يرتدون ملابس سوداء الغطاء الأسود للعربة مع مغيب الشمس، فرآها ابن التاجر بذلك على أنها لامعة

ومبهرة فجأة وكأنها صُنعت من ذهب. تم نقل العربة نحو القصر بكـل جـرأة بـشكلها الـذي يبدو مثل الذهب، ولم يوقفها أحد.

ثم أكملت قائلة:

- لقد أخبر الأخرين بشأن ما حدث، وانتشرت الشائعات في كل مكان، ولكن الـرب وحـده يعلم مدى صحة هذا الأمر أو عدم صحته، حيث إن ابن التاجر جن جنونًا كيما رأيته.

سأل "جين إي آن":

- كيف توصلتِ لذلك؟

- هناك الكثير من الحـرس الـذين يرتـدون زيًـا أسـود في القـصر. أُرسـل لأي واحـدٍ مـنهم فأعرف كل ما أريد معرفته.

تنهدت الأميرة "تشون مي" وكأنها تريد أن تعرف المزيد وقالت:

- من المؤسف حقًا أننا لا نعلم من الذي كان يجلس في العربة. هل يمكن أن تكون زوجـة الأمير؟

تذكر جيدًا تلك الليلة الممطرة التي كانوا يشربون فيها الشاي. هل اختلط عليه الأمـر بـين كلٍ من الأمير والأميرة "تشون مي" في اللحظة التي خلع فيها الأمـير معطفـه؟ كانـت الطريقـة التي نظر بها الأمير نحو أخيه الأكبر بدت لا تليق برجل ناهيـك عـن جلالتـه ورائحـة ملابـسه التي بدت غريبة أيضًا... بدأ قلـب "جـين إي آن" في الخفقـان سريعًـا، يبـدو أن الرائحـة التـي كانت تملأ غرفته والتي لم تذهب إلا بعد عدة أيام تزداد من حوله وتفوح من ملابـس الأمـيرة "تشون مي" وتمسك بحلقه وكأنها يد.

هل يمكن أن يُعجب رجل برجلٍ آخر؟

سألت الأميرة "تشون مي":

- هل أنت بخير؟

- نعم، بخير.

ظلت عيناها مثبتتين على وجهه وقالت:

- هل أنت بخير؟ وجهك أبيض مثل الورقة.

ابتسم "جين إي آن" وهو يشعر بالارتباك قائلًا:

- حقًا؟

عبس وجه الأميرة "تشون مي"، تبدو كأنها تعجبت من ابتسامته وقالت:

- إذن فأنت تعرف الشخص الذي في العربة، أليس كذلك؟

أجاب بحزم:

- لا.

استعاد حبل أفكاره مجددًا في عقله بطريقة غير ملحوظة وسأل:

- كيف جُنَّ ابن التاجر؟

قالت الأميرة "تشون مي" بهدوء:

- هذا هو اللغز الحقيقي. الناس يعلمون فقط أنه مجنون، ولكنهم لا يعرفون متى أو كيف صار مجنونًا، لذا فلا يوجد من يمكنه أن يخبرنا أنه جُنَّ بسبب الكلام الذي قاله أو أن هذا الكلام قيل لأنه مجنون.

8

كان تاريخ زفاف الأميرة "تشون مي" قد بقى عليه عشرة أيام فقط حينما انتشرت الأخبـار بأن زوجها المستقبلي تُوفي بسبب مرض مفاجئ.

في اليوم التالي، حينما ذهب رئيس الوزراء إلى الـبلاط الملـكي ممـسكًا بقبعتـه الرسـمية في يده، اكتشف الناس أن شعره ابيضَّ فجأة. ظـل ينحنـي عـلى ركبتيـه في الـبلاط ويخـر سـاجدًا لدرجة أنه جرح جبهته. غطت الدماء وجهه. طلب من الملك وهو يذرف الدموع بـأن يـسدي له معروفًا بالاستقالة مما جعل كل الحاضرين يتعاطفون معه.

تعاطف الملك أيضًا معه، وبفـضل جلالتـه لم يمنحـه الاسـتقالة فقـط ولكنـه قـرر أيـضًا ألا يحقق في سبب وفاة الأمير الذي كان سيتزوج الأميرة "تشون مي".

تأثر البلاط الملكي بأكمله بشأن المناصب التي فرغت من بعد المستشار والأمـير. ورغـم أن "جين إي آن" كان غير متأثر بذلك، شعر بقلق خفي. فقد صار "جين إي لـين" لا محالـة محـل الاهتمام بطموحاته الواضحة وضوح الشمس وعلاقته غير العادية مع الأمير.

في إحدى الليالي، عاد "جين إي لين" والأمير إلى مكتب "جين إي آن" لـشرب الـشاي. كانـت أشجار البامبو في الفناء تحدث صوت حفيف قوي بفعل الرياح في تلك الليلة.

قال الأمير:

- القصر مليء برائحة أقلام شفاه وبودرة تجميل حريمي.

ثم التقط عدة أنفاس وقال مبتسمًا:

- يبدو أن الهواء المنعش في بيتك مريحٌ حقًا.

كان الأمير يفضِّل أن ينظر للأسفل وهو يتحدث ويسدد نظرات عابرة للشخص الذي يتكلم معه. وقف "جين إي آن" بعيدًا عن الأمير في البلاط الملكي، وكان أحيانًا ما يشعر أن الأمير يبدو مثل تمثال من الطين في إحدى المعابد البوذية.

بدا مزاج "جين إي لين" عاليًا وقال بسعادة عارمة:

- يزخر القصر بالجمال بالتسعة أميرات الفاتنات، وزوجتك التي تبدو حتى أكثر إبهارًا بجمالها، وكذلك الثلاثمائة عشيقة إمبراطورية. فأنت محاط بجمال رباني في أرض مباركة بالعطور. لذا أخشى أن ذكرك لـ"الهواء المنعش" تعني به الفقر وشيء من الحذلقة!

رد الأمير بحسم وهدوء دون أن يرفع رأسه:

- لا أقصد ذلك على الإطلاق. النساء هن النساء لا تتغير طبيعتهن، ومن الصعب أن تتورط معهن، فهن مثل الثعابين.

- أليس من الجيد للرجال أن يتورطوا معهن؟

- النساء كرائحة الزهور، قد تؤدي إلى الاختناق إذا زادت بشدة.

- أنت محق في ذلك. النساء يملن إلى التعلق ويصعب التعامل معهن.

قال الأمير بهدوء:

- وهذا هو سبب وفاة الأمير على جسد إحدى مغنيات بيت الزهور.

ارتعشت يد "جين إي آن" وسكب الماء الساخن عليها. توقف كلًا من الأمير و"جين إي لين" عن الحديث ونظرا إليه.

اعتذر "جين إي آن" وخفض رأسه شاعرًا وكأن عشرات الآلاف من الإبر وخزته بشدة قائلًا:

- متأسف.

حملق الأمير نحو يده وقال:

- هل أنت بخير؟

انحنى "جين إي آن" معتذرًا وقال:

- أنا بخير. آسف جدًا على هذه الهرولة المتهورة...

رآه "جين إي لين" وهو يأخذ فوطة كي يمسح الماء من على ظهر يده، واستدار للأمير كي يشرح له قائلًا:

- "جين إي آن" ما يزال لا يفقه أي شيء من هذا القبيل...

قاطعه الأمير وسأل "جين إي آن":

- هل أنت بخير حقًا؟

- نعم. وآسف على ما حدث...

هدأ "جين إي لين".

قال الأمير:

- حقًا لم أسمع من قبل أنه ما يزال هناك أشخاص في "سيول" لا يعرفون كيف مات الأمير.

نظر الأمير إلى "جين إي لين" وقال:

- في الليلة الماضية في قصر "باي لي"، وضعت "تشون مي" ثوبها الذي كانت أعدته لحفل زفافها ووضعته على الشماعة وأشعلت فيه النار. جذبت ألسنة اللهب والدخان انتباه الحرس وشعر بها والدي الإمبراطور وأمي الإمبراطورة حتى.

ضحك "جين إي لين"وقال:

- أليس من المفترض أن تمنح الأميرة "تشون مي" لقب أكثر الشخصيات المميـزة في القـصر الإمبراطوري؟

- لأن أمي الملكة هي التي ولدتها، شَبَّت على نفس طباعها. كانت حتـى تقـول دائمًـا أنهـا ستختار الأمير الذي ستتزوجه بنفسها.

أخذ الأمير فنجان الـشاي الـذي وضـعه "جـين إي آن" أمامـه للتـو ثـم نظـر إلى "جـين إي لين"وقال:

- يبدو أن "تشون مي" معجبة بك يا "جين إي لين".

ضحك "جين إي لين" وقال:

- معجبة بي؟ هذا أمر جديد حقًا.

- "جين إي لين" محل إعجاب دائمًا، ولذلك فإن مشاعر الآخرين نحوها لا تعني لها شيئًا.

قال "جين إي لين":

- أنت تقلقني بكلامك.

ولكن كانت حركاته لا توحي بذلك. أخذ فنجان الشاي بيده واستنشق رائحته وهو يقول:

- انتقدني إن كنت تراني غير جدير بالاحترام.

بعد لحظة صمت، تحدث الأمير مرة أخرى دون أن ينظر نحو "جين إي لين" فقال:

- كل الشباب الكفـء من الأسر ذات الدرجة الأولى ومـوظفين الدرجـة الثانيـة في القـصر الملـكي خطبـوا أمـيرات أخريـات، كـما أن الـشباب مـن أسر مـوظفي

الدرجة الرابعة والأقل من ذلك لا يليقون بها. ومع وضع كل ذلك في الاعتبار، فأنـت إذن أكـثر مرشح ملائم للقب الأمير وزوج الأميرة الجديد يا "جين إي لين". وقد طلبت أمـي الملكـة أيـضًا بأن أحدثها عن أسرتك.

نظر "جين إي آن" للأسفل نحو البراد الموضوع على البوتاجاز.

قال "جين إي لين":

- لو أعلم أن سموك ستتحدث معي بشأن ذلك لكنا قد شربنا بعض الخمر سويًا الليلة.

ثم ضحك قائلًا:

- الحديث عن المشاعر الرومانسية يكون ممتعًا جدًا حينما يكون المرء نصف سكران.

التفت الأمير ناظرًا نحو "جين إي لين" وقال:

- هل تعتبر ذلك رومانسيًا؟

رغم أن "جين إي لين" لم يكن مدمنًا للخمر، بدا أنه سكران، وبدأ يتحدث بحمق وقال:

- طالما هنالك نساء، ماذا يُعتبر ذلك إن لم يكن رومانسيًا؟

تجمد دم "جين إي آن" في عروقه.

قال الأمير ووجهه هادئ بابتسامة باردة:

- أوه، نعم. لقد نسيت تقريبًا أنك أكثر مُتعلم رومانسي موهوب في "سيول".

ضحك "جين إي لين" وكأنه لا يدرك غضب الأمير وقال:

- إذن هل تعني أنني فزت بلقب ملك الرومانسية في بيوت الدعارة؟

وضع الأمير فنجان الشاي على الطاولة وقال:

- إذن دعونا نسكر.

نهض "جين إي آن" واتجه نحو الباب مسرعًا قبل أن يردوا وقال:

- إذن سأحضر الخمر.

9

ظل "جين إي آن" في المطبخ لبعض الوقت حتى يحضر الخادم الخمر من تاجر الخمر. حينما عاد مرة أخرى إلى المكتب، تسمَّر مكانه مما رآه. كان رف الكتب قد أُطيح به، وحامل البراد مائلًا بجانبه، والماء مسكوبًا من بوز البراد، وقد بللت الفراش والكتب الموضوعة فوقه، وكانت المياه مرشوشة على البوتاجاز تفوح منه رائحة خانقة تمزج بين الدخان والفحم الساخن.

كان وجه "جين إي لين" صارمًا، عندما رآه "جين إي آن"، تذكر والدهما حينما كانا صغارًا ولم يكن والدهما قد أدمن الكحول بعد، كانت له نفس هذه النظرة عندما يغضب من شيء ما من حينٍ لآخر.

اتكأ الأمير على الحائط، وبدا وجهه أبيض مثل الورقة، ولكن عينيه كانتا حمراويتين ودامعتين.

رأي "جين إي لين"و"جين إي آن" ممسكًا بزجاجة خمر فانتزعها من أخيه الأصغر ونزع الغطاء وبدأ يشرب من الزجاجة بجرعات كبيرة. كان يشرب لدرجة أن الخمر الذي لم يصل إلى فمه كان يبلل ملابسه.

فر "جين إي آن" إلى الفناء، كان قلبه يخفق بشدة.

ظل في الحديقة لمدة ساعة. حينما عاد، كان "جين إي لين" والأمير قد غادرا بالفعل. كان هناك خادمين يرتبان المكان ويسويان المرتبة التي كانت متشربة بالماء والخمر. ولكن رائحة الخمر كانت ما تزال تملأ الغرفة، رائحة جميلة ومبهجة.

نام "جين إي آن" في الغرفة بجوار المكتب، كان ما يزال يستطيع أن يشم رائحة الخمر. لم ينم جيدًا بل استيقظ عدة مرات أثناء الليل.

حينما التقى "جين إي آن" بـ"جين إي لين" في الراهبم الشرقي من الفناء في الصباح التالي، لم يبدُ "جين إي لين" محبطًا على الإطلاق على عكس ما تخيله أخوه الأصغر. كان يجلس في الردهة الخشبية ويرتدي زيًا فضفاضًا وروحه المعنوية مرتفعة ويبدو جسده ساخنًا بسبب تمارين الفنون القتالية التي يمارسها وممسكًا بكوب من الشاي الساخن بيده. حينما رأى "جين إي آن"، ابتسم له وقال:

- هل ستذهب إلى القصر اليوم؟

أومأ "جين إي آن" برأسه قائلًا:

- نعم.

جاء حاجب من القصر وتوجَّه نحوه. أخذ "جين إي لين" الرسالة من الحاجب ولوح بها نحو "جين إي آن".

10

"كان الزي الرسمي مصنوعًا من الخامة نفسها التي أرتديها، ولكن كان التطريز رائعًا، حيث كان تطريز طيور العنقاء التسعة اللامع في ضوء الشمس مُطرزًا بالخيوط الفضية على الجيبة الطويلة، وعلى الحزام الموضوع

على البلوزة القصيرة يوجد تطريز زهور نبـات العبقـة بخيـوط ذهبيـة وفـضية. ولكـن الجـزء الأروع تمثَّل في الرداء الحريري المطرَّز بـ(أشياء رائعة مثـل التنـين والعنقـاء)". رسـمت الأمـيرة "تشون مي" عدة منحنيات على الطاولة بأطراف أصابعها، وأكملت: "عكف تسعة مـن أفـضل المطرزين في القصر على العمـل في هـذا الـزي لأكـثر مـن نـصف عـام. لا بـد أن تـراهم وهـم يعملون. وفي العام الماضي، حينما تزوجت زوجة الأمير، كان رداؤها الاحتفـالي أشـبه بأضـحوكة مما جعلنا نضحك بصوتٍ عالٍ. ولكنها كانت جميلة، لذا نظر النـاس إلى وجههـا فقـط وقلـيلًا من اهتم بما كانت ترتديه مثلنا".

كانت الأميرة "تشون مي" ترتدي بلوزة بيضاء وجيبة خضراء في ذلـك اليـوم. وقفـت أمـام النافذة وبدا شعرها مغسولًا وحيويًا ومفرودًا على خديها مثل قطعتـين مـن الـساتان الأسـود. وخلال بضعة أيام فقط، خسرت الكثير من وزنها، صار ذقنها أرفع وبرزت عيناها بشكل أكبر.

"أشعلت النيران بنفسي. يا للروعة حينما أمسكت النيران بالملابس! أعتقـد أن هـذا الرجـل لا بد أنه عاش لحظات رائعة حينما كان يمارس الرذيلة على جسد مغنية بيت الزهور قبـل أن يموت...".

شعر "جين إي آن" أن وجهه يحترق. لمح خادمات القصر خـارج الغرفـة يقفـن في الردهـة الخشبية، وبدت ظلالهن مثل الأشجار المتمايلـة الظـاهرة عـلى فرشـة النجيلـة الملتـصقة عـلى الأبواب والنوافذ. وقال:

- سمو الأميرة "تشون مي"...

جلست الأميرة "تشون مي" على الطاولة، وقالت وهي تسند ذقنها على يديها:

- المسؤول الاحتفالي احمرَّ وجهه.

- من فضلك لا تفعلي ذلك يا سمو الأميرة...

كانا قريبين من بعضهما البعض. رائحة زهور النخيل في شعرها تفوح بـشدة. قلبـه يخفـق ويتلوى محاولًا أن يقاوم رغبته في إدخال أصابعه في خصلات شعرها.

بدت نظرتها التي تنظرها بازدراء حينما كانت تتحدث مثل نظرات أولئك النسوة أيـضًا في بيوت الزهور حيثما يذهب إليهن الرجـال بغـرض المتعـة والغـزل معهـن. كـان صـوتها رقيقًـا وناعمًا، ونَفَسَها يداعب خديها كأطراف العشب. قالت له:

- تبدو مثل المرأة حينما تكون خجولًا.

شعر "جين إي آن" بشيء مـن الـضيق لأنـه جعـل نفـسه أضـحوكة. لم يفهـم لمـاذا تتمتـع بتسلية نفسها من خلال الإغواء لفترة طويلة.

سألته ببرود:

- هل ترى سموك أن موت الأمير على جسد مغنية الزهور شيئًا رائعًا؟

تغيَّر لون وجهها، وأسندت جسدها ببطء إلى الخلف وجلست معتدلة.

قال "جين إي آن":

- لا أعتقد أن سموكِ ستقولين ذلك إن كنتِ قد سمعتي الشائعات المنتشرة في المدينة.

أكمل "جين إي آن" وكأنه يتحدث عن شخصٍ لا علاقة له بالأميرة "تشون مي":

- لقد ذهب الأمير الذي كان سـيتزوجكِ إلى بيـت الزهـور بغـرض المتعـة. مـا الـذي كـان سيقوله الناس عن سموكِ؟ هل ما تزالين يا سمو الأميرة شخصًا طاهرًا وبريئًا وسـط كـل هـذه الشائعات الخبيثة؟ سموكِ أقل منزلة حتى من مغنية بيـت الزهـور تلـك. أراهنـكِ عـلى أنهـا مشهورة جدًا حتى الآن، والزبائن يأتون إليها في طوابير مـن العربـات. كيـف يمنـع أي شـخص نفسه من فضوله حيال امرأة فاقت شهرتها شهرة أمـيرة؟ كي أكـون صـادقًا، أنـا أيـضًا أريـد أن

أزورها. لذا كي نتحدث عن الروعة فكل ما يُقال عن مغنية بيت الزهور الآن يستحق بالفعل كلمة "رائعة".

عضت الأميرة "تشون مي" شفتيها بشدة لدرجة أن فمها بهت لونه.

- لماذا لا تذهبين لزيارتها؟

- كلما أفكر في الأمير الراحل، أصرف نظري عن الموضوع.

رفعت الأميرة "تشون مي" يدها وصفعت "جين إي آن" على وجهه قبل أن يرد وقالت:

- كيف تجرؤ على أن تكون وقحًا معي هكذا؟

قال "جين إي آن":

- عاتب نفسك قبل أن يعاتبك الآخرون.

رفعت الأميرة "تشون مي" يدها الأخرى وصفعته على الخد الآخر.

ابتسم "جين إي آن" وقال:

- رغم أن ما تقومين به يا سمو الأميرة يعتبر وقاحة، لكنه يليق بمكانة سموكِ أكثر من تفاهتكِ.

- هل قلت أنني تافهة؟

- نعم، أنتِ حقًا تافهة.

رفعت الأميرة "تشون مي" يدها مرة أخرى، تحرك شعرها أيضًا معها وتمايل وهي تقول:

- هل تجرؤ على أن تقول لي "أنتِ"؟!

- نعم.

تَسمَّرت يد الأميرة "تشون مي" في الهواء. احمر جفنيها وامتلأت عيناها بالدموع، تدريجيًا في البداية ثم بغزارة، حتى صارت قطرات كبيرة تتساقط بشدة على خديها مع "تنهيدة". حولت مسار يدها المرفوعة ومسحت عينيها بظهر يدها.

تدفق مزيد من الدموع من عينيها فتأثر قلبه ورق لها.

أعجب بها وهي تصل إلى حالة من الغضب، وأعجب بها أكثر عندما سقطت الدموع على وجهها. كانت فتاة على وشك الزواج، حساسة ورقيقة مثل زهر الخشخاش وتستحق الحب والرعاية. حاول جاهدًا ألا يُبعد الطاولة الموضوعة بينهما واحتضنها وهدأها.

11

لم يتمكن "جين إي آن" من النوم تلك الليلة. أضاء المصباح وأحرق قطعة من بخور كافور "لونج ناو"، وبعدئذ أخرج القطع واحدة تلو الأخرى من صندوق الشطرنج الأبيض وأعادهم إليها بعد أن مسحهم بعناية بقطعة من الحرير. لم يلحظ حتى أن "جين إي لين" كان واقفًا في الردهة الخشبية خارج غرفته.

وقف "جين إي لين" في ضوء المصباح، وقال:

- رأيت ضوء المصباح في غرفتك نافذًا إلى الخارج.

نهض "جين إي آن" سريعًا وقال:

- تعال وتفضل بالجلوس.

رفع "جين إي لين" الجزء الأسفل من ردائه وجلس ثم قال:

- احضر لي فنجانًا من الشاي. ولا تُصدر أي صوت وأنت تحضره.

شطف "جين إي آن" فناجين الشاي بسرعة وقام بغلي بعض المياه. صب أولًا الماء الساخن في الفنجان، ثم وضع قطعًا من الشاي مع ملعقة شاي. كانت المياه المغلية تصدر فقاقيع وتموج في الفناجين البيضاء المصنوعة من الخزف برسوم مزخرفة، عندما غُمس الشاي أخذت أوراقه القصيرة والطويلة تتفتح ببطء.

رفع "جين إي لين" الفنجان وأخذ رشفة ثم قال:

- هناك حاجب أُرسل من القصر. قُتلت مغنية بيت الزهور المفضلة لدى الأمير الراحل.

ثبت "جين إي آن" عينيه على الأرض والبراد في يديه.

قال "جين إي لين":

- أرسلت الأميرة "تشون مي" الحرس الذين يرتدون زيًا أسود باسم الملكة والتي فقدت الوعي من الخوف عندما أتوا إليها برأس مغنية بيت الزهور في صندوق خشبي. شعر الملك بالغضب وحبس الأميرة "تشون مي" في القصر.

ثم نظر لأخيه الأصغر وسأله:

- ما الذي قلته للأميرة "تشون مي" اليوم؟

لم يستطع "جين إي آن" أن يتفوه بكلمة واحدة.

- قالت خادمات القصر أنه بعد أن غادر المسؤول الاحتفالي، استدعت الأميرة الحرس الذين يرتدون زيًا أسود وهي غاضبة.

- ...

- من حسن الحظ أن الأمير استطاع تهدئة الأمور، ولكن...

بدت عينان "جين إي لين" متقدتين من الغضب، وصارت نبرة صوته صارمة وأكيمل:

- بصفتك المسؤول الاحتفالي ومسموح لك بدخول القصر الإمبراطوري، هل علينا أن نذكرك كيف تتحدث وتتصرف بحذر مع الآخرين؟

حني "جين إي آن" رأسه وقال:

- آسف...

تنهد "جين إي لين":

- ...آسف لأني سببت لك مشكلة بعدم حذري.

قال "جين إي لين" وهو ينظر لأخيه الأصغر بغضب:

- لا جدوى من أن تلوم نفسك على أي حال. لماذا تمسك هذا البراد؟

وضع "جين إي آن" البراد على النار.

قال "جين إي لين":

- لا بد ألا يحدث ذلك ثانية. من حسن الحظ أن الأميرة "تشون مي" هي روح قلب الملكة وعشقها الوحيد، لذا لن تصعب الملكة الأمور عليها.

- ...أنا أسف جدًا.

أنهى "جين إي لين" الشاي وتوجه إلى الراهبم الشرقي من البيت ثم قال:

- نم مبكرًا.

12

في الصباح التالي، اتجه "جين إي آن" إلى قصر "باي لي". لم ينل أي قسط من النوم طوال الليل وشعر أن رأسه ثقيلة. جلس على العربة، وانحنى على النافذة وغلبه النوم وسط صوت حوافر الحصان.

كانت الأميرة "تشون مي" تجلس في الردهة الخشبية تلف ذراعيها حول رجليها المثنيتين وأراحت رأسها على ركبتيها. كانت عيناها تتبع "جين إي آن" وهو يسير نحوها.

قالت وهي ترفع رأسها نحو "جين إي آن" وتبتسم بذهول:

- لقد رأيتها ليلة أمس. لقد وقفتْ بعيدًا في أخر سريري وحملقت في دون أن ترمش حتى بعينيها.

لم يرد عليها "جين إي آن". وجلس بجانبها. بحسب رؤيتهما، لم يرا أي خادمة. لا بد أنها جعلتهم ينصرفوا بوحي من غضبها.

- هل الأشباح موجودة حقًا؟

- بالطبع لا.

- ولكني رأيتها. كان وجهها مثل الرأس الموضوعة في الصندوق الخشبي.

أومأت الأميرة "تشون مي" برقبتها وقالت:

- هناك خط أحمر هنا، وكأنه ظهر عليها بعد أن قُطعت رأسها.

- كل ذلك محض خيال.

تضايقت الأميرة بعض الشيء ونظرت نحو "جين إي آن " بغضب وقالت:

- لا، ليس خيالًا. فأنا السبب في قتلها.

رد " جين إي آن " بشكل أكثر حزمًا:

- كل ذلك من وحي خيالكِ فقط. إن فكرتِ في الأمر جيدًا بالفعل، ستدركين أنـه لا يوجـد أي شيء.

بدا وجهها شاحبًا وعيناها محاطتين بالسواد، وقالت:

- لم أجرؤ من قبل على أن أخذ رد فعل.

أكملت وهي ما تزال تحتضن ركبتيها بذراعيها:

- كان من الممكن أن تمسك بي وتأخذني إلى عالم الموتى طالما جرؤت على أن آخذ رد فعل.

- لن تأخذك إلى أي مكان. أنتِ لم تقتليها.

- بلى، لقد قتلتها. وأنا من أمرت الحرس الذين يرتدون الزي الأسود بأن يقتلوها.

قال "جين إي آن":

- لا، ليس كذلك. بل أنا من تسببت في ذلك. لقد تهورتِ لأنني أثرت غضبك بما قلته لكِ.

نظرت الأميرة "تشون مي" نحو "جين إي آن" بثبات وقالت:

- كيف تجرؤ على الحديث معي بغير رسمية...

بعد ذلك لفترة طويلة، ابتسمت وتثاءبت وهي تضع يدها على فمها وقالت:

- تحدث معي بأي طريقة كما تريد.

ابتسم " جين إي آن ".

نظرا نحو شجرة الكركديه عند بوابة قصر "باي لي".

قال:

- ما السبب الذي جعلهم يزرعون شجرة كركديه في قصر "باي لي"؟

- ربما لأن كلمة "لي" كلمة شؤم. في الواقع أنا أحب ثمار الـ"لي" (الكمثرى)، فهي ثمار جميلة ورقيقة. وعندما تزهر تمامًا، تبدو الشجرة بأكملها رائعة مع سقوط الثلج والصقيع مثلها مثل الزهور على فروع الأشجار. أما زهور الكركديه فهي أيضًا بيضاء، ولكنها تبدو صغيرة جدًا وسميكة عندما تزهر تمامًا. يبدو أنها تتشبث جيدًا بأفرع الأشجار بشكل يائس. يا له من منظر جميل ومبهر جدًا وقت الغسق، ولكنه غالبًا ما يعطي الناس جوًا من الكآبة.

حملق "جين إي آن" في شجرة الكركديه، وأُعجب بالأميرة "تشون مي" بشدة وشعر بابتهاج. كان يتساءل عن سبب مهارتها غير العادية في الشطرنج والتي لا يمكن تفسيرها بأنها موهبة ربانية. فقد تجلى هدوؤها وسكونها وجديتها في اللعب بشدة بشكل أكبر من المعتاد. حينما أتى الأمير إلى مكتب "جين إي آن" كي يشرب الشاي، كانا أيضًا يلعبان الشطرنج كما اقترح لهما "جين إي لين". افتتح الأمير كلامه بشكلٍ جيد، من الواضح أنه ينفِّذ تعليمات من هو أعلى منه. ومع ذلك، لم يستطع أن يستمر في حيله أكثر من ذلك. إن فكر في اللعب مع الأميرة "تشون مي"، فلا بد أن يخسر في أقل من 50 نقلة. أما "جين إي آن" فقد استخدم بعض الحيل البسيطة معه وهزمه بعد مائتي نقلة فقط.

قالت الأميرة "تشون مي" وهي تتثاءب من وراء كُمِّها الذي تضعه على فمها وناظرة نحو "جين إي آن" والدموع في عينيها:

- أشعر حقًا بالنعاس. لا يمكنني أن أجرؤ على أن أغلق عينيَّ بعد حلول الظلام.

ربت "جين إي آن" على شعرها الناعم اللامع مثل الحرير وقال:

- اخلدي إلى النوم. وسأبقى هنا كي أحميكِ. إن جاءت، سأخبرها أنها أتت إلى الشخص الخطأ.

سألته الأميرة "تشون مي" بشيء من الجرأة:

- هل ستنقلها في عربتها إلى بيت عائلة "جين" لأجلك؟

- بالطبع.

قالت وهي تقف وتنظر نحو "جين إي آن" بتردد:

- إذن ستأتي إلى غرفتي وتبقى معي. لن تقدر عليها أبدًا إن بقيت هنا.

رفع "جين إي آن" وجهه كي ينظر إليها، ولكنها قد استدرات بالفعل ودخلت غرفتها.

جلس "جين إي آن" لبرهة ثم لحقها.

13

تمددت الأميرة "تشون مي"، ودون أن تنظر إليه، ربتت على السرير بجوارها مشيرة له ليمدد بجانبها. خلع "جين إي آن" حذاءه ومدد بجانبها. اقتربت منه وخبَّأت رأسها في صدره كالقطة، وضعت يدها على عنقه وأمسكت يده باليد الأخرى، تشابكت أصابعهما مع بعضهما البعض. لمست ذقنه رأسها، تفوح من شعرها رائحة زهر القصب العطري، شعر حينئذ أنه عالق في أعشاب.

دق قلب "جين إي آن" سريعًا، كان يشعر بصوت الدماء تسري في شرايينه وهو يشابك أصابعه مع أصابع الأميرة "تشون مي". كانت تهتاج أيضًا بشدة، جسدها يلتف بعنف. بقي "جين إي آن" ممددًا بلا حراك، متخيلًا نفسه مثل

قطعة شاسعة من حقل قطن أو ورقة خضراء كبيرة. بالتدريج، استراحت الأميرة "تـشون مـي"، صار جسدها أخف وأخف وكأنه يطير بعيدًا عنه من إثر خفته.

أرجع رأسه إلى الوراء ونظر للأسفل نحوها.

غاصت في نوم عميق.

شعر "جين إي آن" بالدهشة من هدوئه. شعر بكثير من الحنان بداخله لم يـشعر بـه مـن قبل، بدأ عقله يهدأ بالتدريج حتى صار هادئًا تمامًا وكأنه في مباراة شطرنج بنتيجة تعادل.

رأى المرأة، تقف قرب السرير، والخط الأحمر بارزًا على عنقها، تبتسم ابتسامة حقد.

شعر بالرعب لدرجة أنه تصبب عرقًا باردًا، نهض من السرير وثبًـا. كانـت الأمـيرة "تـشون مي" نائمة على صدره نومًا عميقًا، حينما نهض، احتضنته بشدة دون وعي.

نظر "جين إي آن" للأعلى. كانت النافذة مفتوحة قليلًا، ومن خلالها استطاع أن يرى جـزءًا من الفناء، رأى الأمير و" جين إي لين" ينظران نحوهما من النافذة.

اعتقد " جين إي لين" أن عينيه تخدعانه بالتأكيد لأنـه عنـدما نظـر مـرة أخـرى، لم يـر أي شخص عند النافذة. بل رأى فقط ذيل رداء أصفر لامع برز للحظة ثم اختفى.

لا بد أنه كان مخطئًا أو يحلم. لا بد أن كل ذلك من وحي خياله مثل المرأة الشبح، لم يمـر أي شخص من أمام النافذة. حاول "جين إي آن" أن يهدئ من روعـه ويقنـع نفـسه بـأن يظـل مركزًا على عدد رموش الأميرة "تشون مي".

حينما سار خارجًا من قصر "باي لي" في فترة الغسق، اقترب منه حارس عند البوابة وقال له بتملق:

- اعتقدت أن من المفترض أن يغادر المسؤول الاحتفالي مع الأمير ومفوض المراقبة.

ركب "جين إي آن" العربة صامتًا. بدأت العربة في السير. أحنى رأسه على نافذة العربة، صار عقله أكثر حيرة وارتباكًا بعدما اشتد الغروب.

14

وقف "جين إي لين" في الردهة الخشبية يراه وهو يسير خارجًا من البوابة.

انحنى قليلًا ثم قال:

- لقد عدت إلى المنزل.

كان يشعر بالقلق لأنه لا بد أن رائحته بدت سيئة، ولم يغامر بالاقتراب من أخيه الأكبر.

أجاب "جين إي لين" بلا مبالاة:

- آه.

بقيا صامتين لبعض الوقت.

- لا بد أنك تشعر بالتعب بعد أن قضيت يومًا طويلًا في القصر الإمبراطوري.

نظر "جين إي آن" نحو "جين إي لين" فقط ليرى وجه أخيه الأكبر الخالي من أي تعبير.

- خذ قسطًا من الراحة وتناول العشاء.

- حسنًا يا أخي الأكبر.

بينما كان يسير نحو الراهبم الغربي من البيت، شعر أن عيني "جين إي لين" تتبعانه من ورائه. لم يستطع أن يتلفت حوله، ولكن على عكس الصورة التي تولدت في ذهنه، رأى أخيه الأكبر يحملق في حذائه وهو يعطيه ظهره ويديه مشبوكتين وراء ظهره. كان "جين إي لين" طويلًا وقوي البنية، بدا مكتئبًا من منظر ظهره ورأسه الناظرة للأسفل، مشهد يصعب على الكلام وصفه. بينما كان "جين إي آن" يحملق بتفاهة لفترة طويلة، ثم التفت وغادر.

حينما عاد "جين إي آن" من غرفته، خلع رداءه، ودفن رأسه فيه وأخذ يشم بصعوبة محاولًا أن يدرك إن كان هذه الرائحة التي يشمها من وحي خياله أم رائحة حقيقية. رأى مرة أخرى في ذاكرته الأميرة "تشون مي" وهي نائمة على صدره رغم أن ذلك كان غير مناسب لتلك اللحظة، شعر حينئذ بنشوة جعلته يرتعش وكأن البرق قد أصابه.

15

لم يعلم متى استيقظت الأميرة "تشون مي" لأن باله كان مشغولًا بالأمير و"جين إي لين"، كان يتساءل لماذا جاءا فجأة إلى قصر "باي لي". من أجله؟ أم بسبب أنه تم الاتفاق على زواج " جين إي لين" والأميرة "تشون مي"؟ إن كان بسبب الاحتمال الثاني، فما الذي كان يفكر فيه "جين إي لين" عندما رآه مع الأميرة "تشون مي" معًا بهذا الوضع؟

- فيم تفكر؟

دُهش "جين إي آن" من عيني الأميرة "تشون مي" الجاحظتين.

- هل استيقظتِ؟

أومأت الأميرة "تشون مي" وهي تجلس وتحملق في "جين إي آن" الذي كان جالسًا أيضًا وقالت:

- نعم. تبدو غارقًا في التفكير، ما الذي تفكر فيه؟

شعر "جين إي آن" أن ذلك مضحك ومحزن في الوقت نفسه. بعد أن نامت الأميرة "تشون مي" ساعة، بدت أنها وضعت مخاوفها وراء ظهرها وعادت لطباعها الفضولية في كل شيء. صار وجهها مليئًا بالحيوية.

أكملت:

- في النساء؟

قال معتقدًا أنها تقصد المرأة التي أتت في حلمه:

- نعم.

- هل تفكر حقًا في النساء؟

- نعم.

صفعته الأميرة "تشون مي" على وجهه، واتسعت عيناها من الغضب وقالت:

- كيف تجرؤ على ذلك؟

أجابها:

- أنا أفكر فيكِ أنتِ.

شعرت الأميرة "تشون مي" بالدوار من إثر الدهشة وتغيرت تعبيرات وجهها سريعًا.

قالت وهي تتحدث بكبرياء الأميرة، ولكن وجهها صار متوردًا مثل التفاحة الناضجة:

- صرت وقحًا للغاية. تفكر فيّ؟ لماذا؟

لم يرد "جين إي آن" ولم يتحرك. كان يحاول أن يخرج من فوضي أفكاره مثل الثعبان، حاولت رغبته كذلك أن تهرب من جسده وتُلقي بنفسها على ذلك الجسد الناعم والدافئ والعَطِر.

سمع "جين إي آن" صوته الأجش وهو يقول:

- يجب أن أغادر.

لم تتكلم الأميرة "تشون مي".

حشرج حلقه وشعر بأنه جاف من شدة العطش.

- لمَ لا تغادر؟

كان تهديدها يبدو أشبه بتشجيع. ارتبكت تمامًا خوفًا من أن تقول أي كلام آخر يوحي بتهديد، تقدم "جين إي آن" نحوها حتى أصبح قريبًا منها ولامست شفتاه شفتيها. كان ملمس شفتيها ناعمًا مثل الزهور، ومختلفًا تمامًا حينما كانت تتحدث بطريقتها الفظة. فكَّر في قرارة نفسه أن الأميرة ربما تكون فظة عندما تتحدث، ولكنها تملك روحًا نقية نقاء الثلج.

كانت ترتدي جيبة ذا عدة طبقات من القماش، تحسس بيديه قليلًا قبل أن يصل إلى مبتغاه في النهاية. جلدها ناعم ورطب، شعر وكأن أصابعه تتحسس قطعة أخرى من قماش الساتان.

16

لم يرغب "جين إي آن" في تناول العشاء مع "جين إي لين"، لكنه لم يجد أي عذر مقبول. حينما اتجه إلى غرفة العشاء بعد أن أخذ حمامًا وغير ملابسه، كان "جين إي لين" جالسًا بالفعل بالقرب من المائدة.

قال "جين إي آن" وهو يجلس:

- آسف على التأخير.

أومأ "جين إي لين" للخادم لصب الخمر في كأسيهما وقال:

- دعنا نشرب نخبًا.

لم يستطع "جين إي آن" أن يتحمَّل شرب الكثير من الخمر مثل "جين إي لين" الذي اعتاد أن يسكر مع والدهما حينما كان يتجول معه.

ملأ الخادم كأسيهما.

رفع "جين إي لين" كأسه وشربه كله دفعة واحدة قائلًا:

- بصحتك.

اضطر "جين إي آن" أن يرد عليه وقال:

- بصحتك.

ملأ الخادم الكأسين مرة أخرى.

بعد أن شرب "جين إي آن" ثلاثة كؤوس، شعر بخفة جسده وتقلبات في معدته.

أشار لـ"جين إي لين" قائلًا:

- لا يمكنني أن أتحمل أكثر من ذلك، لا يمكنني أن أشرب المزيد.

ابتسم "جين إي لين" ورفع كأسه مرة أخرى وقال:

- بلى، يمكنك. من قال أنك لا يمكنك أن تشرب الخمر؟

أدرك "جين إي آن" في النهاية أنه عليه أن يشرب المزيد حتى يسكر، فاضطر أن يرفع كأسه. عندما غطى وجهه بكُمِّه من إثر السكر، أراد أن يسكب ما في كأسه، ولكن الفكرة طرأت في باله لحظة فقط ونسيها بعدئذ، فشرب ثلاثة كؤوس من الخمر. قال "جين إي لين" للخادم بأن يتركهما وحدهما في غرفة العشاء، كان يوجد بالغرفة خمسة من الفراش المطرزة المنتشرة في أرجائها. عندما هدأ الجو في الغرفة فجأة، استفاق "جين إي آن" قليلًا.

قال "جين إي لين":

- ذهبت إلى القصر الإمبراطوري كي أرى الملكة، وأتحدث معها بشأن زواجي أنا والأميرة "تشون مي".

أيقظ كلام "جين إي لين" "جين إي آن" وكأن شخصًا ما صب بعض المياه الباردة على رأسه.

- سأكون زوجها الجديد.

قال "جين إي آن":

- ستكون الأميرة "تشون مي" سعيدة بالزواج منك. لقد أُعجبت بك لوقت طويل.

نظر "جين إي لين" إليه شاعرًا بأنه يكذب عليه.

قال "جين إي آن":

- لقد أخبرتني بنفسها في أول مرة ذهبت فيها إلى قصر "الكمثرى البيضاء".

اضطر أن يُكمِل عندما رأى "جين إي لين" مثبتًا عينيه عليه فقال:

- أخبرتني أنها جعلتني أبقى في منصب المدير الاحتفالي لها لأني بدوت مثلك يا أخي الأكبر. وتمنت أيضًا لو تقم بزيارتها في قصر "باي لي".

ابتسم "جين إي لين" بازدراء وقال:

- حقًا؟ لماذا لم تخبرني بذلك من قبل؟

- في ذلك الوقت، كان الأمير الإمبراطوري الراحل أعني ابن رئيس الوزراء السابق خاطبًا الأميرة "تشون مي" والتي - برغم مكانتها - لا يمكنها أن تقوم بما تشاء.

قال "جين إي لين":

- أنت محق. لا يمكن لأي شخص أن يتصرف كما يشاء في كل شيء. سواء الأمير أم الأميرة "تشون مي" أم أنا أم أنت.

شعر "جين إي آن" بالخوف، وتذكر فجأة عهده بالإخلاص لحبه حينما كان عاشقًا لراقصة بيت الزهور حيث تعاهدا على أنه في حال صار أحد منهما غير مخلص، فيتوجب عليه أو عليها "أن يموت غارقًا في دمه أو أن يبتلع ألف إبرة". في تلك اللحظة، شعر بأنه يريد بشدة أن يحدث ذلك له!

قال "جين إي لين":

- لا بد أنك فوجئت اليوم في قصر "باي لي". لقد فاجأتني أيضًا. فلم أعتقد أبدًا أنك قريب من الأميرة "تشون مي" هكذا.

قريب؟ شعر "جين إي آن" بغصة في قلبه. رغم تلك الحميمية، ما زال غير متأكد كيف تعتبره الأميرة "تشون مي" بالنسبة لها. لقد أُعجبت بـ"جين إي لين" ولكنها لم تعجب به وحده. كيف ترى "جين إي آن"؟ بديلًا لـ"جين إي لين".

سأل "جين إي آن":

- هل تعتقد أن الأشباح موجودة بالفعل في عالمنا؟

نظر "جين إي لين" نحو "جين إي آن" بارتباك وقال:

- الأشباح؟!

قال "جين إي آن":

- تلك مغنية بيت الزهور المقتولة، كانت عشيقة ابن رئيس الوزراء الراحل. أخبرتني الأميرة "تشون مي" أنها لا تستطيع أن تنام للحظة في الليل، وتحلم بمغنية بيت الزهور وهي تحملق فيها واقفة بجانب السرير.

- ذلك من وحي خيالها فقط.

- قلت لها ذلك أيضًا. ولكني حلمت بتلك المرأة، كان هناك خط أحمر على رقبتها وكأنه من إثر قطع رأسها مثلما وصفت الأميرة "تشون مي" بالضبط.

ضحك "جين إي لين" وقال:

- هراء!

نظر "جين إي آن" لأخيه الأكبر وقال:

- هراء، لكنه حدث بالفعل. لقد استيقظت مرعوبًا ورأيتك أنت والأمير.

ظل "جين إي لين" صامتًا.

- لا أؤمن بوجود الأشباح. فقط من لهم ضمير مستيقظ يستطيعون رؤية الأشباح.

ابتسم "جين إي لين" وأكمل:

- لا داعٍ للحديث في هذا الأمر أكثر من ذلك. دعنا نسكر.

أفرغ "جين إي آن" كأسه، شعر بسخونية بالأسفل في معدته.

17

حلَّ موسم المطر.

ما بين أواخر الصيف وأوائل الخريف، اكتفت الأرض من الطاقة المستمدة من شمس الصيف الحارقة حيث كانت تشع حرارة شديدة. امتزجت الأمطار الغزيرة مع الرياح العنيفة في ذلك الموسم مصدرة صوتًا مفزعًا حيث تسقط قطرات المطر فوق الصخور الطبيعية على الأرض. كان هناك برد قاتم وسط رطوبة المطر. تراكمت أوراق شجر البامبو التي تسقط مع كل موسم مطر بكثرة على الأرض. في الوقت نفسه، نمت نباتات جديدة كثيرة من جذورها مثل ألسنة اللهب المتصاعدة في الرياح.

شعر "جين إي آن" أيضًا أنه مثل عود البامبو، قلبه فارغ، ولكن أفكاره كانت تتوالى عليه بلهفة أكثر من نمو أشجار البامبو، كان يعاني من قلة تركيز.

أرسلت الأميرة "تشون مي" الحراس للبحث عنه عدة مرات، ولكنه تجاهل الجميع بحجة أنه أصيب بالبرد.

لم يرغب في رؤيتها، لم يجرؤ على ذلك. كان يشعر في قرارة نفسه أنه يريد أن يُبدي اعتذاره لأخيه الأكبر برفضه مقابلة الأميرة "تشون مي". وفي كل مرة يأتي فيها الحراس ويغادرون كان يفكر في "جين إي لين" الذي كان يأتي ويخرج من القصر الإمبراطوري كما شاء وكأنه قصره الخاص فمن المؤكد أنه سيعلم إلى أين يذهب الحراس. ومع ذلك لم يبدُ أي تعبير على وجهه، ونادرًا ما كان يتناول الطعام في البيت ولا يعود إلا في وقت متأخر.

كان هناك نهـر في بيـت عائلـة "جـين" حيـثما يقـيم "جـين إي آن" و"جـين إي لـين" عـلى الضفتين المتقابلتين.

كان "جين إي آن" يُفضِّل نزول المطر في ذلك الوقت.

فلا يصير الفناء فارغًا.

18

سارت الأيام بوتيرة بطيئة. حينما ظهرت الأميرة "تشون مي" أمام "جـين إي آن" في إحـدى الأمسيات، اعتقد أنه كان يحلم.

أرشد خادمان الأميرة بمكان "جين إي آن"، انحنيا أمامه ثم غادرا، فـأدرك "جـين إي آن" أن نظرتهما المريبتين توحي بمدى غرابة الظروف.

قالت بوجه حزين:

- قال العديد من الناس أنك مصاب ببرد شديد وأنك الآن على حافة الموت. لم أصدق ذلك إلا عندما أراك بنفسي.

شعر "جين إي آن" أن ساقيه ضعيفتان جدًا لدرجة أنه بالكاد يقف وقال:

- كيف... خرجتِ من القصر؟

قالت وهي تخلع عباءتها:

- طلبت من "جين إي لين" أن يُخرجني. اعتقد الخدم في بيتك بالخطـأ أنـنـي سـمو الأمـير. هل أشبهه؟

شعر "جين إي آن" أن قلبه مثل بيضة كُسرت على حجرة وسقطت في كوب عصير فلطخ العصير كل ما حوله. نظر إلى الملابس الرجالي التي ترتديها من الأعلى إلى الأسفل، لم يعلم حينئذ هل عليه أن يبكي أم يضحك. غضبت الأميرة "تشون مي" عندما رأت "جين إي آن" صامتًا وقالت:

- لماذا تحملق في هكذا؟ هل أنت مريض حقًا؟ لماذا تبدو غريبًا بهذا الشكل؟

تنهد "جين إي آن" فنهض ودعاها للدخول وقال:

- تفضلي بالدخول، فلنشرب الشاي.

بدت غير مسرورة، ولكن حينما دخلت الغرفة وتجولت فيها، تهلل وجهها وقالت:

- غرفتك تبدو مثل غرفة راهب بوذي.

ظل "جين إي آن" صامتًا.

تنهدت "تشون مي" وقالت:

- يقولون أن هناك حرب قادمة، فقوات مملكة "تشينج" ستتجمع قرب الحدود. والدي الملك ليس بخير، والذعر في كل مكان في القصر. على أمي الملكة أن تكون مسؤولة عن كل شيء.

- ...

تساءلت "تشون مي":

- لماذا لا تقول أي شيء؟ هل تدرك كم العناء الذي تكبدته كي أخرج من القصر؟

- لقد سمعت أنكِ ستتزوجين من أخي الأكبر؟

قالت الأميرة "تشون مي" وهي تنظر نحو "جين إي آن" ووجهها يتوهج تدريجيًا:

- كان عليَّ أن أخمن ذلك. أين أُصبت بالبرد؟

- يجب أن أهنئكِ لأنكِ كنتِ معجبة طوال الوقت بأخي الكبير.

قالت الأميرة "تشون مي" بغضب وشاعرة بالاستياء:

- أنا فعلًا معجبة به، ولكني معجبة بك أيضًا. أريد أن أبقى معكما أنتما الاثنين، مع "جين إي لين" وأنت "جين إي آن".

لم يرد "جين إي آن".

- افترضت أنك ستلومني مرة أخرى لتفاهتي.

قال "جين إي آن" متنهدًا:

- أنتِ تافهة.

حملقت الأميرة "تشون مي" فيه بغضب وخزي. مد يديه لها ولكنها دفعته بعيدًا. مد يديه لها مرة أخرى وأبعدتها مرة أخرى.

قالت وعينيها مستديرتين:

- أليست الفتيات التافهات مثيرات للاشمئزاز؟

قال "جين إي آن":

- أنا أكرهك فعلًا حينما تكونين تافهة. أنت متقلبة المزاج وكذلك خطيبة أخي الأكبر. وأنا حقًا لا أعلم كيف أبقى على علاقة بكِ أكثر من ذلك.

ابيضَّ وجه الأميرة "تشون مي" ونهضت فجأة وتوجهت نحو الباب.

لم يعلم "جين إي آن" ما الذي كان يفعله، مد يده كي يوقفها، جذبها نحوه، فقدت توازنها وسقطت بين ذراعيه.

شعر باضطراب بالغ، لم يستطع "جين إي آن" أن يعثر على الأربطة الموجودة مع ثياب الأميرة "تشون مي" ومزَّق قطعة من ملابسها الداخلية.

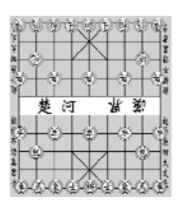
صاحت. كان جسد "جـين إي آن" يـرتعش بأكمله وكـأن هنـاك نهـر بداخلـه فجَّـر الخزانـات والسدود وأدى إلى حدوث فيضان... بينما كان يفترس جسد الأميرة "تشون مـي"، تـذكر فجـأة "جين إي لين".

قال لنفسه:

- مصيرك العقاب في أحد الأيام.

في اليوم التالي قبل أن يستيقظ الخدم، حزم "جين إي آن" بعـضًا مـن أمتعتـه وهـرب مـن البيت. كان الجو باردًا وغائمًا. انتظر لوقت طويـل حتـى اسـتطاع تـأجير عربـة. سـافر في يـوم ونصف في العربة، وأمضي نصف يوم آخر في صعود الجبال. حينما وصل في النهاية عنـد معبـد "لي سو"، تنفس الصعداء. أخذ يتجول هناك، ورأى الشمس الغاربة عمودية في الاتجاه الغـربي مثل رداء متألق.

عالم البشر الكبير! أُغرقت عينا "جين إي آن" بالدموع.



19

كان السيد "شوي شين" نحيفًا ولكنه رجل عجوز لطيف. كان يرتدي زي كاهن ناصع البياض نظيفًا، ويضع ورقة على المنضدة بعد تناول الغداء كل يوم، ويذاكر ويعلّم على كتيبات الشطرنج، مثل الجمبري برأسه وجسده الملتويان. وعلى الرغم من أن "جين إي آن" كانت نفسيته سيئة، لم يستطع أن يمنع نفسه من الابتسامة حينما رأى ذلك المنظر. قد كان ظل في المعبد قرابة شهر ولكنه لم يلعب الشطرنج من قبل مع السيد "شوي شين".

شعر "جين إي آن" بنفاد صبر، كان يسأل السيد "شوي شين" عدة مرات عن موعد المباراة بينهما فيجيبه دائمًا بابتسامة قائلًا: "يمكننا أن ننتظر".

كان كل شيء في السيد "شوي شين" ينم عن كبر سنه باستثناء عينيه اللتان توحيان بأنهما عيني شاب حيث كانتا بارزتين وحادتين ومليئتين بالحيوية. شعر "جين إي آن" أن السيد رآه في لمحة بصر فقط.

في فناء معبد "لي سو"، كانت هناك شجيرة نادرة جدًا من زهرة الكركديه الصينية التي يُقال أن عمرها أكثر من ثلاثمائة عام. رغم أنها كانت تزهر، كان "جين إي آن" يعتقد – في ذلك الوقت في الغسق - أن رؤية الزهور الحمراء تتساقط مثل قطرات الدم في ذلك الوقت في فصل الصيف شيئًا كئيبًا للغاية.

20

وصلت أنباء اشتعال الحرب إلى معبد "لي سو" بعد وقت طويل.

مرت فترة أخرى كبيرة قبل أن يظهر الحرس ذو الزي الأسود فجأة القادمين من القصر الإمبراطوري في معبد "لي سو" وكأنها قوات أتت من السماء.

تبعهم "جين إي آن"، لم يخبره أحد كيف عثروا عليه أو أي شيء عن الحرب. كان الحرس حذرين تمامًا في كلامهم.

لاحقًا، بدأ "جين إي آن" يسمع بعض التفاصيل.

بالنسبة للحرب القادمة، كان مفوض المراقبة "جين إي لين" أول ممثل في حلفاء الحرب وأصعبهم. كان بإمكان "جين إي آن" أن يرى في خياله تأثير أخيه الكبير حينما كان يقاتل بشجاعة، ومذللًا كل العقبات برمحه وسيفه، وكان عليه زيارة العديد من الموظفين الرسميين والعساكر فيزيدهم حماسًا شديدًا بكلامه.

أخذ ينهال على موظفي البلاط والعساكر بالأسئلة كالصواريخ وكأنه يحاول أن يقرر مَن يختار من بينهم مَن يملك الشجاعة ليبدأ القتال قائلًا:

- هناك سؤالان لا يمكن أن نتجاهلهما: لماذا نحارب؟ وما هو أكثر كارثية من الهزيمة؟ فالهزيمة ليست بشيء يستحق أن نخجل منه، الهزيمة من دون معركة هي العار الأكبر.

زعم أنه سيضحي من أجل الشعب ويعين نفسه ضابطًا وليس مفوض مراقبة.

أدهش سلوكه العديد من الناس: لماذا يُعرِّض نفسه لعواقب وخيمة وقد أصبح الأمير الجديد؟

كي يُرضي الملك؟ ذلك ما كان يخمنه الناس.

بينما كان "جين إي لين" يقوم بكل ما في وسعه ليحافظ على الوحدة الوطنية للشعب، كان الأمير يتصرف بطريقة غير عادية، كان وجهه أبيض كالشمع ورأسه تتلفت يمينًا ويسارًا نحو "جين إي لين" وكأنه يحاول أن يمسك بكل كلمة يقولها زوج أخته المستقبلي مثل الحمامة التي تلتقط طعامها. وبعدئذ دُهش بشدة حينما طلب من الملك لاحقًا بأن يأذن له بالإشراف على المعركة وأن يكون في مقدمة صفوفها ويرفع المعنويات.

سمع "جين إي آن" أيضًا في تلك الفترة أن منزل عائلة "جين" بدأ يتوافد عليه الكثير من الناس والعربات والجياد. اجتمع هناك كل السياسيين وكانت أصواتهم العالية غالبًا ما تصل إلى خارج البيت بفعل الرياح.

كان الأمير يأتي إلى بيت عائلة "جين" كل ليلة تقريبًا، واتجه العديد من الموظفين الرسميين إلى دعم "جين إي لين" على حسابه. أخبره رئيس الخدم أن الموظفين والعساكر يترددون دائمًا بهذه العيون المتحمسة والمناقشات المهمة لدرجة أنه شعر بأن ما هو على وشك الحدوث ليس حربًا فقط ولكنه احتفال كبير غير مسبوق.

استمر ازدياد الوفود، وأقنع حلفاء الحرب في النهاية الملك بأن يقاتل ضد غزو مملكة "تشينج"، ومُنح "جين إي لين" لقب مفوض القيادة العسكرية. ظل "جين إي آن" يسمع المزيد عن "جين إي لين" ومدى شجاعته وعظمته من مختلف آراء الناس المتحمسين.

سمع "جين إي آن" أيضًا أن قرابة نصف الجند كانوا معينين جدد، واتبعوا القوات الرسمية في المقدمة قبل أن يتعلموا خلال نصف شهر استخدام الأسلحة مثلما يستخدمون أدوات الزراعة.

21

انتهت الحرب بالهزيمة، وبشكل أكثر مأساوية من المتوقع.

بعد مهرجان منتصف الخريف بفترة قصيرة، نُقل "جين إي لين" عائدًا إلى "سيول" في جزيرة "جيانج خوا".

عندما عاد "جين إي آن" إلى المنزل مع الحرس ذي الزي الأسود، أُخبر بأن الرجل المغطى بالقماش الأبيض على المحفة هو "جين إي لين". اتجهت كل الأنظار نحوه، كانوا ينتظرون رد فعله. امتلك "جين إي آن" الشجاعة الكافية ورفع القماش الأبيض. هدأت الأصوات، بعدئذ منهم من صرخ، ومنهم من أمسكوا ببعضهم البعض، ومنهم من اختل وتقيأ، ومنهم من فرَّ. وقف الحرس ذو الزي الأسود فقط كما اعتادوا دون أي تعبير على وجوههم.

لم تعد هناك أي ملامح لجثة "جين إي لين". بعبارة أخرى، صارت الجثة محروقة تمامًا.

كان "جين إي آن" يأمل حينئذ لو بإمكانه أن يصرخ أو يتقيأ أو يمسك بشخص آخر أو يفر من المنظر ببساطة مثلما فعل الآخرون. رغم أن جسده كان يرتعش بالكامل، بدا واضحًا له بشكل أكبر أنه لا يمكنه الفرار وأن من واجبه البقاء هنا.

رغم أن مظهر "جين إي لين" لم يعد كما كان، لم يتغير شخصه حتى الموت. أنـذرتهم جثتـه الراقدة أمامهم بأن الحرب والموت صارا فجأة على مقربة منهم قادمًـا مـن عـلى بعـد، وصـارا أمرًا حقيقيًا وكبيرًا. سمع "جين إي آن" الصياح والتنهدات مثل المطر الذي يسقط من حوله.

بقي هناك مثل الرهينة، لم يأتي الأمير مع جثة "جين إي لين" حيث احتجـز في "إي جـوان" في "شن يانج" مع بعض الأعضاء الآخرين من حاشيته. وفي كل فترة من ثلاثة إلى خمـسة أيـام، يتم إرسال مبعوثين لزيارة الأمير ويعودون برسالة مقلقة.

بدأت الأمور تضطرب بشدة في القصر الإمبراطوري، قبلت الإمبراطـورة كـل الـشروط التـي اقترحها حكام مملكة "تشينج" بالتفاوض السلمي بإطلاق سراح الأمـير بـأسرع مـا يمكـن. كـما عينت قريبها المستشار الجديد. وفي اليوم الثاني من تعيينه، أتى إلى بيت عائلة "جـين" لتقـديم التعازي لأخ المتوفي وهو يرتدي زيه الرسمي الجديد.

22

كانت زيارة رئيس الوزراء الجديد إلى بيت عائلة "جين" قد أعادت الوفود إليه مرة أخـرى بعد عدة أيام من الصمت الذي حل عليه. تدفق الناس إلى مكان العزاء لتقديم التعازي، كانوا جميعًا يبدو عليهم إمارات الاحترام والرزانة على العكس تمامًا مـما كـانوا يبـدوه مـن عاطفـة وحماسة متقدة قبل الحرب. ما عدا مجموعة ممن كانوا يرتدون الملابس الحريريـة الرسـمية، بدت الغرفة هادئة تمامًا لدرجة يمكن سماع رنة الإبرة على الأرض.

أخذ الناس يواسون "جين إي آن" قائلين: "تعازينا لخسارتك الكبيرة".

كان "جين إي آن" ينحني لهم متذكرًا تعبير وجه "جين إي لين" في عزاء والديهما، وتعجب من أنه يبدو متواضعًا ومهذبًا مثل أخيه الأكبر حينئذ رغم أنه كان واثقًا تمامًا من إخلاصه التام له، ويرد عليهم قائلًا: "شكرًا!". مع ذلك، ما يزال غير قادر تمامًا على أن يتطبع بطباعه الحالية لأنه كان غير قادر على أن يصدق أن ذلك الجسد المحروق من نار المدفع هو "جين إي لين".

ها هو "جين إي لين" بمهاراته القتالية، مغطى بكفن، مثل سيف قيِّم أعيد إلى صندوقه، بعث ذلك المنظر على قلة من الناس بالسكينة حيث كانت مشاعر الحزن التي يظهرونها بسبب موته ربما لم تكن صادقة تمامًا.

كرم الملك "جين إي لين" بعد وفاته اعترافًا بتضحيته من أجل البلاد. جاء أيضًا موظفي البلاط الذين لم يأتوا إلى بيت عائلة "جين" من قبل لتقديم تعازيهم.

بعد شهر من الحداد، دُفنت جثة "جين إي لين" في اليوم المحدد. بُني قبره وراء قبور والديه، كان قبره أكبر حجمًا وفخامة عن قبور والديه لاختلاف مكانتهما في المناصب.

بعد الجنازة، جلس "جين إي آن" وحده في المقابر التي كانت مصممة على شكل مثلث مستقيم، قبرين أمام كل قبر. رغم أنه أخذ يفكر مليًا، لم يعد يستطيع التفكير في المكان الصحيح لقبره في المستقبل.

حل الظلام قبل عودته إلى بيته، بدا البيت مظلمًا مثل وحش عملاق يتنفس. تجول "جين إي آن" في الراهبم الشرقي من الفناء مروراً بالردهة الخشبية. عندما نظر هناك نحو المكتب من النافذة المفتوحة، بعث المنظر على الفور برعشات باردة في جسده: أليس الشخص الذي كان يشرب الشاي هنا والذي كان مغطى بكفن أبيض هو "جين إي لين"؟

ضغط على نفسه عدة مرات قبل أن يفتح الباب المنزلق بيديه المرتعشتين، مندهشًا، فلم يعد هناك أحد. شاهد مجموعة من نبات الأقحوان الأبيض الذي

نما تمامًا بأزهاره الكبيرة في أواخر الخريف. اتجه إليها وقطف بعضًا منها ووضعها تحت أنفه. لكنه لم يشم أي رائحة، ولا حتي أي نوع من اللذع مثل لذع نبات البعيثران الصيني.

أخذ زهور الأقحوان إلى غرفته ووضعها في فازة. ثم أشعل بعض القطع من البخور الصينية وذهب للنوم. حينما نهض بعد وقت طويل واقترب من مكان البخور المحترقة، استنشقها بشدة، ولكنه لم يستطع أن يشم أي شيء. وفي تلك اللحظة، أدرك أنه فقد حاسة الشم.

23

أخذ الأمراء يمتطون جيادهم الكبيرة ويتواصلون دائمًا مع الموظفين المدنيين والعساكر. استقبل "جين إي آن" أيضًا اثنين منهما. كان كلاهما وسيمًا ومتواضعًا وحذرًا، وكان كلاهما شاعرًا بالقلق من أن طموحاتهما صارت مؤجلة ويخشيان من أن مخططاتهم صارت غير واضحة الملامح.

أراد "جين إي آن" أن يسألهما عن الأميرة "تشون مي"، ولكنه كان يمنع الكلام من أن يخرج من فمه عدة مرات. لا بد أنها تمر بوقت صعب قد تزوجت اثنين ماتا في فترة قصيرة. تذكرها وهي تقف في الردهة الخشبية وهي تراقبه وهو يغادر "باي لي" في المرة الأولى وهو منبهر تقريبًا بالقصر الكبير ذي الأسطح التي تشبه الأجنحة.

رغم أن الملك كان ما يزال على قيد الحياة، صار ضعيفًا ونحيلًا لدرجة أنه لم يعد قادرًا على إدارة البلاط. اهتمت الملكة بشؤون البلاط من وراء الستار دون أن يعلم أحد، كانت تعبيرات وجه الأمراء تنم عن مكر بينما أخذ الموظفون والعساكر يفكرون في القلق البالغ الذي يشعرون به ومخاوفهم.

بعد مهرجان منتصف الخريف بفترة قصيرة، عين "جين إي آن" فجـأة في منـصب مفـوض المراقبة. حينما انحنى كي يشكر الملك على ما أسبغه عليه، سمع همسات تزداد من حوله مثل الأمواج. حوله. وبينما كان يتسلم الختم الرسمي وقبعة ورداء وحذاء، كان قلبه مسرورًا جـدًا، ماذا يعني الزي الرسمي الأحمر المائل إلى البنفسج غير أنه رسالة مضمونها دعـوة مـن الأمـيرة "تشون مي"؟

في الليلة نفسها، أقام رئيس الوزراء مأدبة للمـوظفين الرسـميين الـذين تـم تعيينـهم للتـو وتحملوا كامل المسؤولية على عاتقهم. لكنه خـلال الحفـل، دخـل رئـيس الـوزراء في أحاديـث ودية معهم بدلًا من الحديث بشأن شؤون الدولة مفصحًا عن نيته في إقامة تحـالف أولًا قبـل أي أمور أخري، وحينما تم ذكر اسم "جين إي آن"، تنهد قائلًا:

- إنه حقًا شخص مهم.

رغم أنه شعر بالاضطراب من كلمات رئيس الوزراء الكبير فـإن "جـين إي آن" أومـأ برأسـه بالموافقة.

أوقف الحصان على الطريق الأزرق الصخري. كان الليل قد حل حينما عاد مـرة أخـرى إلى بيت عائلة "جين". أخذ "جين إي آن" يشرب بعضًا من الخمر وشعر بدوار. كان الحديث الذي تبادله مع رئيس الوزراء على طاولة العشاء بدا أنه تحول في ضوء القمر وانعكس عـلى الأرض، وهناك جملة واحدة ترددت في ذهنه وهي: "إنه حقًا شخص مهم".

حينما خرج "جين إي آن" من عربته بمساعدة أيدي كبير الخـدم الـذي كـان ينتظـره عنـد بوابة بيت عائلة "جين"، لم يسعه إلا أن يسأله:

- لماذا يداك باردتان هكذا؟

همس كبير الخدم في أذنيه:

- هناك ضيف مهم.

صُدم "جين إي آن" واستفاق من سكره. نظر حوله، رأى بالفعل عربة متوقفة عند السور.

قال كبير الخدم وهو يسير في المقدمة:

- في القسم الشرقي في الفناء.

سار"جين إي آن" وراء كبير الخدم بخطى متسارعة، شعر بطاقة داخله تـزداد وتمـلأه مثـل الألعاب النارية عندما تنفجر.

بدا كبير الخدم عاقلًا بالشكل الكافي كي يتوقف بالقرب من بوابة القسم الشرقي، وقال:

- سأنتظر أوامرك هنا.

أومأ "كيم يي-اهن"، وراقبه وهو يلتفـت كي يغـادر، ثـم جـرى نحـو الغرفـة التـي كانـت مضاءة ونادى:

- الأميرة "شون-مي"...

كان الأمير يجلس في المكتب. وقد سبق له خبرة في الحرب، صار وجهه بني اللون، وهو مـا أضفى عليه بعض العاطفة التي كانت معدومة عنده. عندما سـمع صـوت "كـيم يـي-اهـن"، تلفت حوله، ونظر للشخص الواقـف أمامـه مـن رأسـه إلى أصـابع قدميـه، وفي النهايـة، سـدد نظراته نحو زي "كيم يي-اهن" الرسمي الجديد.

لم يتحرك "كيم يي-اهن"، حيث أن زيـه الأحمـر الممـزوج بالبنفـسجي كـان يحيطـه مثـل مجموعة من ألسنة اللـهب.

خاتمة

1



كنت دومًا فتاة مسترجلة. فبدلًا من الثرثرة مثل الفتيات الأخريات في المواقف الصعبة، كنت ألجأ إلى تسديد اللكمات مثل الصبية. ما زلت أتذكر جيدًا مشادتين تعرضت لهما في فترة طفولتي. كانت الأولى مع فتاة من الجيران وأخيها الأصغر والذي كان مسلحًا بالعصا وفُرَش مسح الأرضية، اندفعا كلاهما نحوي كما يفعل الجند في الأفلام مع الأعداء. تقهقرت إلى الخلف. وفجأة، شعرت باليأس لاصطدامي بالجدار الصخري من خلفي، وأدركت أنه لا يوجد أي مكان أتقهقر إليه. كانت تلك أسوأ مرة شعرت فيها بالخوف في فترة طفولتي كلها. في تلك اللحظة اليائسة، أمسكت عمودًا حاملًا لقفتين ووجهته إليهما، ونتيجة لذلك ركلت دلوين مياه فارغين. لم يخف الأخوان من أنهما قد ضُربا بقدر ما خافا من نظراتي في ذلك الوقت. ومع ذلك فانتصاري عليهما لم يجعلني أشعر بالفرح مطلقًا. حينما سرت بعيدًا عنهما في ذلك اليوم، شعرت بذاك النوع من الراحة التي تنتاب المرء بعد فراره من كارثة مؤكدة.

كان العراك الآخر مع فتى في فصلي حينما كنت في الصف الخامس. تحدثنا بحدة في المرة الأولي، كان ذلك يشبه الهدوء الذي يسبق العاصفة. حينما اندفع نحوي من علي بُعد عشرة طاولات، تخيلت نفسي متوحشة، أواجه هجمة مميتة

من وحش جارح. كان السبب الذي جعله يغضب مني هو أنني أثرت بلبلة بأن والده على علاقة غير شرعية بسيدة أخرى، وكنتيجة لذلك لم يشأ زوجها بأن يقتل والده بالفعل بل ضربه 17 ضربة بالسكين. كان ذلك أيضًا أمر مسيء وموجع للفتى ولم يسعه أن يُجلب له العار. كنت قد أسأت إلى سمعته لأنه أساء هو بدوره إليَّ أولًا وأطلق عليَّ لقب "جاو لي".

وللسبب نفسه، لوَّحت مهددة بحامل القفتين لأضايق الفتاة وأخيها عند الجيران.

"جاو لي!"

حينما كنت فتاة، كرهت هذين المقطعين كثيرًا ولم أحتمل أي شخص ينطقهما في وجهي، كان ذلك وكأن شخصًا ما قد بصق علانية في وجهي. اعتاد أبي وأمي أن يقلقا بشأني بسبب عراكي مع الأطفال الآخرين كما لو كنت صبي مشاغب. رغم أنني لم أكن أبدًا قوية البنية، كان يمكنني أن أضرب أطفالًا أقوى مني وأرسلهم ليشكوا إلى أبي وأمي من الضربات والكدمات التي أصبتهم بها.

في ذلك الوقت لم أكلف نفسي عناء فهم المعنى الحقيقي لمقطعي كلمة "جاو لي". كل ما علمته هو أن تلك الكلمة "جاو لي" تُطلق كنوع من اللوم عليَّ بسبب ذلك النوع من الاختلاف بيني وبين الأطفال الآخرين. فالناس دومًا ما يضيفون هذه الكلمة في نهاية وصفهم لي، وحتى الأسوأ من ذلك أنهم لا يُطلقوا سوى تلك الكلمة فقط عليَّ.

طفلة "جاو لي"!

كان العديد من البالغين أيضًا يطلقون عليَّ الكلمة نفسها. كانت عيونهم الفضولية تتجه نحوي كما لو أن لديَّ شيء ما سحري أو غامض. كنت أعتبر نظراتهم المتطفلة لي أسوأ من لو أن أحدهم رفع ملابسي في مكان عام.

كانت تُطلق هذه الكلمة أيضًا على أبي وأمي وشقيقاتي وأشقائي. مع ذلك، لم يبدُ أنهم مهتمون بشدة بهذا الأمر مثلي. كانوا يكتفون في العديد من المرات بهزة واحدة بكتفيهم كي يبعدوا هذه الكلمة عن تفكيرهم.

كان لدي رداءان من الحرير. لدى كل منهما جزء علوي قصير يصل فقط إلى أسفل الصدر، جيبة طويلة جدًا حتى الرُكبة، وحزام مربوط من الأمام على شكل دائرة. في السبعينيات، كانت هذه الملابس في الصين مواكبة للموضة. ومع ذلك كنت أرى ألوانهم، التي تتسم بالحيوية، على أنها ألوان الخطر والشر لأن ارتداء هذه الملابس كان يعني لي بأنني مميزة وقد أكون هدفًا لنظرات وأحاديث الناس. من الخطر أن أكون مختلفة عن الآخرين.

بعدها بعدة سنوات، بدأت أحب الزي الرسمي مثل النساء الأخريات والتي لم تُغطِ الجزء السفلي فقط بل كانت تضفي شيء من الغموض إلى شخصياتنا.

كان القماش الصيفي الذي يرتديه الكوريون مصنوعًا من الكتان الناعم. ورغم أنه معروف باسم "القماش الصيفي" فإنه كان يُحاك في واقع الأمر في فصل الخريف حينما تزهر قصبة نبات الصفصاف كليًا أو في فصل الشتاء حينما يبدأ تساقط رقاقات الثلج في الهواء. كان لتلك الفصول تأثير على كل خيط كتان في القماش فهي تعطيها لمسة من البرودة ولونًا أبيض نقي، ولذا ففي فصل الصيف التالي حينما تتجه فتاه جميلة قُرب الردهة الخشبية وهي ترتدي قميصًا قصيراً وجيبة عريضة مصنوعة من القماش الصيفي، فإن الشعور بالحرارة يقل كالمد والجزر.

كانت الملابس المصنوعة من القماش الصيفي الجميل تتلطخ وتنكمش بعد ارتدائها بيوم واحد، وكانت تُنظف وتُوضع النشا فيها وتُكوى في اليوم نفسه لتبقى نظيفة ومكوية جيدًا.

كما نرى أبطال وبطلات الأفلام الرومانسية وهم يمرون بعدة مراحل تبدأ بالحب وتنتهي بالكراهية، أكتشف نفسي وقعت فجأة في حب أشياء عدة ترتبط بتلك الجماعة العرقية كلما كبرت.

لم أعلم كيف يحدث هذا التغير، ربما بالإلمام الأكثر بالقماش الصيفي الناعم. ومع ذلك، فجأة، أرى أشياء خفية تحت ما أبغضه، أكثر جمالًا، ذلك ما يدهشني كثيرًا، ولذا يبدو كل شيء أكثر إبهارًا.

خوفي من العزلة الذي كان ينتابني حينما كنت فتاة صغيرة ظهر الآن بشكل آخر بعد أن بلغت، مثل استمتاعي الخفي باكتشافي أني أملك أشياء أو بالأحرى كنوزًا لا يحق للآخرين سلبها مني.

2

غالبًا ما يُشار إلى الكوريات من الأقلية الكورية بالصين بشيءٍ من التعاطف، فقد كان عليهن أن يُجِدن أمور البيت والأمور التي تتعلق بالزراعة والمحاصيل في الحقل. في فصل الربيع، وجب عليهن أن يزرعن حبوب الأرز في حقول الأرز الثلجية، ويحملن على ظهورهن الأطفال الذين لا يتلقون الرعاية الكافية من الآخرين، وفي فصل الخريف، يحصدن محصول الأرز وهن يرتدين قبعات من القش. كما يقمن بأفضل ما لديهن كي ينتظرن أزواجهن وأبناءهن في الأسرة، ولكنهن لا يحق لهن حتى الجلوس على مائدة العشاء معهم. عليهن أن يتحملن آلام الولادة ومخاطر شرب الكثير من الكحوليات والوقاحة والعنف اللفظي والجسدي من الرجال.

تشترك كـل ربـات البيـوت في شيء واحـد: يحـاولن جميعًـا أن يفعلـن كـل مـا بوسـعهن ليتأكدن من أن بناتهن غير المتزوجات يكبرن بسعادة في جو من الاسترخاء والراحـة. فبالنـسبة إلى الشابات، يعتبر يوم زفافهن نهاية أول إجازة في حياتهن.

بينما كنت في المدرسة الثانوية، حدث أن اشتركت في غرفة مـع مهندسـة متوسـطة العمـر من القومية الكورية. كان زوجها يهتم بها طوال الوقت. بدا نحيفًا وبشرته داكنة، لكن ملامـح وجهه كانت غير واضحَة. عندما يبتسم يبدو لطيفًا بعض الشيء. كان لديهما زملاء في الجامعة ولذا سارت بداية علاقتهما وزواجهما على نحو طبيعي مثل تخرجهما. كان يـشرب الكثـير مـن الكحول وقد يضرب زوجته عندما يـسكر. في إحـدى المـرات جرهـا مـن الـسرير المُـدفِّئ عـلى الأرض وكسر ضلعين لها. بقيت بالمستشفى في ذلك الوقت لفترة بسبب مرضها المـزمن ولفـترة أخرى بسبب العنف الذي تعرضت له.

حينما علمت بذلك، كرهت الرجل جدًا وكرهت حقًا أنه رجل متعلم. ولكن حينما راقبت المهندسة، اكتشفت أن موقفها من زوجهـا بـدا عاديًـا تمامًـا دون أدنى لمحـة مـن الكراهيـة أو الضيق. بدت نظرات وجهها هادئة تمامًا حينما يطعمها زوجها أو يعطيهـا مـاء دون أي سـبب آخر، استنتجت أنها لا بد أن اتسمت بهدوء بالغ حينما كان يضربها زوجها.

كانت زوجة ابن عمي أيضًا تبدو جميلة جدًا ونحيفة وبشرتها بيـضاء مثـل الخـزف ولهـا ابتسامة رقيقة. في إحدى المرات نمنا في الغرفة نفـسها وأخبرتنـي بـشكل عـابر بعـد أن أغلقنـا النور أنها منذ عدة أيام حملت 6 أطنان كاملة من الفحم للـشتاء إلى مكـان تخزينـه بنفـسها، بينما كان زوجها غارقًا في الكحوليات مع أصدقائه طوال ذلك الوقت!

ستة أطنان من الفحم للشتاء؟ لم أجد ما أقوله للتعبير عـن صـدمتي مـما تقولـه وبالكـاد أستطيع أن أصدق أن هاتين الكتفين الرقيقتين بجواري قادرتان على حمل تلك الحمولـة التـي تبلغ ستة أطنان دون أن تصاب بأذى.

لا فرق بين كل أسباب السعادة، ولكن أسباب التعاسة تختلف فيما بينها. وبما أنني قابلت الكثير والكثير من الناس، أدركت أن السمة المميزة لنساء قومية كوريا هو موقفهن من الحياة وقدرتهن على تحمل المعاناة.

لا يريد رجال أقلية كوريا أن يكونوا متواجدين مع النساء في المطبخ أو يمسكون بقطع قماش بالية أو مقشات في أيديهم، ولا تتركهن زوجاتهم يفعلن هذا، فهن يؤمن بأن الرجل وُلد كي يكون شخصًا عظيمًا، أما التفاهات اليومية مثل العمل في المطحنة فإنها ستقلل من سماتهم الجميلة وتجعلهم غير قادرين على القيام بالأشياء النبيلة حينما تواجههم أمور تتعلق بمستقبل البلد ومستقبلهم.

ذلك السعي إلى المجد يعطي دعمًا معنويًا قويًا لنساء أقلية كوريا اللاتي جعلن عملهن الشاق نوعًا من المبادئ أو الأخلاق. كان العديد من الرجال كسالى بسبب النساء قبل أن يغرقوا في سكر الخمر.

من المعروف أن النساء في قومية كوريا الصينية يعملن أغلب الوقت، ولكن أغلبهن سعداء بطبيعتهن. فهن يرغبن في أن يظهرن بشكل جميل، ويجربن كل شيء يُظهر جمالهن الساحر من وجهة نظرهن. ففي "يان بيان" مثلًا، ترغب النساء هناك دائمًا في استخدام المنتجات الأكثر مبيعًا. وحتي السيدات الكبار في السن لسن أقل اهتمامًا بملابسهن الملونة عن نظيراتهن الأصغر سنًا، لأنهن يعتقدن أن الملابس ومستحضرات التجميل تجعلهن يحافظن على مظهرهن الجميل.

غالبًا ما أتناول الطعام في إحدى المطاعم بالقرب من منزلي، وهو مطعم يقدِّم أطباقًا كورية. وحدث أنني تعرفت على صاحبته شيئًا فشيئًا لأن ذوقها في الملابس كان دائمًا ما يدهش الزبائن. وغالبًا ما تترك الآخرين، خاصة النساء اللاتي في الأربعينات من عمرهن، يخمن عمرها. يحاول الجميع بالطبع إرضاءها بأنها تبدو في الخمسينات من عمرها رغم أنها تبلغ الستين. ولكنها لم تكن ترضى عن ردودهن، وقد تشعر حتي بالغضب حينما لم تحصل على الرد الذي تريده، وقد ترد أحيانًا والعبوس يبدو على وجهها أنها في الأربعينات من

العمر أي في عمرهم نفسه. لم أفهم تمامًا لماذا يرون أن سيدة مثلها، لديها رغبة قوية في أن تبدو جذابة، كبيرة في السن، حتى التقيت بزوجها واكتشفت أنها في الستينات من عمرها بالفعل رغم أنها أصرت بعناد أن تُرجع عمرها إلى الأربعينات. لم يوقفها أي شيء عن خداعها لنفسها، لا التجاعيد، ولا بطاقتها الشخصية، ولا زوجها الذي وصل إلى سن الشيخوخة، ولا حتى عمر أبنائها وبناتها، رأيت الأمر نفسه مع "مارجريت دوراس"، سيدة فرنسية قبلت أن تقيم علاقة رومانسية مع "يان أندريا ستينر"، شاب أصغر منها سنًا في أواخر العشرينات من عمره، وهي في السادسة والستين من عمرها، وقد ألفت رواية بعنوان "الحبيب" في السادسة والثمانين من عمرها.

3

على النقيض تمامًا من النساء، فإن أغلب رجال قومية كوريا يتحلون بالهدوء، وبالطبع تتحول هذه السمة لديهم تمامًا بعد أن يشربوا الخمر.

كان والدي واحدًا من هؤلاء الصينين الذي ينتمون للعرق الكوري النادرين الذين يكرهون الخمر. ولكن حينما يحل الزوار في بيتنا، فإنه يكرمهم بتقديم الكثير من الخمر مبديًا ابتسامة متسامحة عندما يستمع إلى هذيانهم بفعل السكر. ونظرًا لأن أبي لا يشرب الكحوليات ولا يسكر، فإنه بذلك بالطبع محروم من اختلاق الحجج لضرب زوجته. لديه وقت فراغ أكثر من رجال الأقلية الكورية الآخرين، يقضي وقت فراغه هذا في الغناء.

خسر والدي الكثير من فرص العمر في شبابه، وذلك يعني أن غناءه ظل دائمًا هوايته كهاوٍ. ولكن سواء كان محترفًا أم لا، فإن والدي وكثيرين آخرين ممن التقيت بهم لاحقًا مثل رجل يمكنه القيام بتمارين سحب البار بشكل

عشوائي بطاولة الخمر أو سيدة تصرخ من المطبخ، يمكنهم أن يقلدوا المغنيين المحترفين. وفي مثل تلك العروض الارتجالية فإن أفضل ما يمكن أن يصاحب المغني شخص يقوم ببعض التصفيق على مغرفة مقلوبة في حوض مليء بالمياه أو بعض الضربات على حافة الاطباق وأكواب الخمر بعصي الطعام.

كانت الأغاني الكورية الفلكلورية ذا نبرة عالية جدًا ولا يمكن أن يغنيها أصحاب الأصوات غير القوية. كما كانت أيضًا ذا طابع غنائي خاص، وعلى من يغنيها أن يكون لبقًا بشكل ما وله حضور. عادة ما يخلط الناس بين أبناء أقلية كوريا بالصين واليابانيين ويعتبرونهم متشابهين في عدة أشياء، ولكن أغاني تلك المجموعات العرقية تروي لنا قصة مختلفة. فلو قارن أحد مثلًا الأغنيات الكورية بالكحول، فيمكن مقارنة الأغنيات اليابانية الفلكلورية بالشاي الفاتر. وأشهر الأغنيات "التاي" تتميز بها أقلية كوريا هي "آلي لانج"، وتوجد منها عدة نسخ في كل مكان تقريبًا لكنها تختلف من مكانٍ إلى آخر. وهي أغنيات حول وداع الأحبة، ولكنها ذو إيقاع حيوي، على عكس الأغنية الصينية الفلكلورية "رحيل إلى الغرب" فهي أغنية حزينة تعبر عن أحزان الفراق.

وكذلك تروي أغنية "البان سلي" الكورية قصة بنوع من الترنيم والغناء تشبه الأوبرا الصينية التقليدية. ويمكن أن تُؤدى من خلال مغنية تمسك بمروحة وعازف طبلة في مكان واسع. وبالمقارنة نجد أن الأوبرا الصينية أكثر تعقيدًا وتألقًا.

هناك فيلم من جمهورية كوريا يُدعى "شي بيان تشي" عبارة عن قصة تدور حول مغنيين "البان سلي". هناك مدرستان أساسيتان لغناء "البان سلي" اسمهما "دونج بيان تشي" و"شي بيان تشي". تُعرف مدرسة "شي بيان تشي" بأنها بارعة ومأساوية بينما تُعرف المدرسة الأخرى بأنها تدرس غناء ذا حضور مفعم بالعواطف الجيَّاشة. يقدِّم فيلم "شي بيان تشي" وصفًا لفتاة صارت مغنية "بان سلي" كبيرة. كان والدها لا يريدها أن تهرب فوضع السم في دوائها حينما كانت

مريضة وأصيبت بالعمى. ومع ذلك تقدمت الفتاة وتحدت الكثير من الصعاب فأتقنت الألحان ودرست مبادئ غناء "البان سلي".

فازت تلك القصة التراجيدية بالعديد من الجوائز في مهرجانات الأفلام العالمية، ولكني أعتقد أنها قصة عادية. قد تنطبق قصتها على ظروف أي دولة من الدول الشرقية تمنع غناء "البان سلي" فيها، لكن أكثر ما شدني في هذه القصة هو أنها بدأت مسيرتها الغنائية مبكرًا وقد دعاها رجل ثري كي تغني في إحدى الحفلات التي يقيمها بمنزله. بينما افتتن الرجال بمظهرها أكثر من أدائها، لم تحس بالغزل ولم يهمها سوي الغناء. يوضح ذلك جيدًا موقف أبناء أقلية كوريا من الغناء.

أما رقصات الأقلية الكورية فمن المفترض أنها أصعب رقصة عرقية في الصين. فهو عبارة عن مجرد حركات برفع الأيدي والأذرع والمشي على أطراف الأصابع، فلا يمكن أن يكون الرقص الكوري أبسط من هذا، ومع ذلك فإنه دخل سباق التحدي مؤخرًا لبساطته مذكرًا بمقولة "لاو تزي" بأنه ذو مظهر رائع لكن غير ملفت. ويقال أن رقص قومية كوريا متأثر برقصات "الكرين" أو رقصة البجعة، وأهم شيء في هذه الرقصة هي حركات الأكتاف.

تعد رقصة بيت الزهور مهمة جدًا في رقص قومية كوريا ويمثّل أيضًا جوهر الرقص الفلكلوري. نجد مثلًا "خوانج تشي إي" وهي مغنية وشاعرة بيت زهور مشهورة ورمز أسطوري للقرن السادس عشر، كانت تقترب من مكانة العلماء والفنانين وموظفي البلاط الملكي في عصرها. بسبب أسلوبها غير التقليدي وشخصيتها المستقلة نالت إعجاب الكثير من الرجال. كان هناك راهب بوذي شهير يُدعى "تشي تزو" يمارس البوذية في إحدى المعابد لعدة سنوات. وقد كسر أسس البوذية حينما أتت "خوانج تشي إي" عنده وادعت بأنها راهبة بوذية وطرقت بابه مرتدية عباءة الرهبان في إحدى الليالي ورقصت من أجله في غرفة نومه. رغم أنهما بقيا سويًا لوقتٍ قصيرٍ جدًا فإن قصة حبهما تناقلتها

الأجيال. وسميت الرقصة التي أدتها "خوانج تشي إي" في تلك الليلة بـ"سنج وو" أو "رقصة الكاهنة" والتي أصبحت فيما بعد نموذجًا لرقصة بيت الزهور.

4

مثل العديد من الجماعات العرقية الأقلية، يحافظ أهل قومية كوريا على العديد من تقاليدهم الفريدة نظرًا لقلة عددهم. ففيما يتعلق بالطعام، يحبون التوابل وأيضًا "الكمتشي" والأطباق الباردة، كما يصنعون شوربة فول الصويا الثقيلة ولا يقدمون أكلات مقلية. يعتبر الباربيكيو الكوري من الأطباق الرئيسية في اللحوم، ولكن في فصل الشتاء يتناولون أيضًا شوربة اللحم والخضار ويطلقون عليها "شن شيانلو". وبما أنهم في أغلب الوقت يأكلون لحم الكلاب، فإن اسم هذا الطبق يُذكر في المثل الصيني الذي يقول: "عندما يشم المرء رائحة لحم الكلب، فلا يمكن حتى لطبق الشن شيان أن يقاومها".

بدت صورة الكوريين غير جيدة في نظر المجموعات العرقية الأخرى بسبب حبهم للحم الكلاب. هناك فصيلة من الكلاب تعرف باسم "تشنداو" في جزيرة "تشن" جنوب شرق شبه جزيرة كوريا، تتحلى هذه الفصيلة بالمهارة والشجاعة والوفاء لأصحابهم. كذلك لا تنتقي هذه الفصيلة أنواعًا معينة من الطعام ويأكلون غالبًا البقايا. بما أن أغلب الناس في تلك الجزيرة فقراء، تفر كلاب "تشن" من البيوت لتبحث عن طعامها بنفسها فتأكل الضفادع والجراد وحتى طائر الذيال. هناك موقفان يوضحان مدى تعلق هذه الكلاب بأصحابها وبيوتها. منذ ثلاثين عامًا حينما كانت "تشن" مجرد جزيرة محاطة بمياه البحر، قطع كلب "تشن" قد بيع لقوات متواجدة بالقرب من خط عرض 38 شمال مسافة أكثر من 450 كيلو مترًا ليعود لبيته. كان هناك كلب آخر بيع إلى "دا

تيان" أي بما يبعد 260 كيلو متراً عن بيته، وعاد لأصحابه أيضًا في عام 1993. ولذا يقارن بعض الناس أهل القومية الكورية بهذا النوع من الكلاب "تشن" فهي صغيرة الجسم ولكنها شجاعة ومثابرة وتحافظ على حياتها.

وقد ورثت ثقافة قومية كوريا تعاليم "الكونفشيوسية" من الصين، توجد لوحات "كونفوشيوس" في كل الأكاديميات والمدارس القديمة. وأغلب البيوت التقليدية مبنية على شكل الحروف الصينية المرسومة مثل: 日 (تعني الشمس) و月 (تعني القمر) و口 (تعني الفم) و 回 (تعني العودة) و用 (تعني الاستخدام).

عادة ما يهتم الكوريون بشدة بالنظافة ويغرمون باللون الأبيض. فعادة ما تتنوع فساتين الزفاف عندهم بين اللونين الأبيض والوردي الفاتح لترمز للطهارة. إضافة إلى ذلك اختارت كوريا زهرة الكركديه البيضاء لتكون الرمز القومي لها لأنه برغم صغر حجم زهورها الرائعة فإنها ستزهر صباحًا وتذبل وتتساقط في فترة العصر فتُذكر الناس بألا يتجاهلوا وقتهم.

وفي أحد العصور عند تمثيل أي بلد عالميًا، دائمًا ما يتم تسليط الضوء بشكل أكبر على الهوية القومية للشعب الكوري، وخاصة تلك المبادئ التي تبنوها لأكثر من ألف عام مثل البساطة والتسامح واحترام الكبير والعطف على الصغير والاستمتاع بالحياة من خلال الأغاني والرقص، وكلها مبادئ تبناها الناس من جميع أنحاء العالم مؤخرًا.



الفهرس:

صدر في سلسلة #كتب_مختلفة:

1.	أرامل الخميس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
2.	كلي لك	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
3.	مشروع زوجة	جرايم سيمسيون	أستراليا
4.	الثلاثة	سارة لوتز	إنجلترا
5.	شركة الحب المحدودة	أندريه سنار ماجنسون	أيسلندا
6.	احترس من جوعي	لوتشانا كاستيلينا	إيطاليا
7.	الحب لم يعد مناسبًا	ميلا فينتوريني	إيطاليا
8.	سارق الجثث	باتريسيا ميلو	البرازيل
9.	السيمفونية البيضاء	أدريانا ليسبوا	البرازيل
10.	مقبرة البيانو	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
11.	صانع الملائكة	شتيفان بريجش	بلجيكا
12.	مخاوفي السبعة	سلافيدين أفيدتش	البوسنة
13.	جامع الكتب	جوستابو فابيرون باترياو	بيرو
14.	أبسنت	أيفر تونش	تركيا
15.	خطايا الأبرياء	برهان سونماز	تركيا
16.	أحلام محطمة	بيولانت سينوكاك	تركيا
17.	ارحل قبل أن أنهار	تونا كيرميتشي	تركيا
18.	امرأة صديقي	تونا كيرميتشي	تركيا
19.	الصلوات تبقى واحدة	تونا كيرميتشي	تركيا
20.	مينتا	سولماز كاموران	تركيا
21.	ديستينا	ماين كيركانات	تركيا
22.	نساء اسطنبول	مجموعة قصصية	تركيا
23.	توباز	هاكان جنيد	تركيا
24.	لون الغواية	هاندي ألتايلي	تركيا
25.	الشيطان امرأة	هاندي ألتايلي	تركيا
26.	ديتوكس	سوزانا برابتسوفا	التشيك
27.	حدث في كراكوف	بيترا هولوفا	التشيك
28.	كل هذا ملكي أنا	بيترا هولوفا	التشيك
29.	سرادق طائر البطريق	إميل هاكل	التشيك
30.	كافكا	فرانز كافكا	التشيك

31.	المواطن فانيك	فاتسلاف هافل	التشيك
32.	المبعدون	أوجنين سباهيتش	الجبل الأسود
33.	امرأة للبيع	أورشولا كوفاليك	سلوفاكيا
34.	خلف طاحونة الجبل	مجموعة قصصية	سلوفاكيا
35.	ربيع البربر	يوناس لوشر	سويسرا
36.	بكين.. بكين	شيو تسي تشين	الصين
37.	النجمة حمراء	يركسي هوملانبيك	الصين
38.	رقصة الكاهنة	جين رينشوين	الصين
39.	المغفل	إريك نويوف	فرنسا
40.	المجاعة البيضاء	آكي أوليكانين	فنلندا
41.	النسيان	إيكتور آباد	كولومبيا
42.	القنّاص	بلايز ماينفسكي	مقدونيا
43.	الواحد والعشرون	توميسلاف عثمانلي	مقدونيا
44.	إلينج	إنجفار أمبيورنسون	النرويج
45.	صيف بارد جدًا	روي ياكوبسن	النرويج
46.	جوي سبيدبوت	تومي فيرينيجا	هولندا
47.	العشاء	هيرمان كوخ	هولندا

كتب عامّة مترجمة:

48.	هاربون من الموت	فولفجانج باور	ألمانيا
49.	قانون التسامح	هوبرتس هوفمان	ألمانيا
50.	الرجل والمرأة أيهما الجنس الأضعف؟	جيرالد هوتر	ألمانيا
51.	الهاشميون وحلم العرب	روبرت ماكنمارا	أمريكا
52.	الصراع الطبقي في أفريقيا	ليو زيليج	أمريكا
53.	الهندي الأحمر الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
54.	يوميات صحفية إيطالية	جوفانا لوكاتيلي	إيطاليا
55.	قوة المستضعفين	فاتسلاف هافل	التشيك
56.	أوروبيانا	باتريك أورشادنيك	التشيك
57.	الثورة التشيكية	مجموعة مؤلفين	التشيك
58.	ذكريات الصين	تشين يو	الصين
59.	جابو	أوسكار بانتوخا	كولومبيا
60.	الجري	ثور جوتاس	النرويج
61.	عقول مريضة	دوي درايسما	هولندا



#كتب_مختلفة #الصين

لم يدرك متى بدأت تدق على الطبل الذي لديه على شكل سمكة خشبية، تردد صوت ذلك الدق في ذهنه، أثار ذلك لديه مشاعر مختلفة، وغمرته حالة من السلام الداخلي التي وصل إليها بعد سنين من التربية الذاتية. شعر بداخله بعواصف تجتاح جسده وعصفت بأشياء بداخله لم يشعر بها منذ سنوات، كما عصفت بكل حالات التأمل التي قام بها، وأمحت تقاليد "السوترا" من ذهنه مثل مياه المطر الذي يبلل ثوبها ويتبخر بالحرارة. كان جسدها ملموسًا أمام عينيه، كان جسدها حيًا أمامه لدرجة لا تصدق: بدت عيناها اللامعتان تدب فيهما الروح مثل ضوء الشمعة، كانت العباءة حمراء وكأنها نار تتوهج على جسدها. أراد أن يدفعها بعيدًا عنه، ولكنه أراد أيضًا أن يلمسها. وحينما لمست يداه العباءة، بدا وكأنهما يدخلان إلى فخ الشيطان في تلك اللحظة ولم يعدا يديه اللتان اعتاد عليهما.



جين رن شون

كاتبة صينية مواليد عام ١٩٧٠، تمثل جيل الشباب في الأدب الصيني، وتشتهر بالكتابة في موضوعات الحب والعاطفة التي تعبر عنها بأسلوب خاص ومختلف أصبحت تشتهر به، وهي تنتمي لقومية كوريا العرقية الصينية، وتعيش في مدينة "تشانجتشوين"، عاصمة مقاطعة "جيلين" بشمال شرق الصين. حازت روايتها "تشون شيانغ"، ومجموعاتها القصصية "زهرة الخوخ"، و"مدينة النخيل"، و"رقصة الكاهنة"، والعديد من الأعمال الأخرى على العديد من الجوائز المحلية، ومن ضمنها جائزة "الحصان الأسود" لأدب الأقليات الصينية وهي الجائزة الأعلى لكتاب الأقليات العرقية في الصين، وجائزة "جوانج جونج وين" الأدبية للكتاب الواعدين، وجائزة "مجموعة الصين للنشر"، وجائزة "لين جين لان" للقصة القصيرة، وجائزة مجلة "المئة وردة" الأدبية. وبالإضافة إلى هذه الإنجازات، كتبت سيناريوهات أفلام "الشاي الأخضر"، و"المحترم الهارب"، و"كي لونج". ترجمت أعمالها ونشرت باللغات الإنجليزية، واليابانية، والكورية، والألمانية



60 شارع القصر العيني 11451 - القاهرة
ت: 27954529 - 27921943 فاكس: 27947566
www.alarabipublishing.com.eg

بيت الحكمة
智慧宫


ISBN 978-977-319-322-5
9 789773 193225 >

تصميم الغلاف: محمد حافظ